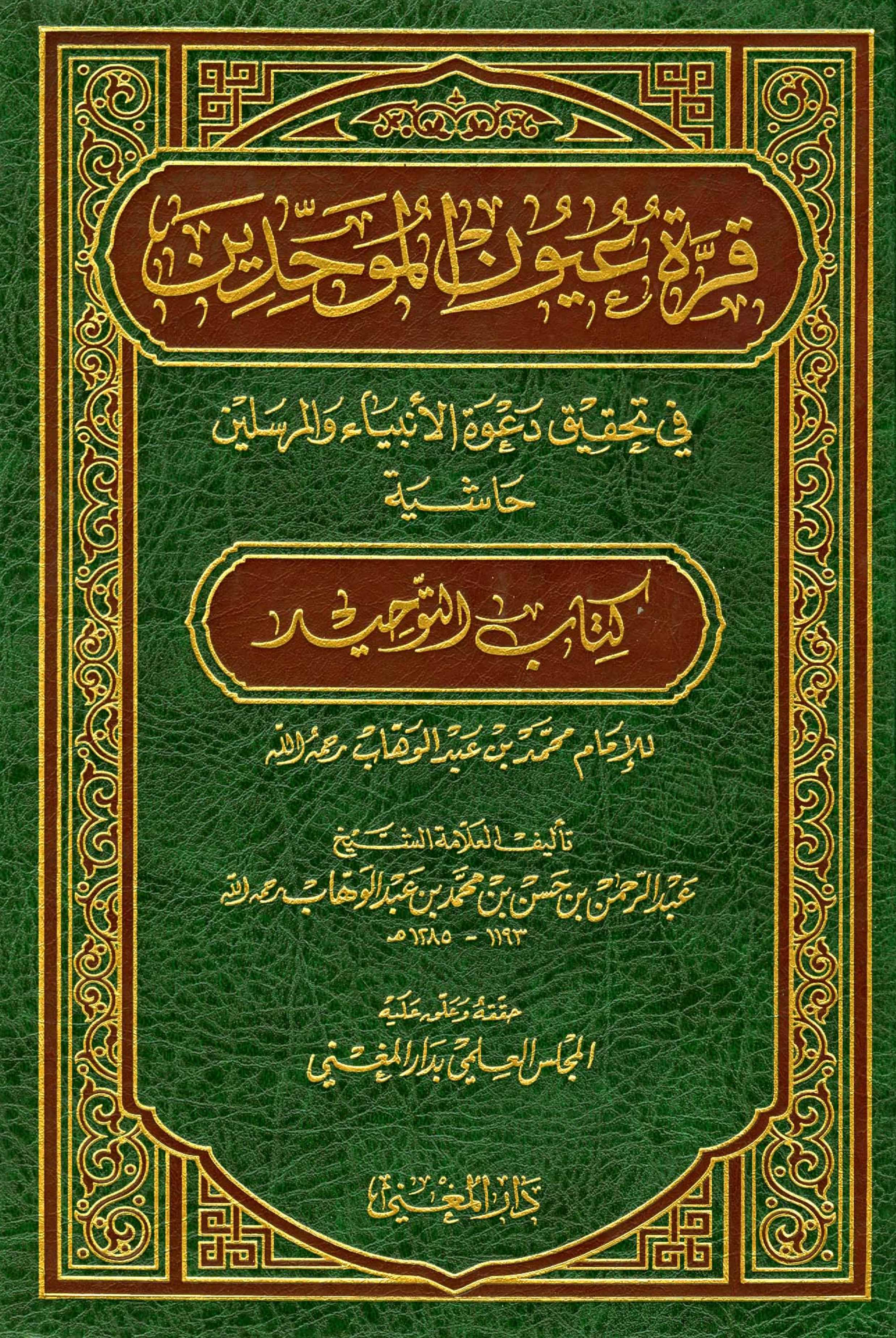

قرة عيون الموحدين
في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين
حاشية
كتاب التوحيد
للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
تأليف العلامة الشيخ
عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
١١٩٣ - ١٢٨٥هـ
حققه وعلق عليه
المجلس العلمي بدار المغني
دار المغني

قرة عيون الموحدين

في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

حاشية

كتاب التوحيد

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

تأليف العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

١١٩٣ - ١٢٨٥هـ

حققه وعلق عليه

المجلس العلمي بدار المغني

دار المغني

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار المغني للنشر والتوزيع
هاتف - ناسوخ: ٠٠٩٦٦١٤٢٥٧٠١٩
٠٠٩٦٦١٤٩١٦٩١٥
Dar_Almoghny@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلا تخفى منزلة كتاب «التوحيد» للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، هذا الكتاب الذي حقَّق فيه مؤلفه رحمه الله أبواب التوحيد، ومقاصده، ونفى فيه الشرك وعبادة الطاغوت بجميع وجوه هذه العبادة.

ولما كانت حاشية العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله على هذا الكتاب، الموسومة بـ«قرة عيون الموحدين»؛ لما كانت حاشيةً بديعةً، وتعليقةً نافعةً؛ فقد رأينا لزوم إخراجها على أحسن حال، والعناية بها تحقيقًا، وتخريجًا على أفضل صورة، وأجمل وجه.

لذلك عمدنا إلى أصح الطبعات السابقة، كما اعتمدنا أصلاً مخطوطًا، كان يمتلكه العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله. وهذا المخطوط محفوظٌ الآن بمكتبة الملك فهد الوطنية المحروسة، وعليه ختم الشيخ محمد بن إبراهيم بالوقف والتسبيل في سبيل الله على طلبة العلم.

وهذا المخطوط نسخ سنة **١٢٨٥**هـ، أي سنة وفاة مؤلفه رحمه الله، والناسخ هو: محمد بن ناصر بن عبدالله بن عثمان بن حمد بن حسن بن

عزاز الحنبلي.

وتمتاز هذه النسخة ببعض الزيادات على النسخ المطبوعة، وبعضها زيادات توضيحية هامّة، مما يدل على أهمية هذا المخطوط، وكبير فائدته.

وعملنا كان بإثبات ما جاء في المطبوع والمخطوط معًا، وإذا اختلفا أثبتنا الصواب من ذلك، وإذا زاد المخطوط على المطبوع شيئًا أثبتناه، ونبَّهنا على ذلك أحيانًا.

فهذا أهم ما اتبعناه في تحقيق هذا الكتاب، مع عنايتنا بتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث والآثار، مع بيان صحة الحديث أو ضعفه، اعتمادًا على أئمة هذا العلم.

فنسأل الله أن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يرزقنا السَّداد في القول والفعل، وأن ينفع بهذا الكتاب القارئ الكريم، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الناشر

ترجمة شيخ الإسلام
محمد بن عبدالوهاب

- هو الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، أبو الحسين، محمد بن عبدالوهاب بن الشيخ سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بُريد بن مشرف بن عمر بن معضاد الوهيبي التميمي.
- ولد في بلدة العيينة في نجد، ونشأ فيها عند أبيه عبدالوهاب، في بيت علم؛ في آبائه وأعمامه، واتّصل العلم في بنيه وبني بنيه. وكان مولده سنة **١١١٥**هـ.
- تلقى مبادئ العلم في بلده، ورحل إلى الحجاز مرتين، وزار الشام، وكان في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث، وكلام العلماء.
- أخذ عن عدة مشايخ؛ منهم: أبوه، والشيخ محمد حياة السندي، والشيخ عبدالله بن سيف، والشيخ محمد المجموعي البصري، وغيرهم.
- شرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه، ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، فانبرى رحمه الله للدعوة إليه، ونبْذ ما خالفه من الشرك والبدع، فنفع الله بدعوته من قَبِلها من أهل الجزيرة وغيرها؛ كالهند، والعراق، ومصر، والشام، والمغرب، وغيرها.
- وكان رحمه الله كثير الذِّكر لله تعالى، عليه هيْبة عظيمة، مع لين الجانب، وخفضه لطالب علم أو سائل أو ذي حاجة.

● وكانت له مجالسُ عديدة في التدريس؛ كل يوم وكل وقت، في التوحيد والتفسير، والفقه، وغيرها.

● انتفع به كثير من الطلبة؛ منهم:

١ ـ أبناؤه الأربعة: حسين، وعبدالله، وعلي، وإبراهيم. وكلهم جَمَع أنواع العلوم الشرعية.

٢ ـ حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن. وهو صاحب «قرة العيون».

٣ ـ الشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر.

وغيرهم كثير؛ من القضاة، والرؤساء، والأعيان.

● توفّي رحمه الله آخر ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ، عن نحو اثنتين وتسعين سنة، ببلدة الدرعية. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

● له مؤلفات عديدة مشهورة؛ منها:

١ ـ «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد».

٢ ـ «كشف الشبهات في التوحيد».

٣ ـ «الأصول الثلاثة وأدلتها».

٤ ـ «أصول الإيمان».

٥ ـ «تفسير الفاتحة».

٦ ـ «المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية»، وغيرها.

● مصادر ترجمته:

ـ «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر (١/٢٧ و١٦٢).

ـ «هدية العارفين» للبغدادي (٢/٣٥٠).

ـ «الأعلام» للزركلي (٦/٢٥٧).

ـ «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/١٢٥) لعبدالله آل بسّام.

ترجمة الشيخ عبدالرحمن بن حسن
مؤلف «قرة عيون الموحدين»

- هو الشيخ العالم الفاضل عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، أبو الحسن.
- ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ.
- نشأ في حضانة جدّه الإمام بعد وفاة والده، فاعتنى به بتوجيهه إلى طلب العلم، فأخذ عنه العلم في صغره، وتوفّي جدّه وعمره ثلاث عشرة سنة.
- لازم بعد جدّه علماء الدرعية؛ منهم:
  - العلامة الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
  - الشيخ الفقيه حمد بن ناصر بن معمر.
  - الشيخ عبدالله بن فاضل.
  - الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الأحسائي.
  - الشيخ عبدالرحمن بن خميس.
  - الشيخ حسين بن غنام.
- تولّى القضاء بالدرعية وهو شاب بأمر الإمام سعود بن عبدالعزيز، فسار فيه وفي التدريس خير سيرة.
- انتقل إلى مصر مع عائلته بعد استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية، وإخراجه عائلة آل الشيخ منها إلى مصر، فكان ذلك سببًا له في أخذ

العلم عن أهل مصر ما لم يجده في بلاد نجد، فلازم كثيرًا منهم، في مدّة ثماني سنوات زادته علمًا وبصيرة في معاني كلام الله، وكلام رسوله ﷺ.

وممن أخذ عنهم بها:

- الشيخ حسن القويسيني.
- الشيخ عبدالله بن سويدان.
- الشيخ عبدالرحمن الجبرتي، وغيرهم.

● عاد إلى نجد سنة ١٢٤١هـ، فاشتهر في أيام الإمام تركي بن عبدالله، حيث أعاده إلى القضاء، ثم كان مع الإمام فيصل بن تركي، إذ لازمه في السفر والإقامة، والسلم والحرب.

وبذل نفسه للطالبين، وانتفع بعلمه كثير من المستفيدين؛ منهم:

- ابنه الشيخ عبداللطيف.
- الشيخ عبدالرحمن بن القاضي حسين بن محمد بن عبدالوهاب.
- الشيخ عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار بن شبانة.
- الشيخ حمد بن عتيق، وغيرهم.

● توفي رحمه الله عشية يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة عام ١٢٨٥هـ، وقد قارب المئة. رحمه الله رحمة واسعة.

● وله مؤلفات عدّة؛ منها:

١ ـ «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد».

٢ ـ «قرّة عيون الموحّدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين». وهو هذا الكتاب.

٣ ـ «مختصر العقل والنقل».

٤ ـ «الإيمان والردّ على أهل البدع».

٥ ـ مجموعة كبيرة من الرسائل والفتاوى.

● مصادر ترجمته:

- «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٦٨، ٢/٢٩).
- «الأعلام» للزركلي (٣/٣٠٤).
- «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/١٨٠ ـ ٢٠١) لعبدالله آل بسّام.
- «معجم المؤلفين» (٢/٨٨) لعمر رضا كحالة.



فيه حاشية الفهامة شيخنا الشيخ عبد الرحمن

على كتاب التوحيد وهو شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب أعظم الله

غلاف النسخة الخطية المعتمدة، ويظهر ختم وقف
الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ مفتي المملكة سابقاً ـ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على البسملة بين مذكور في الشرح والبداءة بها سنة كما فعل البخاري وغيره من العلماء
اتباعا للسنة في مراسلات النبي صلى الله عليه وسلم للملوك وغيرهم وفي الامر بالبداءة بها حديث معروف
[illegible] المراد بالتوحيد توحيد العبادة وكل رسول يفتتح
دعوته لقومه بهذا التوحيد ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره كما في سورة الاعراف وهود وغيرهما
[illegible] وقول الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون دلت الاية على ان الله خلق
الخلق لحكمة عظيمة وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه ففعل
الاول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه
من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة [illegible] وقول الله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يخبر تعالى انه بعث في كل قرن وطائفة من الامم رسولا يدعوهم الى
عبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة ما زين لهم الشيطان واوحاه فيدعون عبادة ما سواه فمنهم
من هدى الله الى وحد الله بالعبادة واطاع رسله ومنهم من حقت عليه الضلالة فاشرك مع الله غيره
بعبادته ولم يقبل هدى الله الذي جاءت به الرسل كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون وهذا التوحيد الذي خلقوا له ودعوا اليه هو توحيد الالهية توحيد القصد والطلب
واما توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات وتوحيد الافعال فهو توحيد العلم والاعتقاد و
اكثر الامم اقروا به لله واما توحيد الالهية فاكثرهم قد جحدوه كما قال تعالى عن قوم هود
كما قال لهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده وقالت مشركو قريش
اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وهذه الاية هي قوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا الاية
تبين معنى الاية التي قبلها وكذا الايات بعدها وان المراد بالعبادة التي خلقوا لها هي العبادة
الخالصة التي لم يلبسها شرك بعبادة شيء سوى الله كائنا ما كان فلا تصح العبادة الا بالبراءة
من عبادة كل ما يعبد من دون الله والله تعالى خلق الثقلين ليعبدوه فمنهم من فعل ومنهم من
اشرك وكفر كما قال تعالى في هذه الاية فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال تعالى وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله فمنهم من اطاع ومنهم من عصى وهذا التوحيد هو دين الاسلام الذي لا يقبل
الله من احد دينا سواه كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليهم السلام ان الحكم الا لله

امر ان لا تعبدوا

بداية المخطوط المعتمد

والعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً والحمد لله الذي بنعمه
تتم الصالحات وكان الفراغ يوم الجمعة المبارك ٢٢ شهر شوال سنة ١٢٨٥
بقلم الفقير المقر بالذنب والتقصير الراجي لرحمة ربه العليم القدير
عبده بن عبده محمد بن ناصر بن عبد الله ابن عثمان
بن حمد بن حسن بن عزاز الحنبلي مذهباً
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
امين وصلى الله على محمد وآله وصحبه
اجمعين

نهاية المخطوط المعتمد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على البسملة بيِّنٌ مذكور في الشرح، والبداءة بها سنة، كما فعل البخاري وغيره من العلماء، اتباعًا للسنة في مراسلات النبي ﷺ للملوك وغيرهم، وفي الأمر بالبداءة بها حديث معروف[١].

قوله: **كتاب التوحيد**

المراد بالتوحيد توحيد العبادة، وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، كما في سورة الأعراف، وهود، وغيرهما.

(١) يشير إلى ما روي مرفوعًا: **«كلّ أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أبتر»**. وهو حديث ضعيف جدًا، كما في «إرواء الغليل» رقم (١) للألباني رحمه الله.

[الذاريات: ٥٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

وقوله: (وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]): دلت الآية على أن الله خلق الخلق لحكمة عظيمة؛ وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده، وترك عبادة ما سواه، ففعلَ الأوَّلَ - وهو خلقهم - ليفعلوا هم الثاني - وهي العبادة -.

قال شيخ الإسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[(١)].

وقال أيضًا: والعبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته. فالحب الخليُّ عن ذلٍّ، والذل الخليُّ عن حبٍّ لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين.

وقال أيضًا: وأما ما خلقوا له من محبة الله تعالى ورضاه: فهو إرادته الدينية، فذلك مذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية): يخبر تعالى أنه بعث في كل قرن وطائفة من الأمم رسولاً يدعوهم إلى عبادته وحده، وينهاهم عن عبادة ما زين لهم الشيطان وأوقعهم فيه من عبادة ما سواه، فمنهم من هدى الله ووحَّدهُ تعالى بالعبادة، وأطاع رسله، ومنهم من حقَّت عليه الضلالة، فأشرك مع الله غيره بعبادته، ولم يقبل هُدَى الله الذي جاءت به الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهذا التوحيد الذي خُلقوا له، ودعوا إليه هو توحيد الإلهية: توحيد القصد والطلب.

وأما توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الأفعال: فهو توحيد العلم والاعتقاد، وأكثر الأمم قد أقروا به لله.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩).

وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وأما توحيد الإلهية، فأكثرهم قد جحدوه، كما قال تعالى عن قوم هود ـ لما قال لهم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] ـ: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقالت مشركو قريش: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

وهذه الآية ـ وهي قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ـ تبيِّن معنى الآية التي قبلها، وكذلك الآيات بعدها، وأن المراد بالعبادة التي خُلقوا لها هي العبادة الخالصة، التي لم يلبسها شرك بعبادة شيء سوى الله كائنًا ما كان، فلا تصح الأعمال إلا بالبراءة من عبادة كل ما يُعبد من دون الله.

والله تعالى خلق الثقلين ليعبدوه، فمنهم من فعل، ومنهم من أشرك وكفر، كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، يبين أن حكمة الرب في خلقه للجن والإنس لا تقتضي أن كلًّا يفعل ما خلق له، وأرسلت الرسُل لأجله.

ولهذه الحكمة أهلك الله من لم يعبده وحده، ولم يقبل ما جاءت به رسله، وشرع قتالهم لنبيه ﷺ وأتباعه، فمنهم من أطاع ـ وهم الأقلون ـ، ومنهم من عصى ـ وهم الأكثرون ـ.

وهذا التوحيد هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليهم السلام(١): ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[يوسف: ٤٠]، وهذا هو الدين الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأمر الرسل أن يقيموه، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

---

(١) ورد وصف يوسف عليه السلام بالكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم في حديث ابن عمر مرفوعًا عند البخاري (٣٣٨٢).

....

[الشورى: ١٣]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦]، فأمره أن يعبده وحده، وأن يدعو الأمة إلى ذلك.

والقرآن كله في هذا التوحيد، وبيانه، وجزائه، والردّ على من جحده، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

وفي حديث معاذ الذي رواه أبو داود والترمذي[1]، وقال: حديث حسن صحيح، قال: قُلْتُ: يا رَسُول الله! دُلَّني على عَملٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، وَيُباعِدُني عَنِ النَّارِ، فقالَ: «**سَأَلتَ عَنْ عَظيم، وَإِنَّهُ لَيسيرٌ عَلى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ الله وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتي الزَّكاةَ، وتصومُ رَمَضانَ** ـ وَذَكَرَ الحَجَّ، ثُمَّ قال: ـ **أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأسِ الأمْرِ، وَعمودِهِ، وذِرْوَةِ سَنامِهِ؟**». قُلتُ: بَلى يا رَسولَ اللَّهِ! قالَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنامِهِ الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ**».

فدل على أن الإسلام هو التوحيد، والفرائض من حقوقه.

وقد أجمع الفقهاء على أن الإسلام شرط لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال، وهو مقتضى الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله.

فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله: نفي الشرك، والبراءة منه وممن فعله، وإخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بالرسول وطاعته، وهو معنى الآية الثالثة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي: أمر وأوصى. فقوله: ﴿أَن لَا تَعْبُدُوٓاْ﴾ فيه معنى ﴿لَآ إِلَـٰهَ﴾، وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنى ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وهذا معنى كلمة الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، وفسّرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/٢٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٥١٣٦). ولم نقف عليه في «سنن أبي داود».

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الآية [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٥]، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]. فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فيه معنى ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

فسبحان الله! كيف خفي هذا ـ مع بيانه ووضوحه ـ على الأذكياء من متأخري هذه الأمة؟!

وقول الله تعالى: (﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا...﴾ الآية): وهذه الآية تبين العبادة التي خُلقوا لها أيضًا، فإنه تعالى قرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه، وهو الشرك في العبادة، فدلت هذه الآية على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة، فلا تصح بدونه أصلًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ ـ ٦٦]، فتقديم المعمول يفيد الحصر، أي: بل الله فاعبد وحده لا غير، كما في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾.

وقرر تعالى هذا التوحيد بقوله: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

والدين هو العبادة؛ بفعل ما أمر به، وترك ما نهي عنه، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ الذِي هُوَ دِينُهُ وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي

وتقدم أن أصله وأساسه توحيد العبادة، فلا تغفل عما تقدم.

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾

فالشرك أعظم ذنب عُصِيَ الله به؛ أكبره وأصغره.

. . . .

وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك، الذي هو أعظم المحرمات، كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، عبدوا القبور، والمشاهد، والأشجار، والأحجار، والطواغيت، والجنَّ، كما عبد أولئك اللات، والعزى، ومناة، وهُبل، وغيرها من الأصنام والأوثان، واتّخذوا هذا الشرك دينًا، ونفروا إذا دُعوا إلى التوحيد أشد نفرة، واشتد غضبهم لمعبوداتهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦].

علموا أن «لا إله إلا الله» تنفي الشرك الذي وقعوا فيه، وأنكروا التوحيد الذي دلت عليه «لا إله إلا الله»، فصار أولئك المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة ـ «لا إله إلا الله» ـ من أكثر متأخري هذه الأمة، لا سيما أهل العلم منهم، الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام، فجهلوا توحيد العبادة وزينوه[1]، فوقعوا في الشرك المنافي له وأنكروه، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات، فوقعوا في نفيه أيضًا، وصنفوا فيه الكتب؛ لاعتقادهم أن ذلك حق، وهو باطل.

وقد اشتدت غربة الإسلام حتى عاد المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، فنشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال النبي ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعودُ غَريبًا كما بَدَأ**»[2].

---

(١) كذا في المخطوط، ولعلها: «وزيَّفوه».

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتمامه: «**فطوبى للغرباء**». وفي الباب عن جماعة من الصحابة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عليها خاتمه، فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ

وقد قال النبي ﷺ: «**افْتَرَقَتِ اليَهودُ عَلى إِحْدَى وَسَبْعينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصارى عَلى اثْنَتَينِ وَسَبْعينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقَةً؛ كُلّها في النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**». قالوا: ومن هي يا رَسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَنْ كَانَ عَلى مِثْلِ ما أَنا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصحابي**»[١].

وهذا الحديث قد صح من طرق، كما ذكره العماد ابن كثير[٢] وغيره من الحفاظ، وهو في «السنن»[٣] وغيرها، ورواه محمد بن نصر في «كتاب الاعتصام».

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ بعد القرون الثلاثة، فلهذا عم الجهل بالتوحيد الذي هو أصل دين الإسلام، فإن أصله أن لا يُعبد إلا الله، وأن لا يُعبد إلا بما شرع. وقد تُرك هذا، وصارت عبادة الأكثرين مشوبة بالشرك والبدع، لكن الله تعالى ـ وله الحمد ـ لم يُخْلِ الأرض من قائم له بحجة، وداع إليه على بصيرة؛ لكي لا تبطل حجج الله وبيناته التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فله الحمد والشكر على ذلك.

وأما قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا...﴾ الآية).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣)، وغيرهما من حديث عوف بن مالك الأشجعي، بلفظ: «**الجماعة**». وأما رواية: «**ما أنا عليه وأصحابي**» فهي عند الترمذي (٢٦٤٦) من حديث عبدالله بن عمرو باختلاف في سياقه.
وللحديث شواهد عن عدّة من الصحابة. انظر «مجمع الزوائد» (٧/٢٥٨ ـ ٢٥٩)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٠٣، ٢٠٤)، وصححه كثير من الأئمة؛ منهم شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٤٥).

(٢) في «تفسيره» (١/٣٩١)، وقال: «وقد ورد هذا الحديث من طرق».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٥)، وابن ماجه (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة.

عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا...﴾ الآية[1] [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

قوله: (التي عَلَيْها خاتَمُهُ): شبه هذه الوصية بوصية كتبت فختمت، أي فلم تغير ولم تبدل؛ أراد أن النبي ﷺ لم يزل يدعو الأمة ـ من حين بعثه الله تعالى إلى أن توفاه صلوات الله وسلامه عليه ـ، وقد قال مفروق سيِّد بني شيبان في دعوته ﷺ القبائل في مواسمهم: وإلى مَا تدعو إليه يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا...﴾ الآيات.

وقد تضمنت هذه الآيات المحكمات أمرًا ونهيًا، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ الآيات [البقرة: ١٣١ ـ ١٣٢].

وأما حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: كنْتُ رَديفَ النَّبيِّ ﷺ على حمارٍ، فَقالَ لي: «**يا مُعاذُ! أتَدْري ما حَقُّ الله عَلى العِبادِ، وما حَقُّ العِبادِ عَلى اللَّهِ؟**»): فساقه المصنف رحمه الله تعالى هنا لتضمنه معنى الآيات التي تقدمت، وذلك قوله: «**فإنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلى العِبادِ أَنْ يَعْبُدوهُ وَلا يُشْرِكوا بِه شَيْئًا**».

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

حَقُّ الإلٰـهِ عِـبـادةٌ بـالأمـرِ لا ... بِـهَوَى النفُوس فَذاك لـلـشيطان
مِـن غَيـرِ إشـراكٍ بِـهِ شيئًـا هُـمَـا ... سَبَبـا النجاة فَحَبَّذَا السَّبَبان
لـم يَنـجُ من غضَب الإلٰـه ونارِه ... إلا الـذي قـامـتْ بـه الأصْلَان
والـناسُ بَـعـدُ فـمُشْـرِكٌ بـإلٰـهـه ... أو ذو ابـتِـداعٍ أو لَـهُ الـوَصْفَان

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٠٧٠)، وقال: «حسن غريب»، وفي إسناده داود بن يزيد الأودي، وهو ضعيف كما في «التقريب».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رَدِيفَ النبي ﷺ على حمار فقال لي: «**يَا مُعاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ، ومَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللَّهِ؟**». فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حَقُّ اللَّهِ عَلَىٰ العِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللَّهِ: أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». فقلت: يا رسول الله! أفلا أبشّر الناس؟ قال: «**لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**». أخرجاه في «الصحيحين»(١).

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ و٥].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عَمَّت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

فمن صرف شيئًا من العبادة التي هي حقه سبحانه، لا يستحقها أحد سواه لغيره، كالدعاء، والاستعانة؛ فقد آمن بالطاغوت، وأشرك بالله وكفر.

قوله: (وَحَقُّ العِبادِ على الله أنْ لا يُعذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا): ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة، لكن هو سبحانه أحقَّ ذلك على نفسه تفضلاً وإحسانًا على الموحِّدين المخلصين، الذين لم يلتفتوا في إرادتهم، ومهماتهم، ورغباتهم، ورهباتهم إلى أحد سواه، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده، والله أعلم.

---

(١) البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٠).

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢]، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، ونبهنا الله سبحانه على عِظَم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة؛ بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حقّ الله تعالى علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حقّ العباد عليه إذا أدّوا حقّه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسرّه.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ؛ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل رضي الله عنه.

الرابعة والعشرون: عِظَم شأن هذه المسألة.

* * *

١ ـ باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الآية [الأنعام: ٨٢].

باب فضل التوحيد

الباب في اللغة: هو المدخل إلى الشيء.

قوله: (وما يُكفِّرُ مِنَ الذُّنوب): (ما) مصدرية، أي: وتكفيره الذنوب، ويجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي: والذي يكفره من الذنوب. والمراد بالتوحيد توحيد العبادة، وهو إفراده تعالى بأنواع العبادة الباطنة والظاهرة؛ كالدعاء، والذبح، والنذر، وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقوله: (وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾): واللَّبس هنا: الخلط. والمراد بالظلم هنا: الشرك الأكبر، كما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره مرفوعًا: «**إِنَّمَا هوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ العَبْدِ الصَّالِحِ**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤) من حديث عبدالله بن مسعود.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ

أراد أن من لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمن ولا اهتداء بالكلية، وأما من سلم منه فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مُقامه في الإسلام والإيمان. فلا يحصل الأمن التام والاهتداء التام إلا لمن لم يلق الله بكبيرة مصرًّا عليها، فأما إن كان للموحد ذنوب لم يتب منها حصل له من الأمن والاهتداء بحسب توحيده، وفاته منه بقدر معصيته، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالظالم لنفسه: هو الذي خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنبه، ونجَّاه بتوحيده من الخلود في النار.

وأما المقتصد: فهو الذي عمل بما أوجب الله عليه، وترك ما حرم عليه فقط، وهذه حال الأبرار.

وأما السابق: فهو الذي حصل له كمال الإيمان باستفراغه وُسعه في طاعة الله علمًا وعملاً.

فهذان لهم الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، فالكل للكل، والحصة للحصة؛ لأن كمال الإيمان يمنع صاحبه من المعاصي وعقوباتها، فلم يلقَ ربه بذنب يعاقب به، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

وهذا الذي ذكرته في معنى هذه الآية هو معنى ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وابن القيم رحمه الله في معناها[1]، وهو الذي دل عليه القرآن، وهو قول أهل السنة والجماعة، خلافًا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم.

قوله: (عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٧/٨١ ـ ٨٢)، و«فتح المجيد» ص (٣٢ ـ ٣٤).

شَهِدَ أَنْ لا إِلَٰهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ». أخرجاه[(١)].

«**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله...**» الحديث).

قوله: «**مَنْ شَهِدَ**»: لا ريب أن الشهادة لا تكون شهادة إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع، فيكون الشاهد ـ والحالة هذه ـ كاذبًا، لجهله بمعنى الذي شهد به. وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفيًا وإثباتًا، فنفيتَ الإلهية عن كل ما سوى الله بقولك: «**لَا إِلٰه**»، وأثبتَّ الإلاهيَّةَ لله وحده بقولك: «**إِلَّا الله**»، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: **١٨**].

فكم ضل بسبب الجهل بمعناها من ضل، وهم الأكثرون، فقلبوا حقيقة المعنى؛ فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين؛ أرباب القبور، والمشاهد، والطواغيت، والأشجار، والأحجار، والجن، وغير ذلك، واتخذوا ذلك دينًا، وشبهوا وزخرفوا، واتخذوا التوحيد بدعة، وأنكروه على من دعاهم إليه، فلم يعرفوا منها ما عرف أهل الجاهلية من كفار قريش ونحوهم، فإنهم عرفوا معناها، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: **٣٥ ـ ٣٦**].

والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكروا ما أنكره أولئك على من دعاهم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله؛ من القبور، والمشاهد، والطواغيت، ونحوها. فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه، وهؤلاء جهلوا هذا

---

(١) البخاري (**٣٤٣٥**) واللفظ له، ومسلم (**٢٨**).

....

المعنى وأنكروه. فلهذا تجده يقول: لا إله إلا الله، وهو يدعو مع الله غيره!

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الإله هو الذي تَأْلَهُهُ القلوبُ؛ محبةً، وإجلالاً، وإنابةً، وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلًّا، وخضوعًا، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلًا.

وقال الوزير أبو المظفر رحمه الله تعالى في «الإفصاح»: قوله: «شهادة أن لا إله إلا الله» يقتضي أن يكون الشاهد عالمًا بأن لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. قال: واسم (الله) مرتفع بعد (إلاّ) من حيث إنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه. قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لَمَّا نفيت الإلهية وأثبتَّ الإيجاب لله سبحانه؛ كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: الإله هو الذي يطاع فلا يعصى؛ هيبةً له، وإجلالاً، ومحبة، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلًا عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له. ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيءٍ من هذه الأمور ـ التي هي من خصائص الإلهية ـ كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.

وقال البقاعي: «لا إله إلا الله» أي: انتفى انتفاءً عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم. قال: وهذا العلم هو من أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف.

قلت: وهؤلاء المتأخرون جهلوا «لا إله إلا الله» وقلبوا حقيقة المعنى إلى معنى توحيد الربوبية، وهو القدرة على الاختراع، فأثبتوا ما نفته «لا إله إلا الله» من الشرك، وأنكروا ما أثبتته من إخلاص العبادة لله جهلاً منهم، وقد قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

قال محيي الدين النووي رحمه الله: اعلم أن باب الأمر بالمعروف

....

والنهي عن المنكر قد ضُيّع من أزمان متطاولة، ولم يبقَ منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقابُ الصالحَ والطالحَ.

قوله: (في هذه الأزمان) يعني: القرن الخامس والسادس، وإذا كان كذلك فما الظن بالقرن العاشر وما بعده؟! وقد استحكمت فيها الغربة.

ولشيخنا محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في تفسير هذه الكلمة كلام حسن بديع واضح، لم يسبق إلى مثله، فليراجع لمسيس الحاجة إليه.

قوله في الحديث: «وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ»: تأكيد لمعنى «لا إله إلا الله» الذي دلت عليه، ووضعت له، من باب اللّفّ والنشر المقدَّم والمؤخَّر، وهو بيان لحقيقة معنى هذه الكلمة؛ لأنها دلت بجملتها على التوحيد، فـ«**لا إله**» تنفي الشرك في العبادة قليله وكثيره، وبيَّنه بقوله: «**لَا شَرِيكَ لَهُ**» في إلهيته، وهي العبادة.

وقوله: «**وَحْدَهُ**»: هو معنى «إلاَّ الله»، فهو الإله الحق وحده، دون كل ما سواه من أهل السماوات والأرض، كما دلت على ذلك الآيات المحكمات، ومتواتر الأحاديث الصحيحة. فتدبر هذا البيان يطلعك على بطلان قول من يقول بجواز دعوة غير الله، والله تعالى يقول لنبيه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وغيرها من الآيات الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

فقوله: «**وَحْدَهُ**»: تأكيد للإثبات.

وقوله: «**لَا شَرِيكَ لَهُ**»: تأكيد للنفي.

وقوله: «**وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ**» أي: وشَهِد أن محمدًا عبده ورسوله، أي بصدق ويقين، وذلك يقتضي اتباعه، وتعظيم أمره ونهيه، ولزوم سنته ﷺ، وأن لا تعارض بقول أحد؛ لأنَّ غيره ـ ﷺ ـ يجوز عليه الخطأ، والنبي ﷺ قد عصمه الله تعالى، وأمرنا بطاعته والتأسي به، والوعيد على ترك طاعته بقوله

....

تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وقد وقع في التفريط في المتابعة وتركها، وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ على قوله ﷺ؛ لا سيما من العلماء كما لا يخفى.

قوله: «وَأَنَّ عيسى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسولُهُ»: فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده، كما في الآيات المحكمات، وما فيها من الرد على كفار النصارى، وهم ثلاث طوائف: طائفة قالوا: إن عيسى هو الله. وطائفة قالوا: إنه ابن الله. وطائفة قالوا: إن الله ثالث ثلاثة ـ يعنون عيسى وأمه ـ.

فبين الله تعالى في كتابه الحق، وأبطل الباطل، فقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾، والآيات بعدها.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ في مواضع في سورة المائدة [المائدة: ١٧ و٧٢].

وأخبر تعالى عما قاله المسيح عليه السلام وهو في المهد، فقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى

. . . .

مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم: ٢٧ - ٣٦].

فبيّن تعالى الصراط المستقيم الذي من سلكه نجا، ومن خرج عنه هلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠]، فبيَّن تعالى الصراط المستقيم بيانًا شافيًا كافيًا وافيًا، وأقام حججه على توحيده؛ فأحق الحق، وأبطل الباطل ولو كره المشركون.

قوله: «**وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ**» أي: قوله: «كن»، فخلقه بـ«كن» فكان؛ ففيه إثبات صفة الكلام لله تعالى، خلافًا للجهمية أيضًا.

قوله: «**وَرُوحٌ مِنْهُ**» أي: من الأرواح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام، وأخذ عليها العهد على أنه تعالى ربُّهم وإلٰههم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيات، وروح عيسى من تلك الأرواح التي خلقها الله تعالى.

وذكر ابن جرير(١) عن وهب بن منبه قال: نفخ جبريل في جَيْب دِرْع مريم، حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت.

وعن السدي: أن النفخة دخلت في صدرها فحملت.

وقال ابن جريج: يقولون: إنما نفخ في جيب درعها وكُمِّها. انتهى مختصرًا.

---

(١) في «تفسيره» (١٧٧٧٥، ١٧٧٧٦، ١٧٧٧٧) عند الآية ٢٢ من سورة مريم.

....

فجبريل نفخ، والله خلق بقول «كن» فكان، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الزمر: ٧٢]، فسبحان من لا يخلق غيره، ولا يُعبد سواه!

وقد أورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول الله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، فقال في الجواب: هذا ليس بخاصٍّ بعيسى عليه السلام، بل المخلوقات كلها كذلك، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، أي: خلقًا وإيجادًا، وعيسى كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته.

وفي هذا الحديث الرد على اليهود أعداء الله، وأعداء أنبيائه ورسله؛ فإنهم كانوا هم والنصارى في طرفي نقيض، فنسبوه إلى أنه ولد بَغِيٍّ قاتلهم الله!! فأكذبهم الله تعالى في كتابه، وأبطل قولهم، كما أبطل قول الغلاة من النصارى فيما تقدم من الآيات ونحوها.

فالنصارى غَلَوا في عيسى ابن مريم عليه السلام أعظم الغلو والكفر والضلال، واليهود جَفَوا في حقه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضل ضلالاً بعيدًا، بيَّنه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه، وبيّن تعالى الحق والصدق، ورفع قدر المسيح عليه السلام، وجعله من أولي العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب والشورى[١]، وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبروا، فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فهم أفضل الرسل على التحقيق، والنبي ﷺ أفضلهم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قوله: **«وَأَنَّ الجنَّة حَقٌّ»**: أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة، وما فيها من القصور، والثمار، والفواكه، والنعيم المقيم، والنظر إلى وجه الله الكريم، كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ

(١) الأحزاب: ٧، والشورى: ١٣، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد، صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين.

ولهما[١] في حديث عِتْبان: «**فإنَّ الله حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلٰهَ إلا الله، يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**».

أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

«**والنَّارَ حَقٌّ**»: أعدها الله تعالى لمن كفر به، وأشرك به في إلهيته وربوبيته، وألحد في أسمائه وصفاته.

ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل والمرسِل، فإن الله تعالى بيّن الجنة وما أعد فيها من النعيم المقيم، وذكر أنها دار المتقين، وذكر النار وما فيها من العذاب، وأنه أعدها لمن كفر به وأشرك.

وقوله: «**أدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ عَلى ما كانَ مِنَ العَمَلِ**»: جواب (مَنْ) الشرطية، أي: مَن شهد أن لا إله إلا الله ـ إلى آخره ـ أدخله الله الجنة، أي: بإخلاصه وصدقه، والإيمان برسوله وما أرسله به، وخالف النصارى واليهودَ في الغلو والجفاء في حق عيسى، وعلم يقينًا أنه عبد الله ورسوله، وآمن بالجنة والنار، فمن كان كذلك أدخله الله الجنة، وإن كان مقصِّرًا وله ذنوب. فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السيئات، فتدبر هذا الحديث فإنه عظيم، والله أعلم.

قوله: (ولهما في حديث عتبان: «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»):

قوله: (وَلَهُما) أي: البخاري ومسلم، وهذا حديث طويل اختصره المصنف، وذكر منه ما يناسب الترجمة؛ وهو قوله: «**من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**».

وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك. والصدق والإخلاص متلازمان؛ لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن من لم يكن مخلصًا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقًا فهو منافق، والمخلص: أن يقولها مخلصَ الإلهيةِ لله وحده، دون كل ما سواه.

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (**٤٢٥**)، ومسلم (**٣٣**).

....

وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الذي قال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقد قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩].

والحنيف: هو الذي ترك الشرك رأسًا، وتبرأ منه، وفارق أهله وعاداهم، وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]. فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق، وهو معنى الآية ونحوها إجماعًا، فهذا هو الذي ينفعه قول: لا إله إلا الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾.

وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله، ويستغيث به، من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر، كما ترى عليه أكثر الخلق. وهؤلاء وإن قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها، فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفيًا وإثباتًا، والجاهل بمعناها وإن قالها فإنه لا تنفعه؛ لجهله بما وضعت له الوضعَ العربيَّ الذي أريد منها من نفي الشرك. وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقّن له، فإذا انتفى اليقين وقع الشك.

ومما قيّدت به في الحديث قوله ﷺ: **«غير شاكّ»**[1]، فلا تَنْفَعُ إلا من قالها بعلم ويقين؛ لِقَوْلِهِ: صِدْقًا مِنْ قَلبِهِ، خالِصًا مِنْ قَلبِهِ[2]. وكذلك من قالها

---

(١) ورد هذا القيد في حديث أبي هريرة عند مسلم **(٢٧)** في قصة غزوة تبوك وما أصاب الناس من المجاعة، ودعاء النبيّ ﷺ على أزوادهم بالبركة، وفي آخرها قال ﷺ **«أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله: لا يلقى اللّهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكّ، فيُحجب عن الجنّة»**.

(٢) أخرج الإمام أحمد في «المسند» **(٥/٢٣٦)** من حديث معاذ رضي الله عنه، سمع النبي ﷺ يقول: **«من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه ـ** أو **يقينًا من قلبه ـ لم** =

وعن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ مُوسَى: يَا**

غير صادق في قوله، فإنها لا تنفعه، لمخالفة القلب اللسان، كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. وكذلك حال المشرك، فلا تُقبَل من مشرك، لمنافاة الشرك للإخلاص، ولِمَا دلت عليه هذه الكلمة مُطابقةً، فإنها دلت على نفي الشرك، والبراءة منه، والإخلاص لله وحده لا شريك له مُطابقةً، ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله: لا إله إلا الله، كما هو حال كثير من عبَدَة الأوثان؛ يقولون: لا إله إلا الله، وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص، ويعادون أهله، وينصرون الشرك وأهله.

وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٧ ـ ٢٨]، وهي «لا إله إلا الله». وقد عبّر الخليل عنها بمعناها الذي وُضعت له ودلّت عليه؛ وهو البراءة من الشرك، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، كما تقدم تقريره.

وكذلك من قالها ولم يَقبَل ما دلت عليه من الإخلاص؛ كان قوله لهذه الكلمة كذبًا منه، بل قد عكس مدلولها، فأثبت ما نفته من الشرك، ونفى ما أثبتته من الإخلاص.

فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسبب ذلك الجهلُ بمعناها، واتّباعُ الهوى، فيصدُّه عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من دينه الذي شرعه لعباده ورضيه لهم.

قوله: (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**قال موسى: يا رب! علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل: لا إله إلا الله. قال: كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى! لو أن السمٰوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ لمالت بهن لا إله**

= **يدخل النار ـ أو دخل الجنة ـ**» وقال مرّة: «**دخل الجنة، ولم تمسّه النار**». وإسناده على شرط الشيخين كما قال الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥/٤٧٠).

رَبِّ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُركَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لا إِلَهَ إِلا الله.

إلا الله»): فـ«لا» نافية للجنس نفيًا عامًّا، إلا ما استثني، وخبرها محذوف، تقديره: لا إله حقٌّ إلا الله. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]. فإلهيته تعالى هي الحق، وكل ما سواه من الآلهة فإلهيته باطلة، كما في هذه الآية ونظائرها.

فهذه كلمة عظيمة هي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وكلمة الإخلاص، وهي التي قامت بها السموات والأرض، وشرعت لتكميلها السنة والفرض، ولأجلها جُرِّدت سيوف الجهاد، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد. فمن قالها وعمل بها صدقًا وإخلاصًا، وقبولاً ومحبة وانقيادًا، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

وفي الحديث الصحيح(١): «**أَفْضَلُ الدُّعاءِ يَوْم عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ ما قُلْتُ أَنا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلي: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قديرٌ**».

وفي حديث عبدالله بن عمرو مرفوعًا: «**يُصاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتي على رؤوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيامَةِ، فيُنْشَرُ لهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعونَ سِجِلًّا، كلُّ سِجل مِنها مَدَّ البَصَر، ثُمَّ يُقال: أَتُنْكِرُ مِنْ هذَا شَيْئًا؟ فيَقولُ: لا يا رَبِّ! فيُقالُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيهابُ الرَّجُلُ، فيَقولُ: لا، فيُقالُ: بَلى إنَّ لَكَ عِنْدَنا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ. فيُخْرَجُ لهُ بِطاقةٌ فيها: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله، وَأَن مُحمَّدًا عَبْدُهُ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٤) بلفظ: «**خير الدُّعَاء دُعاءُ يوم عَرفة، وخير ما قُلتُ..**» إلخ الحديث، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحمّاد بن أبي حُميد هو محمد بن أبي حُميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني، وليس بالقويّ عند أهل الحديث».

لكن للحديث شواهد يتقوى بها؛ منها ما في الموطأ (٢١٦/١) من مرسل طلحة بن عبيد بن كَريز، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال الألباني في تخريج «المشكاة» (٧٩٧/٢). وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٥٠٣).

قَالَ: يَا رَبِّ! كُلُّ عِبَادكَ يَقُولُونَ هٰذَا، قَالَ: يَا مُوسَىٰ! لَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلٰه إِلا الله في كِفَّةٍ؛

وَرَسولُهُ، فيَقولُ: يا رَبِّ! ما هَذِهِ البِطاقةُ مَعَ هذِهِ السِّجلاتِ؟ فيُقالُ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ. فتوضَعُ السِّجلاّتُ في كِفَّةٍ وَالبِطاقةُ في كِفَّةٍ فطاشَتِ السِّجلاّتُ، وَثقُلَتِ البِطاقةُ». رواه الترمذي وحسنه(١).

قوله: «لو أنّ السموات السبع وعامرهن غيري» أي: كل من في السموات والأرض. وقوله: «غيري»: استثنىٰ ممن في السموات نفسه؛ لأنه العلي الأعلى تعالى وتقدّس، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، الشورى: ٤]، علو القهر، وعلو القدر، وعلو الذات، فالثلاثة كلها صفته، ودلت على كماله؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الآية في سبعة مواضع من كتابه(٢)، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وأمثال هذه الآيات.

فمن سلب علو الله تعالى على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة، وألحد في أسمائه وصفاته.

ومعنى هذه الكلمة: نفي الإلهية عن كل شيء سوى ما استثني بها، وهو الله تعالى، وفيه النص على أن الأرضين سبع كالسموات، لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٤)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/٢١٣).
وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع الصغير» (٨٠٩٥)، و«الصحيحة» (١٣٥).

(٢) وهي في: الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، طه: ٥، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤.

مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إلا الله»(١).

في الكتاب والسنة. وقد ذكر تعالى في سورة براءة وغيرها كثيرًا ممن يقولها ولم ينفعهم قولها؛ كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم، فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود.

فمنهم من يقولها جاهلاً بما وضعت له، وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، والصدق والإخلاص وغيرها، كعدم القبول ممن دعا إليها علمًا وعملًا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه، كحال أكثر من يقولها قديمًا وحديثًا، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر.

ومنهم من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كِبْر أو هوًى، أو غير ذلك من الأسباب، وهي كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وأما أهل الإيمان الخُلَّص فهم الذين أَتَوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودها التي قيّدت بها؛ علمًا ويقينًا، وصدقًا وإخلاصًا، ومحبةً وقبولاً وانقيادًا، وعادَوْا في الله، ووالَوا فيه، وأحبوا فيه، وأبغضوا فيه. وقد ذكرهم تعالى في مواضع من سورة براءة وغيرها، وخصهم بالثناء عليهم، والعفو عنهم، وأعد لهم جنته، وأنجاهم من النار؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٢١٨ ـ الإحسان)، والحاكم في «المستدرك» (١/٥٢٨ ـ ٥٢٩)، من طريق درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد مرفوعًا.
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».
لكن في حديث درّاج هذا عن أبي الهيثم ضعف، كما قال الحافظ في «التقريب»، فالإسناد ضعيف، والله أعلم.

وللترمذي - وحسنه - عن أنس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«قَالَ الله تَعَالى: يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقيتَنِي لا تُشْرِك بِي شَيْئًا؛ لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».**

﴿وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[(١)] [التوبة: ١٠٠]، **وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم، وما أعد لهم في الدار الآخرة، فهؤلاء ومن اتبعهم بإحسان هم أهل (لا إله إلا الله).**

فمن تدبر القرآن، وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده، والعمل بطاعته، والهرب من معصيته، وإيثار ما يحبه تعالى رغبة وعملًا، وترك ما يكرهه خشيةً ورجاءً، واعتبر الناس بأحوالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، ونياتهم، وإراداتهم، وما هم عليه من التفاوت البعيد: تبين له خطأ المغرورين؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لما بَعْدَ الموْتِ، والعاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نفْسَهُ هَواها، وَتَمنَّى عَلى اللّهِ الأَمانِيَّ»**[(٢)].

قوله: (وللترمذي - وحسّنه - عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَني بِقُرابِ** - بضم القاف - **الأَرْضِ خَطايا، ثمَّ لقِيتَني لا تُشرِكُ بي شَيْئًا، لأتيتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَةً»**[(٣)]: في هذا الحديث ما يُبيّن معنى «لا إله إلا الله»، التي رجحت بجميع المخلوقات وجميع السيئات، وأن ذلك هو ترك الشرك قليله وكثيره، وذلك يقتضي كمال التوحيد.

فلا يسلم من الشرك إلا من حقق توحيده، وأتى بما تقتضيه كلمة

---

(١) في الأصل المخطوط وردت الآية ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ بدل الآية المذكورة.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٦٤)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والإمام أحمد (١٢٤/٤)؛ جميعهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن شدّاد بن أوس مرفوعًا.
وهذا إسناد ضعيف؛ ابن أبي مريم ضعيف كما في «التقريب».
والحديث ضعّفه الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع الصغير» (٤٣٠٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٩) بسياق أتم وقال: «حسن غريب».
وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٧) لشواهده.

=

فيه مسائل:

الأولى: **سعة فضل الله.**

الثانية: **كثرة ثواب التوحيد عند الله.**

الثالثة: **تكفيره مع ذلك للذنوب.**

الرابعة: **تفسير الآية ٨٢ التي في سورة الأنعام.**

الخامسة: **تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.**

السادسة: **أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده، تبين لك معنى قول: «لا إله إلا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين.**

السابعة: **التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.**

الثامنة: **كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل (لا إله إلا الله).**

التاسعة: **التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممّن يقولها يخفّ ميزانه.**

العاشرة: **النص على أن الأرضين سبع كالسموات.**

الحادية عشرة: **أن لهن عُمَّارًا.**

الثانية عشرة: **إثبات الصفات، خلافًا للأشعرية.**

الثالثة عشرة: **أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان:**

الإخلاص من العلم واليقين، والصدق والإخلاص، والمحبة والقبول والانقياد، وغير ذلك مما تقتضيه تلك الكلمة العظيمة؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

= وأصحّ مما ذكره المصنف هنا ما في «صحيح مسلم» (٢٦٨٧) من حديث أبي ذرّ رضي الله عنه، مرفوعًا: **«يقول الله عزّ وجل: . . . ـ وفي آخره ـ: ومن لقيني بقُراب الأرض خطيئة لا يُشرك بي شيئًا، لَقِيتُه بمثلها مغفرة».**

«فَإِنَّ الله حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلٰهَ إلا الله، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» أنه ترك الشرك، ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عَبْدَي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: **«على ما كان من العمل»**.

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذِكْر الوجه.

❊ ❊ ❊

٢ ـ باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

قوله:

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

أي: ولا عذاب، كما في الحديث(١). وتحقيق التوحيد: تصفيته وتخليصه من شوائب الشرك والبدع، والإصرار على الذنوب، فمن كان كذلك فقد حقق توحيده. وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة، لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخُلَّص، الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه؛ كما قال تعالى في يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وفي قراءة: ﴿المُخْلِصين﴾، وهم في صدر هذه الأمة كثيرون، وفي آخرها هم الغرباء، وقد قلّوا، وهم الأعظمون قدرًا عند الله.

وقال تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩] أي: أخلصت ديني، وأفردت عبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: خَلَقهما وابتدعهما على غير مثال سبق. ﴿حَنِيفًا﴾ أي: في حال كوني حنيفًا، أي: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد،

---

(١) سيأتي قريبًا.

....

ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

ونظائر هذه الآية في القرآن كثير؛ كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية: يقول تعالى مخبرًا عمن أسلم وجهه لله، أي: أخلص له العمل، وانقاد لأوامره، واتبع شرعه، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله واتباع[1] ما به أمر، وترك ما عنه زجر[2].

فدلت هذه الآية العظيمة على أن كمال الإخلاص إنما يوجد بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله، كما تقدم في الباب قبل هذا.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠]): قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يمدح تعالى عبدَه ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء؛ بتبرِّيه من المشركين، ومن اليهودية، والنصرانية، والمجوسية.

وَالأُمَّةُ: هو الإمام الذي يُقتدَى به، والقانت: هو الخاشع المطيع، والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقال مجاهد: كان إبراهيم أمة، أي: مؤمنًا وحده، والناس كلهم إذ ذاك كفار[3].

قلت: كلا القولين حق؛ فقد كان الخليل عليه السلام كذلك، فتأمّل قول مجاهد، والله أعلم؛ لَمّا كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوّته ورسالته

---

(١) في «تفسير ابن كثير»: باتباع.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/٤٥١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/٥٩١ ـ ٥٩٢) باختصار.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٥٩].

عليه السلام، فمدحه الله تعالى بتبرِّيه من المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣ ـ ٨٤]، فهذا ـ والله أعلم ـ كان في ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام، ولم يكن إذ ذاك على وجه الأرض مسلم غيره، وبذلك جاء الحديث[1].

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته، وكَسر أصنام قومه، وصبر على ما أصابه في ذات الله. وهذا هو تحقيق التوحيد، وهو أساس الدين ورأسه؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١].

وأنت تجد أكثر من يقول: لا إلٰه إلا الله، ويدّعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته بدعوة من لا يضر ولا ينفع، من الأموات، والغائبين، والطواغيت، والجن، وغيرهم، ويحبهم ويواليهم، ويخافهم ويرجوهم، ويُنكِر على من دعا إلى عبادةِ الله وحده، وتركِ عبادةِ ما سواه، ويَزعُم أن ذلك بدعةٌ وضلالةٌ، ويعادي مَن عَمِل به وأحبه، وأنكر الشرك وأبغضه. وبعضهم لا يَعُدُّ التوحيد علمًا، ولا يلتفت إليه؛ لجهله به، وعدم محبته، فالله المستعان!

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٥٩]): قال العماد

---

(١) أخرج البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة مرفوعًا ـ في قصة كذبات إبراهيم عليه السلام ـ، وفيه قوله لامرأته سارة: «والله! إن على الأرض مؤمن غيري وغيرُكِ»، وفي لفظ: «فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرُكِ».

عن حُصَيْنِ بن عبدالرحمٰن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن

ابن كثير رحمه الله تعالى[١]: أي مع إحسانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون، وجلون من مكره بهم؛ كما قال الحسن البصري: المؤمن مَن جَمَع إحسانًا وشفقًا، والمنافق من جَمع إساءة وأمنًا.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي: يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية؛ لقوله تعالى عن مريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢] أي: أيقنت أن ما كان فهو من قدر الله وقضائه، وما شرعه الله: إن كان أمرًا فهو ما يحبه الله ويرضاه، وإن كان نَهْيًا فهو ما يكرهه ويأباه، وإن كان خبرًا فهو حق؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا هو الأحد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنه لا نظير له. انتهى.

قلت: فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد، ومعرفته على الحقيقة، ومحبته، وقبوله، والدعوة إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦]، وتضمنت هذه الآية كمال التوحيد وتحقيقه، وبالله التوفيق.

قوله: (عن حصين بن عبدالرحمن): هو الحارثي، من تابعي التابعين، عن الشعبي.

قال: (كنت عند سعيد بن جبير): هو الوالبي مولاهم، الفقيه، عن ابن عباس وخلق، قال اللالكائي: ثقة إمام حُجَة[٢]. قتله الحجاج بن يوسف، فما أمهله الله بعده.

قوله: (فقال: أَيُّكم رَأى الكَوْكَبَ الّذي انْقَضَّ البارِحَةَ) يعني: كوكبًا رُجم

---

(١) في «تفسيره» (٣/٢٤٩).

(٢) انظر «تهذيب الكمال» (١٠/٣٧٦).

في صلاة، ولكني لُدِغْتُ، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحُصَيب أنه قال: «لا رُقْيَةَ إلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ». قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْس مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظِيمٌ،**

به تلك الليلة، يقال: البارحة لِلَّيلة الماضية إذا زالت الشمس، وأما قبل الزّوال فيقال: الليلة[١].

قوله: (فقلتُ: أنا) أي: أنا رأيته. (ثمَّ قلت: أَمَا إني لَمْ أَكُنْ في صَلاةٍ): قال ذلك حذرًا من الشرك، لئلا يظن الحاضرون أنه قام من الليل للعبادة، فيكون قد ادّعى لنفسه ما لم يفعله. فما أشد حذر التابعين ومن قبلهم من الشرك دقيقِهِ وجليله، والحذر من أن يحمد بما لم يفعله! فما أعز من سلم من الشرك كما سيأتي.

قوله: (ولكن حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحُصَيبِ أنه قال: «لا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَينٍ أوْ حُمَةٍ»): هذا الحديث قد روي مرفوعًا[٢].

والشعبي: اسمه عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الإمام. روى عن عمر، وعلي، وابن مسعود، ولم يسمع منهم، وعن أبي هريرة، وعائشة، وجرير، وابن عباس، وخلق. قال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء. أي: كلّ ما سمع حفظه فحدث به من حفظه. توفي سنة ثلاث ومائة.

وبريدة: هو ابن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي، أسلم قبل بدر، وعمل على اليمن في أيام النبي ﷺ، صحابي مشهور.

قوله: (لَا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَينٍ أوْ حُمَةٍ): هـذا ـ والله أعلم ـ في أول

---

(١) نقله في «فتح المجيد» ص (٦٢) عن أبي العباس ثعلب وغيره.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٥١٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

....

الأمر، ثم رخّص في الرّقى إذا كانت بحق، والله أعلم.

قوله: (قد أحسنَ من انتهى إلى ما سمعَ): فيه حُسن الأدب مع العلم وأهله، وأن من فعل شيئًا سئل عن مستنده في فعله: هل كان مقتديًا أم لا؟ ومن لم يكن معه حجّة شرعية فلا عذر له بما فعله. ولهذا ذكر ابن عبدالبر[١] إجماع أهل العلم على أن المقلد ليس من أهل العلم، فتفطّن لهذا!

قوله: (ولكن حدثنا ابن عباس): هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، ابن عم النبي ﷺ، حبر الأمة، وترجمان القرآن، دعا له النبي ﷺ فقال: **«اللَّهُمَّ! فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»**[٢]، وصار آية في العلم والفهم، وكثرة ما روى من الأحاديث، على أنه من صغار الصحابة، لكن طَلَب الحديث من كبار الصَّحابة، فحفظ الأكثر مما كان عندهم، رضي الله عنهم أجمعين.

قوله: (أنَّ النبي ﷺ قال: **«عُرِضَتْ عَليَّ الأمَمُ»**): قلت: فالله أعلم متى عُرضت، وعَرْضُها: أن الله تبارك وتعالى أراه مثالها إذا جاءت الأنبياء يوم القيامة ومن تبعهم ممن نجا بالإيمان بالله، وبما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم، وهو عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، والأخذ بما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه؛ كما قال تعالى عن نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: ٢ ـ ٣]. فعبادته: توحيده، وتقواه: طاعته بامتثال ما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه، وطاعة رسوله. هذا هو الدين؛ أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع فعلاً وتركًا، وأن يقدّم طاعة رسوله على ما يحبه ويهواه.

قوله **«فَرَأَيْتُ النَّبيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ»**: الرهط: العشرة فما دون. **«وَالنَّبيَّ**

---

(١) في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١١٥ و١١٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/٢٦٦).

وأخرج البخاري (١٤٣) الشطر الأول منه، ورواه مسلم (٢٤٧٧) بلفظ: **«اللهم فقّهه»** فقط.

فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هٰذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ(١)، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ

وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ» أي: أتباعه، **«وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»** أي: يُبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجر: ١٠ - ١١].

وفيه دليل على أن الناجي من الأمم هو القليل قديمًا وحديثًا، والأكثر غلبت عليهم الطباع البشرية، فعصوا الرسل فهلكوا؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الروم: ٤٢]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

والناجون وإن كانوا أقل القليل فهم السواد الأعظم، لأنهم الأعظمون قدرًا عند الله وإن قلوا. فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة، وقد اغتر بهم كثيرون، حتى بعض من يدعي العلم؛ اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهّال الضلّال، ولم يلتفتوا إلى ما قاله الله ورسوله.

قوله: **«إِذْ رُفِعَ لِي سِوادٌ عَظِيمٌ، فظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتي، فقيلَ لي: هَذا مُوسى وَقوْمُهُ»**: فيه فضيلة أتباع موسى من بني إسرائيل، ممن آمن منهم بالرسل والكتب التي أنزلها الله: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وغيرها.

وكانت بنو إسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الأنبياء، ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود، وهذا الحديث يدل على أن التابع لموسى عليه السلام كثيرون جدًا، وقد قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]، أي: في زمانهم، وذلك أن في زمانهم وقبله ممن كفر بالله خلقًا لا يحصيهم إلا الله؛

---

(١) قال في «فتح المجيد» ص (٦٥): «وفي صحيح مسلم [زيادة]: **«ولكن انظر إلى الأفق»**، ولم يذكره المصنف، فلعلّه سقط من الأصل الذي نقل الحديث منه، والله أعلم». وانظر «صحيح مسلم» (٢٢٠).

عَظِيمٌ، فَقِيلَ لي: هَٰذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ». ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين

كحزب جالوت، وبُخْتَ نَصَّر، وأمثالهم، ففضّل الله بني إسرائيل بالإيمان، فصاروا أفضل أهل زمانهم، وحدث فيهم ما ذكر الله في سورة البقرة وغيرها؛ من معصيتهم لأنبيائهم، واختلافهم في دينهم، وقد ذكره الله تعالى محتجًّا به على اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، فتدبر ما ذكره الله تعالى من أحوالهم بعد الاختلاف.

قوله: «**فَنَظَرتُ فإذا سَوادٌ عَظيمٌ** ـ وفي رواية[١]: **قدْ سَدَّ الأُفُقَ** ـ، **فقيل لي: هَذِهِ أُمَّتكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعونَ أَلْفًا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسابٍ وَلاَ عَذابٍ**»: ففيه فضيلة هذه الأمة، وأنهم أكثر الأمم تابعًا لنبيهم ﷺ. وقد كثروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، فملأوا القرى والأمصار والقفار، وكثر فيهم العلم، واجتمعت لهم الفنون في العلوم النافعة، فما زالت هذه الأمة على السُّنة في القرون الثلاثة المفضَّلة، وقد قلوا في آخر الزمان.

قال شيخنا رحمه الله تعالى في مسائله[٢]: وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية. فالكمية: الكثرة والعدد، والكيفية: فضيلتهم في صفاتهم؛ كما في هذا الحديث بقوله: «**وَمَعَهُمْ سَبْعونَ أَلْفًا يَدْخُلونَ الجَنةَ بِغَيرِ حِسابٍ وَلا عَذابٍ**».

قوله: (ثَمَّ نَهضَ فدَخَل مَنزِلهُ فخاضَ النَّاسُ في أُولئِكَ) أي: الحاضرون له في ذِكْرِهم هذا الحديث، وفيه أيضًا: فضل الصحابة رضي الله عنهم في مذاكرتهم العلم، وحرصهم على فهم ما حدَّثهم به نبيهم ﷺ، حرصًا على العمل به. وفيه: جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل؛ لأنهم قالوا ما قالوا

---

(١) أخرج هذه الرواية البخاري (٣٤١٠).

(٢) هي المسألة التاسعة في هذا الباب.

ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخبروه، فقال: «**هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَكْتَوونَ، وَلا يَتَطيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». فقام عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ، فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**». ثم قام رجل فقال: ادع الله أن يجلعني منهم. فقال: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[1].

باجتهادهم، ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم. لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه، بل يقال: لعل الحكم كذا وكذا؛ كقول الصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث.

قوله: (فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُول الله ﷺ فأَخبروهُ، فقالَ: «**هُمْ الَّذينَ لا يَسْتَرقونَ، وَلا يَكْتَوونَ، وَلا يَتَطَيَّرونَ، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتوكَّلونَ**») أي: لا يطلبون الرُّقْية من أحد، ولا يكتوون إذا كان فيهم ما يستشفى بالكي منه، ولا يتطيرون، والطيرة شرك، فتركوا الشرك رأسًا، ولم ينزلوا حوائجهم بأحد، فيسألونه الرقية فما فوقها، وتركوا الكيّ وإن كان يراد للشفاء.

والحامل لهم على ذلك: قوة توكلهم على الله، وتفويضهم أمورهم إليه، وأن لا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبره وقضاه؛ فلا يرغبون إلا إلى ربهم، ولا يرهبون إلا منه، ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم، فلا يفزَعون إلا إليه وحده في كشف ضُرِّهم، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

قوله: (فَقامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحصَنٍ): صحابي مشهور؛ شهد بدرًا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وهو من بني أسد بن خزيمة، قتله طليحة بن خويلد شهيدًا، وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الردة، فقاتل بني أسد لردَّتهم عن الإسلام، وكان فيهم طليحة، وقد ادَّعى النبوة وصدقوه، فأكرم الله

---

(١) أخرجه بهذه القصة في أوله مع اختلاف يسير: مسلم في «صحيحه» (٢٢٠)، والإمام أحمد في «المسند» (١/٢١٧).

وأخرج حديث ابن عباس: البخاري في «الصحيح» (٣٤١٠).

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه؟

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

عكَّاشة على يده لمَّا كان كافرًا، ثم بعد ذلك هداه الله إلى الإسلام، وجاهد الفُرس مع سعد بن أبي وقاص، وصار له في الفرس وقائع معروفة في السير، وكان ممّن استشهد في قتالهم في وقعة الجسر المشهورة.

قوله: (فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ! ادْعُ الله أنْ يَجعَلَني مِنهُم) فيه: أن شفاعة الحي لمن سأله الدعاء إنما كانت بدعائه، وبعد الموت قد تعذر ذلك بأمور لا تخفى على من له بصيرة. فمن سأل ميتًا أو غائبًا فقد سأله ما لا يقدر عليه، وكل من سأل أحدًا ما لا يقدر عليه إلا الله فقد جعله ندًّا لله تعالى، كما كان المشركون كذلك، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه ربكم، وخالقكم ومَن قبلكم، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، فلا ترغبوا عنه إلى غيره، بل أخلصوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير.

قوله: «**أنْتَ مِنْهُمْ**»: لِمَا كان يعلمه ﷺ من إيمانه وفضله وجهاده؛ كما في الحديث: «**لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أهْلِ بَدرٍ فَقَال: اعمَلُوا مَا شِئتُم، فَقدْ غَفَرتُ لكُم**»[1].

قوله: (ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخرُ فَقالَ: ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَني مِنهُمْ، فقالَ: «**سَبَقَكَ بِها عُكَّاشَةُ**»): والظاهر أنه أراد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ سدّ الذريعة، لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك فيسأله من ليس أهلاً له، وذلك منه ﷺ تعريض كما لا يخفى.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

الخامسة: كون ترك الرقية والكيّ من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة؛ لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمّية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم؛ وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحُمَة.

السابعة عشرة: عُمق علم السلف؛ لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا. فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَم من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكّاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حُسن خُلُقه ﷺ.

❋ ❋ ❋

٣ ـ باب الخوف من الشرك

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦].

قوله:

باب الخوف من الشرك

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

قال النووي رحمه الله تعالى[١]: أمَّا دخول المُشركِ النارَ فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق بين الكتابي: اليهودي والنصراني، وبين عبَدَة الأوثان وسائر الكفَرَة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام، وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك[٢]. وأما دخول من مات غير مشرك الجنة، فهو مقطوع به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مصرًّا عليها دخل الجنة أوّلاً، وإن كان صاحب كبيرة مصرًّا عليها ومات على ذلك فهو تحت المشيئة، فإن عفا عنه دخل الجنة أولاً، وإلا عذِّب، ثم أخرج من النار، وخلِّد في الجنة. انتهى.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٩٧/٢).

(٢) في «شرح مسلم»: بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قلت: هذا قول أهل السنة والجماعة لا اختلاف بينهم في ذلك، وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك؛ لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك، وأوجب له الخلود في النار، وأطلق ولم يقيد، ثم قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فخصص وقيّد فيما دون الشرك، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه، فلا يرجى له معه نجاة إن لم يتب منه قبل الوفاة.

قوله: (وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾) أي: إبراهيم عليه السلام خليل الرحمٰن.

والخُلة أخص من المحبّة، ولهذا اختص بها الخليلان: إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾: وهذا أيضًا يُخيف العبدَ؛ فإذا كان الخليل إمامُ الحنفاء، الذي جعله الله أُمَّة واحدة، وابتلاه الله بكلمات فأتمهن، وقال: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ [النجم: ٣٧]، وأمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام، واشتد نكيره على أهل الشرك، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام؛ لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا الله، بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو، ولا بقوته. وما أحسن ما قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم!؟[١].

فهذا أمر لا يُؤمنُ الوقوع فيه، وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة، فاتُخِذت الأوثانُ وعُبدت، فالذي خافه الخليل عليه السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور، وصرفت لها العبادات بأنواعها، واتُخِذ ذلك دينًا، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح، واللات والعزى ومناة، وأصنام العرب وغيرهم. فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥٧٥٧).

وفي الحديث: «**أَخوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُم الشِّركُ الأَصْغَرُ**»، فسئل عنه؟ فقال: «**الرياء**».

العرب وغيرهم! بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الإلهٰية من شركهم في الربوبية مما يطول عَدُّه.

فذكر عليه السلام السبب الذي أوجب له الخوف عليه وعلى ذريته بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

وقد ضلّت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده، فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق، وما وقعوا فيه من الشرك العظيم، الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه، والوعيد على فعله، والثواب على تركه. وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن، وجهله بما أمر الله به ونهى عنه، نسأل الله الثبات على الإسلام، والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1] [المائدة: ١١٨]: ردَّ أمرهم إلى الله كما رد عيسى عليه السلام، وقد بين الله تعالى ـ فيما أنزله على نبيه محمد ﷺ ـ حُكمه في أهل الشرك، بأنه لا يغفره لهم، فلا معارضة، وقد بين حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

قوله: في الحديث لأصحابه ﷺ: «**أخوفُ ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر**». فسئل عنه فقال: «**الرِّياء**». وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي[2] عن محمود بن لبيد.

---

(١) كذا وقع في المخطوط هنا؛ ولعل المقصود بدلها قوله تعالى: على لسان الخليل: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤٢٨/٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٣١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»**. رواه البخاري(١).

فإذا كان يخافه ﷺ على أصحابه الذين وَحَّدوا الله بالعبادة، ورغبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته، فهاجروا وجاهدوا من كفر به، وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم، وما أنزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك، فكيف لا يخاف من لا نسبة له إليهم في علم ولا عمل مما هو أكبر من ذلك؟!

وقد أخبر ﷺ عن أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره(٢): **«حتى يَلْحَقَ قَبائِلُ مِنْ أُمّتي بِالمُشْرِكينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئامٌ مِنْ أُمَّتي الأَوْثانَ»**.

وقد جرى ما أخبر به ﷺ، وعمت به البلوى في أكثر الأقطار، حتى اتخذوه دينًا مع ظهور الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣١]. وهذا هو تحقيق التوحيد؛ كما تقدم في الباب قبله، ثم قال تعالى محذرًا عباده من الشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. ومن لم تخوفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه.

قوله: (وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ ماتَ وَهُوَ يَدْعو لِلَّه نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»**. رواه البخاري): وهذا الحديث فيه التحذير من الشرك أيضًا، والتخويف منه. والند: المثل والشبيه، فمن دعا ميتًا أو غائبًا، وأقبل إليه بوجهه وقلبه، رغبة إليه ورهبة منه، سواء سأله أم لم يسأله؛ فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله. ولهذا حرم الله تعالى اتخاذ

= وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩).

(١) في «الصحيح» (٤٤٩٧).

(٢) تحت باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، ويأتي تخريجه.

ولمسلم[١] عن جابر رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لَقِيَ الله لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الشفعاء، وأنكره على من فعل ذلك أشد الإنكار، لكونه ينافي الإخلاص، الذي هو إقبال القلب والوجه على الله في كل ما يخافه العبد، ويرجوه، ويتقرب به، ويدين به. ومن المعلوم أنه إذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن الله تعالى إلى غيره، وذلك ينافي الإخلاص، ويأتي بيان ذلك في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

قوله: (ولمسلم عن جابر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»):

فقوله: «**مَنْ لَقِيَ الله لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»: هذا هو الإخلاص؛ كما تقدم.

وقوله: «**وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**»: هذا هو الشرك، فمن لقي الله بالشرك دخل النار قلَّ أو كثر.

أما الشرك الأكبر: فلا عمل معه، ويوجب الخلود في النار، كما تقدم في معنى الآيات.

وأما الأصغر ـ كيسير الرياء، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقوله: ما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك ـ: فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات.

قال بعض العلماء: اقتصر على نفي الشرك؛ لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء، واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم، إذ مَن كذَّب رسُل الله فقد كذَّب الله، ومن كذَّب الله فهو مُشرك. فالمراد: من مات حال كونه مؤمنًا

---

(١) برقم (**١٥٢/٩٣**).

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر، لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العاشرة: فيه تفسير «لا إِلٰهَ إلا الله»، كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

بجميع ما يجب الإيمان به، إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي. انتهى.

* * *

٤ ـ باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

قوله:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

قال أبو جعفر ابن جرير[(١)]: يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدَّعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها؛ من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته: ﴿سَبِيلِىٓ﴾ وطريقتي، ودعوتي، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحده لا شريك له ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك، ويقين علم مني به. ﴿أَنَا۠ وَ﴾ يدعو إليه على بصيرة أيضًا ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ وصدّقني وآمن بي، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: يقول تعالى ذكره: وقل تنزيهًا للَّهِ وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني. انتهى.

---

(١) في «تفسيره» (١٠٤/٨).

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله** ـ وفي رواية: **إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا الله** ـ، **فَإِنْ هُمْ**

وهذه الآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الدَّاعون إلى الله تعالى، ومَنْ ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى، قاله العلامة ابن القيم رحمه الله[١].

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦]، وما زال النبي ﷺ وأصحابه يدعون إلى ما أمر الله به؛ من الدعوة إلى توحيده في العبادة، والنهي عن الشرك به، ويجاهدون على ذلك. والآيات في الأمر بذلك كثيرة جدًا، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

قوله: (وَعَنِ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنهُما ـ أي: عبدالله بن عباس ـ؛ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ لما بَعَثَ مُعاذًا إلى اليَمَن قالَ لَهُ: «**إِنَّك تأتي قوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ فلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تدْعوهُمْ إليْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله**...» الحديث): وأهل الكتاب المذكورون في هذا الحديث: مَن كان في اليمن من اليهود والنصارى إذ ذاك.

قوله: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله**» وكانوا يقولونها؛ لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه؛ من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه. فكان قولهم: «لا إله إلا الله» لا ينفعهم؛ لجهلهم بمعنى هذه الكلمة، كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة؛ فإنهم كانوا يقولونها، مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات، والغائبين، والطواغيت، والمشاهد، فيأتون بما ينافيها، فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم

---

(١) في «مدارج السالكين» (٥٠٢/٢) عند شرحه «منزلة الحكمة».

أَطَاعُوكَ لِذٰلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذٰلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذٰلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ». أخرجاه[1].

وقولهم وفعلهم، وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك، وظنوا أن معناها: القدرة على الاختراع! تقليدًا للمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم. وهذا هو توحيد الربوبية، الذي أقرَّ به المشركون فلم يدخلهم في الإسلام؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

وهذا التوحيد قد أقرَّ به مشركو الأمم، وأقر به أهل الجاهلية الذين بعث فيهم محمد ﷺ، فلم يُدخِلهم في الإسلام؛ لأنهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلهية؛ وهو إخلاص العبادة، ونفي الشرك والبراءة منه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، فهذا التوحيد هو أصل الإسلام. وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وأمثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت

---

(١) أي: البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩٠).

. . . .

إليه الرسل، وأُنزلت به الكتب في القرآن كثير، وسنذكر بعض ذلك إن شاء الله تعالى في هذا التعليق.

قوله: «**فَليَكنْ أوَّل**»: منصوب على أنه خبر «**يكن**» مقدم، و«**شَهادَةُ**» اسمها مؤخر، ويجوز العكس.

وفيه دليل على أن توحيد العبادة هو أول واجب؛ لأنه أساس الملة، وأصل دين الإسلام. وأما قول المتكلمين ومن تبعهم: إن أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال، فذلك أمر فطري فَطر الله عليه عباده، ولهذا كان مُفْتَتَح دعوةِ الرسُل أُمَمَهم إلى توحيد العبادة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢٦]، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى(١): هذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجوده شك؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفِطَر السليمة.

والمعنى الثاني: أفي إلٰهيته وتفرُّده بوجوب العبادة له شك؟ وهو الخالق لجميع الموجودات، فلا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مُقرَّة بالصانع، ولكن تعبُد معه غيرَه من الوسائط التي يظنون أنها تنفعهم، أو تقربهم من الله زلفى. انتهى.

قلت: وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الأول.

وروى أبو جعفر ابن جرير(٢) بسنده عن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم

---

(١) في «تفسيره» (٢/٥٢٦)، وهو هنا مختصر.

(٢) في «تفسيره» (١٥٢٠٤ و١٥٢٠٧) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

....

قالوا: ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السماوات والأرض، فهذا إيمانهم. وعن عكرمة أيضًا: تسألهم: من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله، فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره.

وتقدم أنَّ «لا إله إلا الله» قد قُيدت بالكتاب والسنة بقيود ثقال، منها: العلم، واليقين، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والقبول، والانقياد، والكفر بما يعبد من دون الله.

فإن اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة، وإن لم تجتمع هذه لم تنفعه، والناس متفاوتون في العلم بها والعمل، فمنهم من ينفعه قولها، ومنهم من لا ينفعه كما لا يخفى.

قوله: **«فإنْ هُمْ أطاعوكَ لِذَلِكَ، فأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمس صَلواتٍ في كلِّ يَوْم ولَيْلَةٍ»**: فيه دليل على أن المشرك لا يطالب بفعل الصلاة، إلا إذا أسلم بتركه الشرك باطنًا وظاهرًا؛ لأن الإسلام شرط لصحة العبادة، كما قال النووي رحمه الله ما معناه[(١)]: إنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم في الآخرة، والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة: المأمور به، والمنهي عنه، وهذا قول الأكثرين. انتهى.

قوله: **«فإنْ هُمْ أَطاعوكَ لِذَلِكَ، فأَعْلِمهمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فتُرَدُّ عَلى فُقَرائِهِمْ»**: فيه أن الزكاة لا تنفع إلا من وحّد الله، وصلى الصلوات الخمس بشروطها، وأركانها، وواجباتها.

والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى، ويدل على هذه الجملة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، فمن أتى بهذه الأمور أتى ببقية الأركان، لقوة الداعي إلى ذلك؛ لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لزومًا.

---

(١) انظر «شرح صحيح مسلم» (١/١٩٨).

. . . .

قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قال أنس في الآية: توبتهم خلعُ الأوثان، وعبادتُهم ربَّهم، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة[١].

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**أُمِرْتُ بِإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ، وَمَنْ لَمْ يُزَكِّ فلا صَلاةَ لهُ**»[٢].

وقال ابن زيد: «أَبى الله أَنْ تُقْبَلَ الصَّلاةُ إِلّا بالزَّكاةِ»[٣].

وفيه[٤] بيان مصرف الزكاة.

قوله: «**فإنْ هُمْ أَطاعوكَ لِذلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائمَ أَمْوالِهِمْ**»: تحذيرًا له من أن يتجاوز ما شرعه الله ورسوله في الزكاة، وهو أخذها من أوساط المال؛ لأن ذلك سبب لإخراجها بِطِيب نفس ونية صحيحة، وكل ما زاد على المشروع فلا خير فيه، وهذا أصل ينبغي التفطن له.

قوله: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ المظْلوم**»: يدل على أن العامل إذا زاد على المشروع صار ظالمًا لمن أخذ ذلك منه، ودعوة المظلوم مقبولة، ليس بينها وبين الله حجاب يمنع قبولها.

وفيه التحذير من الظلم مطلقًا، فعلى العامل أن يتحرى العدل فيما استعمل فيه، فلا يظلم بأخذ زيادة على الحق، ولا يحابي بترك شيء منه، فعليه أن يقصد العدل من الطرفين، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٣٣٢).
وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده ضعيف.
وضعّفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه».

(٢) لم نقف عليه مرفوعًا. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٠٩٥) من طريق أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله قال: «أُمِرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فمن لم يزكّ فلا صلاة له». وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/٦٢) وقال: «وله إسناد صحيح».

(٣) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/٣٣٧).

(٤) أي في قوله: «**فتردُّ على فقرائهم**».

ولهما[١] عن سهل بن سعد رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ الله عَلَىٰ يَدَيْهِ**». فبات الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يعطاها، فلما أصبحوا غدَوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبي**

قوله: (عن سهل بن سعد) أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري، الخزرجي الساعدي، أبو العباس، صحابي شهير، وأبوه صحابي أيضًا، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة.

قوله: (أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَة غدًا رَجُلًا يُحبُّ الله وَرَسولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسولُهُ، يَفْتَحُ الله عَلى يَدَيْهِ**»): الحديث فيه البشارة بالفتح، وهو عَلَم من أعلام النبوة، وقد وقع كما أخبر رسول الله ﷺ.

قوله: «**يُحِبُّهُ الله ورسولُهُ**»: قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف مختصًا بعليّ ولا بالأئمة؛ فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه، أو يكفرونه، أو يفسقونه كالخوارج. لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة، الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم، فإن الخوارج تقول في عليّ مثل ذلك، لكن هذا باطل؛ فإن الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافرًا.

وفيه: إثبات صفة المحبة لله، خلافًا للجهمية ومن أخذ عنهم.

وفيه: فضيلة أخرى لعلي رضي الله عنه؛ بما خصه به من إعطاء الراية، ودعوته أهل خيبر إلى الإسلام، وقتالهم إذا لم يقبلوا، وقد جرى له رضي الله عنه في قتالهم كرامات مذكورة في السير والمغازي.

وفيه: مشروعية الدعوة إلى الإسلام، الذي أساسه شهادة أن لا إله إلا الله، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ الآية [آل عمران: ١٠٤].

(١) أي: البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

طَالِبٍ؟». فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ**

قوله: (فقالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ؟**». فَقيلَ: هُوَ يَشْتكي عَيْنَيْهِ): قال المصنف رحمه الله تعالى[(١)]: فيه الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عمن سعى.

قوله: (فَأرْسَلَ إليْهِ) أي: النبي ﷺ؛ أرسل إليه من يأتيه به، وفي «صحيح مسلم» أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[(٢)]. وعن إياس بن سلمة، عن أبيه أن الذي جاء به سلمة رضي الله عنه[(٣)].

قوله: (فَبَصَقَ في عَيْنَيهِ) أي: تفل.

قوله: (وَدَعَا لهُ فَبرَأَ): هو بفتح الراء والهمزة، أي: عوفي في الحال عافية كاملة، وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في الحديث، فدعا له فاستجيب له عليه السلام. وفيه عَلَم من أعلام النبوة أيضًا، وذلك كله بالله ومن الله وحده، وهو الذي يَملك الضرَّ والنفعَ، والعطاء والمنع، لا إله غيره، ولا رب سواه.

قوله: «**أنْفُذْ**»: هو بضم الفاء والهمزة.

قوله: «**عَلى رِسْلِكَ**»: أَمَره أن يسير إليهم بأدب وأناة.

«**حَتى تَنزِلَ بِساحتِهِمْ**»: الساحة هي ما قرب من حصونهم.

قوله: «**ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلام**»: هذا هو شاهد الترجمة، وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدُهم بجهادهم هدايةَ الخلق إلى الإسلام والدخول فيه، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمَدهم ومرادهم ونيتهم.

---

(١) في المسألة الثالثة والعشرين من هذا الباب.
(٢) «صحيح مسلم» برقم (**٢٤٠٤**). وفيه: فقال: «**ادعُوا لي عليًا**»، فأُتِيَ به أرمد.
(٣) «صحيح مسلم» برقم (**١٨٠٧**).

حَقِّ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَن يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

يدوكون: أي يخوضون.

قال شيخ الإسلام[١]: دين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب، والخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلهًا آخر لم يكن مسلمًا، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب، وإقراره ومعرفته.

وقوله: **«وَأَخْبِرْهُمْ بِما يَجبُ عَلَيهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تعالى فيهِ»**: مما أمر به وشَرَعه من حقوق «لا إله إلا الله». وهذا يدل على أن الأعمال من الإيمان، خلافًا للأشاعرة والمرجئة في قولهم: إنه القول! وزعموا أن الإيمان هو مجرد التصديق، وتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة، لأن الدين ما أمر الله به فعلًا، وما نهى عنه تركًا.

وفيه الرد على المشركين المستدلين على الشرك بكرامات الأولياء؛ لدلالتها على فضلهم، وأمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره، وله من السابقة والجهاد والفضائل ما ليس لغيره. وقد خَدَّ الأخاديد وأَضْرَمَها بالنار، وقَذَف فيها مَن غلا فيه، أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم، فصار من أشد الصحابة رضي الله عنه بُعدًا عن الشرك، وشدَّةً على من أشرك، حتى أحرقهم بالنار.

وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ مع ما أعطي من الكرامات، صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه.

وهما أفضل أهل الكرامات، فما زادهم ذلك إلا قوة في التوحيد، وشدة على أهل الشرك والتنديد، كما جرى لعُمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس[٢]، وتَعْمِيَة قبر دانيال لمَّا وجده الصحابة في بيت مال

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٦٣/٧).

(٢) كما ثبت ذلك في «صحيح البخاري» (١٠١٠) من حديث أنس.

....

الهرمزان[1]، كما أن المعجزات إنما زادت الرسل قوة في الدعوة إلى التوحيد، وشِدَّةً على أهل الشرك والإنكار عليهم وجهادهم. لكن قد يقع من الأحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذِكْر ربه، ما قد يلتبس على الجهال الذين قد تلبسوا بالشرك، ويظنون أن ذلك كرامات، وهي من مكر الشيطان وإغوائه لمن لم يعرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

فكذلك يجب على كل أحد أن يطلب الحق من القرآن بتدبّره، فإنه الصراط المستقيم، ولا يلتفت إلى ما زخرفتْه الشياطين، كما اغتر به من اغتر في هذه الأمة ومن قبلهم.

قوله: «**وَأَخْبِرْهُمْ بما يَجبُ عَلَيهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تعالى فيه**»: من أداء الفرائض على الوجه الشرعي، والنهي عن تعدّي الحدود التي حدّها الله بين الحلال والحرام؛ وذلك من الإيمان. والأعمال كلها من مسمّى الإيمان؛ فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله، فإذا أخذ بالإسلام ـ الذي هو التوحيد والإخلاص ـ، وأحلَّ ما أحلَّه الله، وحرَّم ما حرَّمه الله، وأمر بذلك وجاهد عليه؛ فقد قام بما وجب عليه، وبالله التوفيق.

قوله: «**فَوَاللَّهِ!**» فيه: جواز حلف المفتي على ما أفتى به غيبًا.

قوله: «**لأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا واحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم**»: حُمْر النعم ـ بسكون الميم ـ: الإبل الحُمْر، وهي أَنْفَسُ الأموال عند العرب.

وفيه الترغيب في الدعوة إلى الله، وطلب الهداية لمن أراد الله هدايته؛

---

(١) أخرج قصة ذلك يونس بن بكير في زياداته على «مغازي ابن إسحاق»، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (١٩٩/٢).
وذكرها كذلك الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٠/٢) عن أبي العالية.
وقال: «وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية».

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنزيهُ الله تعالى عن المسبَّة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبَّة لله.

السادسة: ـ وهي من أهمها ـ: إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم، ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: «**أن يوحدوا الله**» معنى شهادة: أن لا إلٰه إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

ليحصل للداعي إلى الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدى، فلا ينبغي التفريط في هذه المطالب العالية، وبالله التوفيق.

قوله: (يدُوكونَ أي: يخوضون): بيّن المصنف رحمه الله تعالى معنى هذه اللفظة بأن المراد: خوضُ السامِعين في هذا الخير، وتمني حصوله. والله أعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتّقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تُحجَب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «**لأعطينَّ الراية**. . .» إلخ: عَلَم من أعلام النبوة.

العشرون: تفله في عينيه عَلَم من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكِهم تلك الليلة، وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يَسْعَ لها، ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «**عَلَى رِسْلِك**».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعُوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة؛ لقوله: «**أخبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عليهم**».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يَدَيه رجلٌ واحد.

الثلاثون: الحَلِفُ على الفُتْيا.

❊ ❊ ❊

٥ ـ باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

قوله:

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

قوله: (وشهادة أن لا إله إلا الله): من عطف الدالِّ على المدلول؛ لأن التوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة، وذلك يتبين بما ساقه من الآيات والحديث؛ لما فيها من زيادة البيان، وكشف ما أشكل من ذلك، وإقامة الحجة على من غالط في معنى «لا إلٰه إلا الله» من أهل الجهل والإلحاد.

قوله: (وقول اللّهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾): أي: أولئك الذين يدعوهم أهل الشرك، ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله؛ من الملائكة والأنبياء والصالحين؛ كالمسيح، وأمه، وَالعُزيْر، فهؤلاء دينُهم التوحيد، وهو بخلاف دين من دعاهم من دون الله، ووصفهم بقوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾، فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له، وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه.

وأعظم القربات: التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وأوجب عليهم العمل به، والدعوة إليه. وهو الذي يُقرِّبهم إلى الله، أي: إلى عفوه ورضاه، ووصف ذلك بقوله: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، فلا يرجون

....

أحدًا سواه تعالى، ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده؛ لأن ذلك يمنعهم من الشرك، ويوجب لهم الطمع في رحمة الله، والهرب من عقابه. والداعي لهم ـ والحالة هذه ـ قد عكس الأمر، وطلب منهم ما كانوا يُنكرونه من الشرك بالله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٦].

وفيه الرد على من ادعى أن شرك المشركين إنما هو بعبادة الأصنام، وتبين بهذه الآية أن الله تعالى أنكر على من دعا معه غيره؛ من الأنبياء، والصالحين، والملائكة، فمن دونهم، وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وأن ذلك ينافي ما دلَّت عليه كلمة الإخلاص.

فتدبر هذه الآية العظيمة يتبيّن لك التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد، فإنها نزلت فيمن يَعبُد الملائكةَ، والمسيحَ، وأمَّهُ، والعُزَيْرَ، فهم المعنيّون بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾.

ثم بيّن تعالى أن هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، وقدّم المعمول لأنه يفيد الحصر، يعني: يبتغون إلى ربهم الوسيلة لا إلى غيره.

وأعظم الوسائل إلى الله تعالى: التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وخلق الخلق لأجله.

ومن التوسل إليه: التوسل بأسمائه وصفاته؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وكما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات؛ كقوله: «**اللهم! إني أسألك بأنّ لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**»(١)، وقوله:

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٥٣)، والنسائي (٣/٥٢)، وابن ماجه (٣٨٥٨)؛ =

. . . .

«اللهم! إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد»(١)، وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يَشُبْها شرك.

فالتوسل إلى الله هو بما يُحبُّه ويرضاه، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزّه نفسه عنه بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣، الحشر: ٢٣]، وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله ـ في الإنكار على من اتخذ الشفعاء ـ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير؛ يأمر عباده بإخلاص العبادة له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، ويعظِّمه، ويعظم عقوبته، كما جرى على الأمم المكذِّبة للرسل فيما جاؤوهم به من التوحيد والنهي عن الشرك، فلم يقبلوا، فأوقع الله تعالى بهم ما أوقع؛ كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم، فإنهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد، وتمسكوا بالشرك، وقالوا لنوح: ﴿مَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧]، وقالوا لهود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . . .﴾ الآيات [هود: ٥٣ فما بعدها]، وقالوا لصالح: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]، وقالوا لشعيب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ

= من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ سمع رجُلًا يدعو به، فقال: **«لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطىٰ، وإذا دُعي به أجاب»**.
وصححه العلاّمة الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٣، ١٤٩٤)، والترمذي (٣٤٨٤)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (٨٩١، ٨٩٢) من حديث بُريدة الأسلمي؛ أن رسول الله ﷺ سمع رجُلًا يقول هذا الدعاء، فقال: **«لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب»**.
وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود».

وقـولـه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ . . .﴾ الآيات [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧].

أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ [هود: ٨٧].

فتدبر ما قص الله تعالى في كتابه مما دعت إليه الرسل، وما أوقع بمن عصاهم، فإن الله تعالى أقام به الحجة على كل مشرك إلى يوم القيامة.

وأما ما ورد في معنى الآية عن ابن مسعود قال: ناسٌ من الجن كانوا يُعبدون، فأسلموا. وفي رواية: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم(١).

قلت: وهذا لا يخالف ما تقدم؛ لأن هذه الآية حجة على كل من دعا مع الله وليًا للّهِ من الأولين والآخرين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه الآية: وهذه الأقوال كلها حق؛ فإن الآية تعم من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر(٢).

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾: الكلمة: هي «لا إله إلا الله» بإجماع أهل العلم، وقد عبر عنها الخليل عليه السلام بمعناها الذي أريد بها ووضعت له، فعبر عن المنفي بها بقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وعبر عما أثبتته بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فقصَرَ العبادة على الله وحده، ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك. فما أحسن هذا التفسير لهذه الكلمة، وما أعظمه.

قال العماد ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: أي هذه الكلمة؛ وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله»؛ جعلها في ذريته يَقتدي بها فيها من هداه الله من ذرية

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٤)، ومسلم (٣٠٣٠).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (١٥/٢٢٦).

وقولـه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ...﴾ الآية [التوبة: ٣١].

إبراهيم عليه السلام، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي: إليها.

قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ يعني: «لا إله إلا الله»، لا يزال في ذريته من يقولها[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾: الأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العُبَّاد.

وهذه الآية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مسلمًا دخل على رسول الله ﷺ، فقرأ عليه هذه الآية، قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم! قال: «**بَلى؛ إنَّهُمْ حرَّموا عَلَيهِم الحَلالَ، وَحَلَّلوا لهمُ الحرامَ، فاتَّبَعوهُمْ؛ فذٰلِكَ عِبادَتُهُمْ إيَّاهمْ**». رواه أحمد، والترمذي وحسّنه، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني من طرق[٢].

قال السدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فصار ذلك عبادة لهم، وصاروا به لهم أربابًا من دون الله، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠].

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/١٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغُطيف بن أعيَن ليس بمعروف في الحديث».
وأخرج الإمام أحمد (٤/٣٧٨) قصة إسلام عدي دون تفسير هذه الآية.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٤١٥) لابن سعد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه».
والحديث حسّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٧/٦٧).

....

قوله: ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: اتخذوه ربًا بعبادتهم له من دون الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى «لا إله إلا الله»، وتبين له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعي العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخري هذه الأمة. وقد عمت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة المفضَّلة، لَمَّا وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم، وبُنيت عليها المساجد، وبنيت لهم المشاهد، فاتَّسع الأمر، وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد، لَمَّا حدث الغلوّ في الأموات وتعظيمهم بالعبادة. فبهذه الأمور التي وقع فيها الأكثر عاد المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَريبًا، وَسَيَعودُ غَريبًا كَما بَدَأَ، فَطوبى للغُرَباءِ؛ الَّذينَ يَصْلحونَ إِذا فَسَدَ النَّاسُ**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «**الذين يصلحون. .**» إلخ.

وأخرجه الآجري في «الغرباء» من حديث ابن مسعود، وعنده: قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**».

وانظر تخريجه في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٣) للألباني رحمه الله.

وأما رواية: «**يصلحون ما أفسد الناس**» فهي عند الترمذي (٢٦٣٥) من حديث كثير بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه مرفوعًا بزيادة في أوّله، وفيه: «**الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنّتي**».

وكثير هذا ضعيف، ومنهم من نسبه إلى الكذب.

=

وقـولـه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ...﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

وفي رواية: «**يُصْلِحونَ ما أَفْسَدَ النَّاسُ**».

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ...﴾ الآية: الأنداد: الأمثال والنُّظراء، كما قال العماد ابن كثير(١) وغيره من المفسرين.

فكل من صرف من العبادة شيئًا لغير الله رغبة إليه أو رهبة منه فقد اتخذه ندًّا لله؛ لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فتوحيد المحبوب: أن لا يعدِّد محبوبه، أي: مع الله بعبادته له. وتوحيد الحب: أن لا يبقىٰ في قلبه بقية حب حتى يبذلها له. فهذا الحب وإن سمي عشقًا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن لا تكون محبته لغير الله، فلا يحب إلا لله؛ كما في الحديث الصحيح: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ...**»(٢) الحديث.

ومحبة رسوله هي من محبته، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي مُنقِصة لمحبة الله مُضعِفة لها. ويُصَدِّق هذه المحبة بأن تكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه ـ وهو الكفر ـ بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد.

ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة؛ فإن الإنسان لا يُقدِّم على محبة نفسه شيئًا، فإذا قَدَّم محبة الإيمان بالله على نفسه، بحيث لو خُيِّر بين الكفر

= وفي الباب عن عدّة من الصحابة، انظر «مجمع الزوائد» (٧/٢٧٧ ـ ٢٧٨)، و«الصحيحة» (١٢٧٣).

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (١/٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وتمامه: «...**وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممّا سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله، وأن يكرهَ أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذَف في النار**».

....

وإلقائه في النار لاختار أن يُلقى في النار ولا يكفر، كان أحب إليه من نفسه.

وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة، كما لا مثل لمن تعلقت به، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل والخضوع، والتعظيم والإجلال، والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا. وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان، ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركًا لا يغفره الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ...﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

والصحيح أن معنى الآية: أنَّ الذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأنداهم، كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا، كما لا يماثل محبوبهم غيره. وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته. انتهى.

قلت: وهو قول مجاهد(١).

قال في «الكافية الشافية»:

وحياة قلب العبد في شيئين مَنْ يُرْزَقْهما يَحيى مدى الأزمان
ذكر الإلٰه وحبّه من غير إشـ ـراك به وهما فممتنعان
من صاحب التعطيل [حقًّا] كامتنا ع الطائر المقصوص من طيران

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما معناه: فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجة، أو تفريج كربة؛ لزم أن يكون محبًّا له، ومحبته هي الأصل في ذلك. انتهى لفظه.

قلت: فمن أحبَّ مع الله غيره لم ينف ما نفته «لا إله إلا الله» من

---

(١) يعني: في معنى الآية، وانظر «تفسير الطبري» (رقم ١٩٩٤).

وفي «الصحيح»: عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَنْ قَالَ: لا إِلٰهَ إلا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

الشرك، ولم يثبت ما أثبتته من التوحيد، بل قد جعل مع الله شريكًا في إلٰهيته. وقد تبيّن أن الإلهية هي العبادة، فنفيها عمًّا سوى الله، وإثباتها لله وحده بجميع أنواعها هو معنى «لا إله إلا الله»، كما تقدم بيانه.

قوله: (في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: **«من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل»**).

قوله: (في «الصحيح») أي: صحيح مسلم[1]: عن أبي مالكٍ الأشجعيِّ، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فذكره. وأبو مالك: اسمهُ سَعدُ بنُ طارق، كوفيٌّ ثِقَةٌ، مات في حدود الأربعين ومائة. وأبوه طارق بن أشيم - بالمعجمة، والمثناة التحتية، وزن (أحمر) - ابن مسعود الأشجعي، صحابي، له أحاديث.

قوله: **«مَنْ قالَ: لاَ إِلٰهَ إلاّ الله، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللَّهِ»**: اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث:

الأول: قول «لا إله إلا الله» عن علم ويقين؛ كما هو قيد في قولها في غير ما حديث[2].

والثاني: الكفر بما يُعبَد من دون الله؛ لكن ذكر في هذا الحديث **«وكفر»** تأكيدًا لما دلت عليه؛ لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد.

قوله: **«حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسابُهُ عَلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**: فيه دليل أنه لا يَحرم ماله ودمه إلا إذا قال: «لا إله إلا الله»، وكفر بما يُعبَد من دون الله، فإن قالها ولم يكفر بما يُعبد من دون الله فدمه وماله حلال، لكونه لم يُنكِر الشرك ويكفر به، ولم ينفه كما نفته «لا إله إلا الله»، فتأمل هذا الموضع فإنه عظيم النفع.

---

(١) برقم **(٢٣)**.

(٢) انظر ما سبق في شرح حديث عِتبان رضي الله عنه تحت باب: فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب.

. . . .

قال المصنف[١]: وهذا من أعظم ما يُبيّن معنى «لا إله إلا الله»، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفرَ بما يُعبد من دون الله، فإن شك أو تردَّد لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أجلها! ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع. انتهى.

قوله: **«وَحِسابُهُ عَلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»** أي: الله تعالى هو الذي يتولَّى حسابه، فإن كان صادقًا جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا عذبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر[٢].

---

(١) انظر آخر الباب.

(٢) هكذا جاء شرح حديث أبي مالك الأشجعي رحمه الله في بعض الطبعات السابقة، وقد غاير المخطوط الذي عندنا ما ورد في المطبوع، فرأينا أن نثبته في الحاشية لفائدته، ولما فيه من زيادة البيان. وهذا نصه:

أبو مالك: اسمه سعد بن طارق، وأبوه طارق بن أشْيَم ـ بالمعجمة والمثناة التحتية، وزن (أحمر) ـ ابن مسعود الأشجعي، صحابي له أحاديث.

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي مالك قال: وسمعته يقول للقوم: **«من وحد الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل»**. وهذا الحديث الصحيح هو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾، وهي (لا إله إلا الله). والطاغوت: الشيطان وما أمر به من عبادة غير الله. قاله العماد ابن كثير. وقال العلامة ابن القيم: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع. فمن لم يكفر بالطاغوت لم يقل: (لا إله إلا الله) قولاً ينفع، لأنه لم يستمسك بها.

وقد تضمنت الجملة الأولى من (لا إله إلا الله) نفي الطاغوت بـ(لا) النافية، لأنها نفت الإلهية عن كل ما سوى الله. وهذا هو الكفر بالطاغوت، إذا قاله الإنسان عن علم ويقين كما تقدم بيانه.

وقوله: ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾: هو معنى (إلا الله)، لأن الإيمان هو الإخلاص، كما قال =

....

....

= تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، وقال: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، ونحو هذه الآيات؛ يبين فيها أصل الإيمان والإسلام، وهو نفي الشرك، وإخلاص العبادة لله وحده. فدلت هذه الكلمة على نفي الشرك، والبراءة منه، وإخلاص العبادة لله وحده، كما تقدم في قول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

ومعنى هذه الكلمة هو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، كما تقدم في الآيات التي في أول الكتاب وغيرها.

وقد اشتبه معنى هذه الكلمة العظيمة، التي هي الفارقة بين الكفر والإيمان؛ فظن الأكثر أنها دلت على توحيد الربوبية، وأنه هو معناها، كالأشعري وغيره من المتكلمين؛ قالوا: إن الإله هو القادر على الاختراع!

وهذا التوحيد قد أقر به المشركون من العرب وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ الآيات.

فلم يدخلهم هذا التوحيد في الإسلام، لأنهم جحدوا توحيد العبادة؛ وهو توحيد القصد والطلب، كما قال تعالى في دعوة الرسل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ فأجابوه بقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾، وقال: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾.

والآيات في بيان هذا التوحيد الذي قد جحده الأكثرون أكثر من أن تُحصر.

وفي حديث معاذ: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»، وقد تقدم الكلام عليه.

وهذا هو التوحيد الذي دعا إليه رسول الله ﷺ وجاهد الخلق عليه، وقاتل من لم يُقِرَّ به، وسبى ذراريهم ونساءهم، واستمر الجهاد عليه في القرون الثلاثة، حتى حدث من الشرك ما حدث بالغلو في أرباب القبور، وبناء المساجد عليها والمشاهد، فعمت =

وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

فيه **أكبر المسائل وأهمها**؛ وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبيَّنها بأمور واضحة:

منها: آية الإسراء؛ بيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة؛ بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وبيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يَعبُدوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعُبَّاد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

قوله: (وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب): فقد ذكر فيها رحمه الله تعالى ما يبين التوحيد وما ينافيه، وما يقرب من الشرك، وما يوصل إليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السلف من بُعدِهم عن الشرك في العبادة، وشدة إنكارهم له وجهادهم على ذلك.

وقد جمع هذا الكتاب ـ على اختصاره ـ من بيان التوحيد ما لا يُعذَر أحدٌ عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر، وكذلك الرد على أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك، واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع، فتدبره تجد ذلك بيِّنًا، وسيأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى فيما يأتي من الأبواب.

= البلوى بهذا، فأخذوا الشرك بدلاً عن التوحيد، فأنساهم ما وقعوا فيه من ذلك ما خُلِقُوا له من التوحيد، ودعوا إليه.

ولهذا جحده من جحده من هذه الأمة، اتباعًا لسنة من قبلهم من أعداء الرسل. فالحمد لله على بيانه بعد خفائه.

فيا لها نعمة ما أجلها لمن عرفه وقبله، ودان به، وأحبه، ودعا إليه. وبالله التوفيق. ويا خسارة من أنكره، وعادى من دان به، كحال الأكثرين من الأمم ومن بعدهم من هذه الأمة. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة: هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذَكَر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فَدلَّ على أنهم يحبّون الله حُبًّا عظيمًا، ولم يُدخِلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الندَّ حبًّا أكبر من حب الله؟! فكيف بمن لم يُحِبَّ إلا الندَّ وحده ولم يُحبَّ الله؟!

ومنها: قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ**»، وهذا من أعظم ما يُبيِّن معنى «لا إله إلا الله»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يَحْرُم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفرَ بما يُعبَدُ من دون الله، فإن شك أو توقف لم يَحرُم مالُه ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلّها! ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع!



٦ ـ باب من الشرك:
لبس الحلقة والخيط ونحوهما
لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ . . . ضُرِّهِۦٓ﴾ الآية [الزمر: ٣٨].

قوله:

باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه

أي: لرفعه إذا نزل، ودفعه قبل أن ينزل، يعني: إذا كان هذا هو القصد، فتعلق قلبه به في دفع ضرٍّ ـ مما قد نزل ومما لم ينزل ـ قد صرحت الأحاديث بأن هذا من الشرك بالله.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾): قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ، فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها.

قلت: فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو تمسك رحمة أنزلها على عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده، لزومًا لا محيد لهم عنه.

. . . .

وذكر تعالى مثل هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجّه في الله، فقال: ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فأقام تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الأمثال وغير ذلك. وهذا في القرآن كثير؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤١ ـ ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠ ـ ٢١].

ذكر العماد ابن كثير رحمه الله تعالى[١] في هذه الآية ما رواه ابن أبي

---

(١) في «تفسيره» (٤/٥٥) عند الآية ٣٨ من سورة الزمر.

وهذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٥١٦) من طريق قيس به، دون قوله: «**تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة**»، ولا قوله: «**واعمل لله بالشكر . .**» إلخ، وكذا مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وأخرجه تامًّا بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١/٣٠٧).

قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/٤٦٠ ـ ٤٦٢): «وقد رُوي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة؛ من رواية ابنه علي، ومولاه عكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعُبيدالله بن عبدالله، وعمر مولى غفرة، وابن أبي مليكة، وغيرهم.

وأصحّ الطرق كلّها طريق حنش الصنعاني التي خرّجها الترمذي، كذا قاله ابن منده وغيره.

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه وصّى ابن عباس بهذه الوصية من حديث علي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن سعد، وعبدالله بن جعفر، وفي أسانيدها كلها ضعف. =

عن عِمْران بن حُصَين رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلْقَةٌ من صُفْرٍ، فقال: «**مَا هذه؟**». قال: من الواهنة، فقال: «**انْزِعْهَا!**

حاتم عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس مرفوعًا: «**احْفظِ الله يَحفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تجاهَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللَّهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، إذا سَأَلتَ فاسْأَلِ الله، وَإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعوا عَلى أَن يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَكْتبْهُ الله عَلَيْكَ لَمْ يَضُرُّوكَ، وَلوِ اجْتَمَعوا عَلى أَنْ يَنْفَعوكَ بِشَيءٍ لم يَكْتبْهُ الله لَكَ لَمْ يَنْفَعوكَ، جَفَّت الصُّحُفُ، وَرُفِعَتِ الأَقْلامُ. وَاعْملْ للَّهِ بِالشكْرِ في اليَقينِ، وَاعْلَمْ أَنَّ في الصَّبرِ عَلى ما تكْرَهُ خَيرًا كَثيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبرِ، وَأَنَّ الفرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**».

قوله: (عن عمران بن حصين؛ أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «**ما هذه؟!**». قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها! فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مُتَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به):

قوله: (عمران بن حصين) أي: ابن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نُجَيد ـ بنون وجيم، مصغر ـ، صحابي ابن صحابي، أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

قوله: (رَأى رَجُلاً): في رواية الحاكم[1]: دخلتُ عَلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وَفي عَضُدي حَلْقَةُ صُفْرٍ، فَقالَ: «**مَا هٰذِهِ؟**»... الحديث، فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث.

قوله: «**مَا هٰذِهِ؟**»: الظاهر أنه للإنكار عليه.

= وذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلّها ليّنة، وبعضُها أصلح من بعض، وبكلّ حال: فطريق حنش التي خرّجها الترمذي حسنة جيّدة». اهـ.

(١) في «المستدرك» (٤/٢١٦).

فَإِنَّهَا لا تَزِيدكَ إِلا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِي عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا». رواه أحمد[1] بسند لا بأس به.

قوله: (مِنَ الواهِنَةِ): قال أبو السعادات: الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيُرقَى منها، وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء[2].

وإنما نهاه عنها لكونه يظن أنها تمنع عنه هذا الداء أو ترفعه، فأمره ﷺ بنزعها لذلك، وأخبر أنها لا تزيده إلا وهنًا، فإن المشرك يُعامَل بنقيض قصده؛ لأنه علَّق قلبَه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه. فإذا كان هذا بحلقة صُفْر، فما الظن بما هو أطمُّ وأعظم؟! كما وقع من عبادة القبور، والمشاهد، والطواغيت، وغيرها، كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل.

قال المصنف رحمه الله تعالى[3]: فيه شاهد لكلام بعض الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يعذر بالجهالة؛ لقوله: «**فإنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»، والفلاح: هو الفوز والظفر والسعادة.

قوله: (رواه أحمد بسندٍ لا بأس به): هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبدالله المروزي ثم البغدادي، إمام أهل عصره، وأعلمهم بالفقه والحديث، وأشدهم ورعًا ومتابعةً للسنة. وهو الذي كان يقول فيه بعض أهل السنة: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته الدنيا فأباها، والشُّبَه فنفاها.

روى عن: الشافعي، ويزيد بن هارون، وعبدالرحمن بن مهدي، ويحيى القطان، وابن عيينة، وعبدالرزاق، وخلق لا يُحصَون، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة رحمه الله تعالى.

---

(١) في «المسند» (٤/٤٤٥)، وسنده ضعيف من أجل عنعنة الحسن البصري عن عمران بن الحصين. وانظر «الضعيفة» للألباني (١٠٢٩).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/٢٣٤).

(٣) في المسألة الثانية والثالثة من هذا الباب.

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ**». وفي رواية: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**».

قوله: (وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «**مَنْ تعلَّق تميمَةً فلا أتمَّ الله لهُ، وَمَنْ تعلَّق وَدعَةً فلا وَدَعَ الله لهُ**»[١]. وفي رواية[٢]: «**مَنْ تعلَّق تميمَةً فقَدْ أَشْرَكَ**»): عقبة بن عامر: صحابي مشهور، فقيه فاضل، ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريبًا من الستين.

وهذا الحديث فيه التصريح بأن تعليق التمائم شرك؛ لِمَا يَقصِده مَن عَلَّقها لدفع ما يَضرُّه أو جلب ما ينفعه. وهذا أيضًا ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى «لا إله إلا الله»؛ لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضرٍ من سوى الله، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك، وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم، فإذا كان قد خفي على بعض الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبوة، فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب بعد ما حدث في الأمم ما حدث من البدع والشرك؟ كما في الأحاديث الصحيحة، وتقدمت الإشارة إلى ذلك[٣].

وهذا مما يبين معنى «لا إله إلا الله» أيضًا، فإنها نفت كل الشرك قليله وكثيره، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤/١٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٤١٧)، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» (١٢٦٦).

(٢) أخرجها الإمام أحمد (٤/١٥٦)، والحاكم (٤/٤١٧) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وصحّحها الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٤٩٢).

(٣) تحت باب: الخوف من الشرك.

ولابن أبي حاتم[١] عن حذيفة؛ أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحُمَّى فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

قوله: «**فَلا أتم الله لَهُ**»: دعاء عليه، وكذلك قوله: «**فَلا وَدَعَ الله لَهُ**» أي: لا جعله الله في دعة وسكون.

قوله: (ولابن أبي حاتم عن حُذيفة؛ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا في يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمى فقَطَعَهُ، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾): ابن أبي حاتم: هو الإمام أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس، المرادي التميمي الحنظلي الحافظ، صاحب «الجرح والتعديل»، و«التفسير»، وغيرهما. مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

وحذيفة: هو ابن اليمان، واسم اليمان حُسَيل ـ بمهملتين مصغر ـ، ويقال: حِسْل ـ بكسر ثم سكون ـ، العبسي ـ بالموحدة ـ، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، ويقال له: صاحب السر، وأبوه صحابي أيضًا. مات حذيفة في أول خلافة عليٍّ سنة ست وثلاثين.

قوله: (رَأَى رَجُلًا في يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّى، فَقَطَعَهُ وَتلا قوْلَه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾): فيه دليل على أن هذا شرك، وأن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر؛ لدخوله في عموم الشرك المنهي عنه في الآيات والأحاديث عمومًا وخصوصًا، لما قد عرفت أنه ينافي كمال الإخلاص.

إذا كان مثل هذا، وقد خافه ﷺ على الصحابة، كما تقدم في قوله: «**أَخوَفُ ما أخافُ عَليكُم الشِّرْكُ الأصغرُ**»، فإذا كان يقع مثل هذا في تلك القرون المفضلة، فكيف يُؤْمَنُ أن يقع ما هو أعظم منه؟

لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظم مما وقع من مشركي العرب

---

(١) في «التفسير» رقم (١٢٠٤٠).

. . . .

وغيرهم في الجاهلية، مما قد تقدم التنبيه عليه، حتى إنَّ كثيرًا من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم على من أنكر الشرك الأكبر، فصاروا هم والصحابة رضي الله عنهم في طرفي نقيض، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك، وهؤلاء ينكرون على من أنكر الشرك الأكبر، ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة! وكذلك كانت حال الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فيما بعثوا به من توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له وحده، والنهي عن الشرك به.

وقد بعث الله تعالى خاتم رسله محمدًا ﷺ بذلك كما بعث به من قبله، فعكس هؤلاء المتأخرون ما دعا إليه رسول الله ﷺ مشركي العرب وغيرهم، فنصر هؤلاء ما نهى عنه من الشرك غاية النصرة، وأنكروا التوحيد الذي بُعِث به غاية الإنكار، فإنه ﷺ لما قال لقريش: «**قولوا: لاَ إلَهَ إلاَّ الله، تُفْلِحوا**»[1]، عرفوا معناها الذي وُضِعَت له وأريد منها، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ الآيات [ص: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦].

وفي «صحيح البخاري»[2] وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤٩٢/٣، ٣٤١/٤)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٥/١)؛ كلهم من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن ربيعة بن عباد الديلي.
وقال الحاكم: «وإنما استشهدتُ بعبدالرحمن بن أبي الزناد اقتداءً بهما، فقد استشهدا جميعًا به».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢/٦): «رواه أحمد، وابنه، والطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحد أسانيد عبدالله بن أحمد ثقات الرجال».
وللحديث شواهد أوردها الهيثمي.

(٢) برقم (٧).

فيه مسائل:

الأولى: التغليط في لُبْس الحَلْقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة: أنّ الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر؛ لقوله: **«لا تزيدك إلا وهنًا»**.

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلّق شيئًا وُكِل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلَّق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط مِنَ الحُمَّى: مِنْ ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الوَدْعِ عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يُتمّ له، ومن تعلق ودعةً فلا ودع الله له، أي: ترك الله له.

النبي ﷺ: قال له: فَماذا يَأمُرُكمْ؟ قلت: يقول: اعْبُدوا الله وَحْدَهُ لا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئًا، واتْركوا ما يَقولُ آباؤُكُمْ، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والصلة.



٧ ـ باب ما جاء في الرقى والتمائم

في «الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن: لا يبْقيَنَّ في رقبة بعير قِلادةٌ من وَتَر ـ أو قِلادة ـ إلا قُطِعَتْ.

قوله:

باب ما جاء في الرقى والتمائم

أي: من النهي عما لا يجوز من ذلك.

قوله: (في «الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بَعْضِ أَسْفارِهِ، فأَرْسَلَ رَسولًا: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ في رَقَبَةِ بعيرٍ قِلادَة مِنْ وَترٍ ـ أَوْ قِلادَة ـ إِلَّا قُطِعَتْ): هذا الحديث في الصحيحين[١].

واسم أبي بشير: قيس بن عبيد. قاله ابن سعد. وقال ابن عبدالبر[٢]: لا يوقف له على اسم صحيح.

وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين، ويقال: إنه جاوز المائة.

قوله: (فَأرْسلَ رَسولاً): هو زيد بن حارثة، روى ذلك الحارث بن أبي

---

(١) البخاري (٣٠٠٥) ـ واللفظ له ـ، ومسلم (٢١١٥).

(٢) «الاستيعاب» (١٧٤/٤)، وقال: «وقد قيل: اسمه قيس بن عبيد من بني النجار، ولا يصح، والله أعلم».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رواه أحمد وأبو داود[١].

أسامة في «مسنده»، قاله الحافظ[٢].

قوله: (أن لا يَبقَينَّ): بفتح الياء والقاف، ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف، والوَتَر ـ بفتحتين ـ: واحد أوتار القوس.

وكان أهل الجاهلية إذا اخْلَوْلَقَ الوتر أبدلوه بغيره، وقلدوا به الدواب، اعتقادًا منهم بهذا أنه يدفع عن الدابة العين. ولهذا أمر النبي ﷺ بقطع الأوتار التي عُلِّقت على الإبل، لما كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها.

قوله: (أو قلادة إلا قُطِعَتْ): يحتمل أن ذلك شك من الراوي، ولأبي داود[٣]: «ولا قلادة» بغير شك، فعلى هذه الرواية تكون «أو» بمعنى الواو.

قال البغوي في «شرح السنة»[٤]: تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويعلقون عليها العُوَذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئًا.

قال أبو عبيد[٥]: كانوا يقلدون الإبل أوتارًا لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها، إعلامًا لهم بأن الأوتار لا ترد شيئًا.

قوله: (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رواه أحمد وأبو داود): وفي لفظ أبي داود: عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود؛ أن عبدالله رأى في عُنُقي خَيطًا،

---

(١) «المسند» (١/٣٨١)، و«السنن» (٣٨٨٣)، وصححه العلاّمة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) في «هدي الساري» ص (٢٩١).

(٣) في «سننه» برقم (٢٥٥٢).

(٤) «شرح السنة» (١١/٢٧).

(٥) انظر «غريب الحديث» (١/٢٠٩).

وعن عبدالله بن عكيم مرفوعًا: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**». رواه أحمد والترمذي[١].

فقالَ: ما هذا؟ قلتُ: خيطٌ رُقِيَ لي فيهِ. قالتْ: فَأَخَذَهُ ثم قطَعهُ، ثم قال: أَنْتُمْ آل عَبدِ اللَّهِ لَأَغنياءُ عَنِ الشِّرْكِ! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الرُّقى وَالتَّمائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[٢].

قال المصنف رحمه الله تعالى[٣]: لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت، فقد نهى عنها رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لكمال علمهم بما دلت عليه «لا إله إلا الله» من نفي الشرك قليله وكثيره؛ لتعلق القلب بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع.

وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين؛ عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه.

وفيه: ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من التحذير من الشرك،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣١٠/٤، ٣١١)، والترمذي (٢٠٧٢).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٣/٥): «رواه الطبراني في ترجمة أبي معبد الجُهني في الكنى، قال: وقد قيل: إنه عبدالله بن عُكيم. قلت ـ الهيثمي ـ: فإن كان هو، فقد ثبتت صحبته بقوله: سمعت، وفي إسناده محمد بن أبي ليلى، وهو سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات».
والحديث حسّنه الألباني في «غاية المرام» (٢٩٧) بناءً على شاهد مرسل صحيح عن الحسن البصري. والله أعلم.

(٢) لم نقف عليه عند أبي داود بهذا اللفظ، وإنما هو عند الإمام أحمد (٣٨١/١) بنحوه وزيادة قصة.

(٣) يأتي كلامه بعد قليل.

التمائم: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين؛ لكن إذا كان المعلَّق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، وقد تقدم دليله في الباب الذي قبل هذا.

قوله: (وعن عبدِاللَّهِ بْنِ عُكَيم مَرْفوعًا: **«من تَعلَّقَ شَيئًا وُكِلَ إليهِ»**. رواه أحمد والترمذي): وعبدالله بن عُكَيْم: بضم المهملة مُصغَر، ويكنى أبا معبد، الجهني الكوفي. قال الخطيب: سكن الكوفة، وقدم المدائن في حياة حذيفة، وكان ثقة.

قوله: **«من تَعلَّقَ شَيئًا وُكِلَ إليهِ»**: التعلق يكون بالقلب، وينشأ عنه القول والفعل، وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه، كما تقدم بيانه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله، وهو ينافي قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

فإن كان من الشرك الأصغر فهو ينافي كمال التوحيد، وإن كان من الشرك الأكبر ـ كعبادة أرباب القبور، والمشاهد، والطواغيت، ونحو ذلك ـ فهو كفر بالله، وخروج من دين الإسلام، ولا يصح معه قول ولا عمل.

قوله: **«وُكِلَ إليهِ»** أي: وكله الله إليه؛ إلى ما علق قلبه به من دون الله، ومن وكله الله إلى غيره ضل وهلك.

قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن قاسم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، حدثنا من سمع عطاء الخراساني، قال: لقيتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ وَهُوَ يَطوفُ بِالبَيْتِ فَقُلْتُ: حَدِّثْني بِحديثٍ أَحْفَظُهُ عَنْكَ في مَقامي هٰذا وَأَوْجِزْ. قال: نعم، أَوْحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: «يا داوُدُ! أَما وَعِزَّتي وَعَظَمَتي؛ لا يَعْتَصِمُ بي عَبْدٌ مِنْ عَبيدي دونَ خَلْقي، أَعْرِفُ ذلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ، فَتَكيدُهُ السَّمواتُ السَّبعُ وَمَن فيهن، وَالأَرَضونَ السَّبْعُ ومَنْ فيهِنَّ، إلّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ مَخرَجًا. أَما وَعِزَّتي وَعَظَمَتي، ما يَعْتَصِمُ عَبْدٌ مِنْ عَبيدي

والرقى: هي التي تُسمَّى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة.

والتِّوَلَة: شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى الإمام أحمد[1] عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا رُويفع! لعَلَّ الحَياةَ تَطُولُ بِكَ، فَأَخبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أو اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»**.

بِمخْلوقٍ دوني، أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ، إِلَّا قطَعْتُ أَسْبابَ السَّماءِ مِنْ يَدِهِ، وَأَسَخْتُ الأَرْضَ مِنْ تَحتِ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ لا أُبالي بِأَيِّ وادٍ هَلَكَ»[2].

وشاهد هذا في القرآن كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. فتدبر!

قوله: (وروى الإمام أحمدُ عن رُوَيْفِع قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا رُوَيْفع! لعَلَّ الحَياةَ تطولُ بكَ، فأَخبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَو اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دابَّةٍ أَوْ عظمٍ؛ فإِنَّ مُحمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»** الحديث): رويفع: هو ابن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، نزل مصر، ووَلِي برقة، له ثمانية أحاديث. قال عبدالغني: وليَ طرابلس، فافتتح إفريقية سنة سبع وأربعين. وقال ابن يونس: توفي بِبَرْقَةَ سنة ست وخمسين.

---

(١) في «المسند» (١٠٩/٤)، ورواه أبو داود (٣٦)، والنسائي (١٣٥/٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٧٩١٠).

(٢) لم نقف عليه من رواية الإمام أحمد، وإسناده ضعيف.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥/٤ ـ ٢٦) من طريق فرج بن فضالة، عن عطاء به نحوه.
وفرج ضعيف كما في «التقريب».
ويُروى مرفوعًا من حديث كعب بن مالك، ولا يصحّ. انظر «الضعيفة» (٦٨٨) للألباني رحمه الله.

. . . .

قوله: «**لعلَّ الحَياةَ تطولُ بكَ**»: فقد طالت حياته رضي الله عنه كما أخبر النبي ﷺ.

قوله: «**فَأخْبِرِ النَّاسَ أنَّ مَن عَقَدَ لحيتَهُ**»: قال الخطابي: أما نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين:

أحدهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب؛ كانوا يعقدون لحاهم، وذلك من زيِّ بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها، قال أبو السعادات: تكبرًا أو عجبًا.

ثانيهما: أن معناه معالجة الشَّعر ليتعقد ويتجعد. انتهى.

قلت: ويشبه هذا ما يفعله كثير؛ من فتل أطراف الشارب، فيترك أطرافه لذلك وهي بعضه. وفي حديث زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَأخُذْ مِنْ شارِبِهِ فلَيْسَ مِنَّا**». رواه أحمد، والنسائي، والترمذي، وقال: صحيح[1].

وفي «الصحيح»[2]: «**خالِفوا المُشْرِكينَ؛ احْفوا الشَّوارِبَ، وَاعْفوا اللِّحَى**».

وذلك يدل على الوجوب، وذكر ابن حزم الإجماع على أنه فرض، فيتعين النهي عنه لذلك.

قوله: «**أوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا**»: فيه ـ مع ما تقدم ـ: أنه شرك؛ لما كانوا يقصدونه بتعليقه على الدواب وغيرها.

قوله: «**أو اسْتَنْجَى بِرَجيعِ دابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فإِنَّ مُحمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**»: هذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٦٦/٤، ٣٦٨)، والترمذي (٢٧٦١)، والنسائي (١٥/١).
وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٨٩٢، ٥٨٩٣)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٩) من حديث ابن عمر مرفوعًا بنحوه.

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: «مَن قَطَع تميمةً مِن إنسان كان كعِدْل رقبة». رواه وكيع.

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها؛ من القرآن وغير القرآن.

دليل على أن هذا والذي قبله من الكبائر؛ لأن قوله: «**فإنَّ محمدًا بريء منه**» يدل على ذلك. وقال النووي رحمه الله تعالى: أي: بريء من فعله.

فهذا التأويل بعيد؛ لعود الضمير إلى (مَنْ).

وقد ورد النهي عن الاستنجاء بالروث والعظام في أحاديث صحيحة كما لا يخفى، منها ما رواه مسلم في «صحيحه»[(١)] عن ابن مسعود مرفوعًا: «لَا تَسْتَنْجوا بِالرَّوْثِ وَلا العِظامِ، فإنَّهُ زادُ إخْوانِكُمْ مِنَ الجِنِّ»، ولما روى ابن خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة مرفوعًا: نهى أن يستنجى بعظم أو روث، وقال: «**إنهما لا يطهِّران**»[(٢)]. وعليه: لا يجزئ الاستنجاء بهما، كما هو ظاهر مذهب أحمد.

قوله: (وعن سعيد بن جبير قال: «من قَطَعَ تَميمَةً مِنْ إنْسانٍ كانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ». رواه وكيع): هذا عند أهل العلم له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي، فيكون هذا مرسلًا؛ لأن سعيدًا تابعي، فعلى هذا يجب النهي عن تعليق التمائم، والترغيب في قطعها، وأن ذلك مما يجب.

وفيه ـ مع ما تقدم ـ: أنه شرك، وبيان حال السلف رضي الله عنهم من تعظيم الشرك قليله وكثيره، والنهي عنه. فلما اشتدت غربة الإسلام في أواخر

---

(١) برقم (٤٥٠) في قصة ليلة الجنّ، وفي آخرها: وسألوه الزاد، فقال: «**لكم كلّ عظم ذُكر اسم الله عليه، يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علفٌ لدوابكم**». فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم**».
وأخرجه الترمذي في «الجامع» (١٨) باللفظ الذي ذكره الشارح.

(٢) أخرجه الدارقطني في «السنن» (٥٦/١) وقال: إسناده صحيح. وأخرجه ابن خزيمة (٨٠) بلفظ آخر.

. . . .

هذه الأمة، صار إنكار هذا ـ وما هو أعظم منه ـ أعظم المنكرات، حتى عند من ينتسب إلى العلم كما لا يخفى.

ووكيع: هو ابن الجراح بن وكيع الكوفي، ثقة إمام صاحب تصانيف؛ منها «الجامع» وغيره، روى عنه الإمام أحمد وطبقته، مات سنة سبع وتسعين ومائة.

قوله: (وله عَنْ إبراهيمَ قال: كانوا يَكْرَهونَ التَّمائمَ كلَّها؛ مِنَ القرآنِ وغَيرِ القُرآنِ): إبراهيم: هو الإمام إبراهيم بن يزيد، النخعي الكوفي، يكنى: أبا عمران، ثقة من كبار الفقهاء، مات سنة ست وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها.

قوله: (كانوا يكرهون): أراد أصحاب عبدالله بن مسعود؛ كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سويد، وعَبِيدة السلماني، ومسروق، والربيع بن خُثَيم، وسُويد بن غَفَلة، وغيرهم، وهم من سادات التابعين، وفي زمانهم كانوا يطلقون الكراهة على المحرَّم.

وهذا القول الصحيح؛ لأن ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه بلا ريب، وأما إذا كان من القرآن فيتعين النهي عنه لأمور ثلاثة:

منها: دخوله في عموم المنهي عنه.

ومنها: كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن، فيفضي إلى عدم إنكارها.

الثالث: أن تعليق القرآن يكون سببًا في امتهانه، فلا بد أن يدخل به الخلاء ونحوه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: والرقى: هي التي تسمى العزائم، وخَصَّ منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَةِ. والتِّوَلةُ: هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التِّوَلَة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحُمَة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أم لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تَعلَّق وَتَرًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمةً من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبدالله بن مسعود.

قال الحافظ: التِّولة ـ بكسر المثناة، وفتح الواو واللام، مخففًا ـ: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر. والله أعلم.



٨ ـ باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ . . .﴾ الآيات[1] [النجم: ١٩ ـ ٢٣].

قوله:

باب من تبرَّكَ بشجر أو حجر ونحوهما

كبقعة، وقبر، ومشهد، وغير ذلك، و(مَن): اسم شرط، والجواب محذوف؛ تقديره: فقد أشرك بالله.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ . . .﴾ الآيات): هذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز، فاللات لأهل الطائف ومن حولهم من العرب، والعُزَّى لقريش وبني كِنَانة، ومناة لبني هلال، وقال ابن هشام: كانت لهُذيل وخُزَاعة.

واللات: بتخفيف التاء في قراءة الجمهور، وقرأ ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وحُمَيد، وأبو صالح، ورُوَيْس عن يعقوب: بتشديد التاء.

فعلى الأولى قال الأعمش: سَمَّوا اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز.

---

(١) قال في «تيسير العزيز الحميد» ص (١١٨): «هكذا ثبت في خط المصنف: «الآيات»، يعني: إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾».

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين، ونحن حُدَثَاء عَهْدٍ بكُفر، وللمشركين سِدْرَةٌ يَعْكُفُون عندها، وينوطون بها

وقال ابن كثير[١]: اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة، عليها بيت بالطائف، له أستار وسَدَنة، وحوله فِنَاء، مُعظَّم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تبعها؛ يفتخرون بها على مَن عداهم من أحياء العرب بعد قريش. قاله ابن هشام.

وعلى الثانية قال ابن عباس: كان رجلًا يلتّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره. ذكره البخاري[٢].

قلت: ولا منافاة بين ما ذكره البخاري وغيره؛ من عبادتهم الصخرة التي كان يلتّ السويق عليها باسمه، وعبادة قبره لما مات.

وأما العزّى؛ فقال ابن جرير: كانت صخرة عليها بناء وأستار، بنخلة بين مكة والطائف؛ كانت قريش يُعظِّمونها، كما قال أبو سفيان يوم أُحُدٍ: لنا العزّى ولا عزّى لكم. قال رسول الله ﷺ: «**قُولوا: الله مَوْلانا وَلا مَوْلى لكُمْ**»[٣].

ومناسبة هذه الآية للترجمة: أن عبادة المشركين للعُزّى، والصخرة، ومناة إنما كان بالْتِفَات القلوب رغبة إليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر، فصارت أوْثانًا تُعبَد من دون الله، وذلك من شدة ضلال أهل الشرك، وفساد عقولهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. فصارت عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين، وقد جرى ذلك ـ وما هو أعظم منه ـ في أواخر هذه الأمة.

قوله: (عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها

---

(١) في «تفسيره» (٤/٢٥٤).

(٢) في «الصحيح» برقم (٤٨٥٩)، دون قوله: «فلما مات عكفوا على قبره».

(٣) انظر «صحيح البخاري» (٣٠٣٩).

أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنْوَاطٍ، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذَاتَ أنواط كَمَا لَهُم ذاتُ أنواطٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ!ـ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». رواه الترمذي وصححه(١).

أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السنن، قلتُم ـ والذي نفسي بيده! ـ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، **لتركبن سنن من كان قبلكم**». رواه الترمذي وصححه).

قوله: (عن أبي واقِدٍ): هو صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة.

قوله: (خَرَجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ): يشير إلى أهل مكة ممن إسلامه قريب إذ ذاك.

قوله: (إلى حُنَين): هو اسم واد بشرقي مكة معروف، قاتل فيه رسول الله ﷺ هوازن؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥].

والوقْعَة مشهورة عند أهل المغازي والسِيَر وغيرهم، وما جَرى فيها من النصر، وأخذ أموالهم، وسبي ذراريهم ونسائهم؛ كما في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٦].

قوله: (وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ): يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريبًا إذ ذاك، فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث؛ بخلاف من تقدم إسلامه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٥) بلفظ آخر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٠١).

....

قوله: (وَللمشْرِكينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَها): عبادةً لها، وتعظيمًا، وتبركًا؛ لما كانوا يعتقدونه فيها من البركة.

قوله: (يُقالُ لها: ذاتُ أنْواطٍ): هو برفع التاء كما لا يخفى.

قوله: (يَنوطُونَ بِها أسْلِحتَهِمْ) أي: يُعلِّقونها.

قوله: (فَمَرَرْنا بِسِدْرَةٍ، فقُلْنا: يا رَسولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لنا ذاتَ أَنْواطٍ كَما لهمْ) أي: للمشركين (ذاتُ أنواطٍ)؛ ظنوا أن النبي ﷺ لو جعل لهم ذلك لجاز اتخاذها؛ لحصول البركة لمن اعتقدها فيها.

وأنواط: جمع «نوط»، وهو مصدر سُمِّي به المَنُوط.

قوله: (فقال النبيُّ ﷺ: «الله أكْبرُ!»): تعظيمًا لله تعالى عن أن يُجعَل له شريكٌ في عبادته، التي هي حقه على عباده؛ كالتبرك بالأحجار والأشجار ونحوها؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]، وهو الإخلاص، والشرك ينافي ذلك، وتقدم معنى «الحنيف».

وتضمنت هاتان الآيتان ـ وما في معناهما ـ التوحيد الذي دلت عليه «لا إله إلا الله» نفيًا وإثباتًا؛ كما تقدم بيانه.

فمن التفت قلبه إلى غير الله لطلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك، والقرآن كله في تقرير هذا الأصل العظيم؛ الذي هو أصل دين الإسلام، وهو الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه.

قوله: «**السُّنن**»: بضم السين، أي: الطُّرُق، يشير إلى الطرق التي تخالف دينه الذي شرعه تعالى لعباده.

قوله: «**قُلْتُم ـ وَالذي نفسي بِيَدِهِ!ـ**»: حلف النبي ﷺ على ذلك تأكيدًا لهذا الخبر، وتعظيمًا له. «**كما قالتْ بنو إسرائيلَ لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾»: أخبر أن التبرك بالأشجار والأحجار يجعلها آلهة، وإن لم يُسَمُّوها آلهة، ولذلك شَبَّه قولهم هذا بقول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «**الله أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبتهم كطَلِبَة

لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾.

فظهر بهذا الحديث أن التعلق على الأشجار والأحجار وغيرها ـ لطلب البركة بها ـ شرك في العبادة كشرك عُبَّاد الأصنام.

قوله: «**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ**» أي: اليهود والنصارى، وقد وقع كما أخبر به ﷺ في هذه الأمة، فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا، كما هو مذكور في الأحاديث الصحيحة؛ كحديث: «**لَتَتَّبِعُنّ سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّى لوْ دَخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدَخَلْتُموهُ**». قالوا: يا رسول الله! اليَهودُ والنَّصارى؟ قالَ: «**فَمنْ؟**»[(١)].

وهو في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وفي رواية[(٢)]: «**وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟**».

---

(١) يأتي تخريجه في (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان).

(٢) أخرجها البخاري (٧٣١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف: ١٣٨].

التاسعة: أن نَفْيَ هذا من معنى «لا إله إلا الله»، مع دِقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفُتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أنَّ الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدُّوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حُدَثَاء عهد بكفر» فيه: أن غيرهم لا يَجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجُّب، خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية؛ لقوله: «**إنها السنن**».

الثامنة عشرة: أن هذا عَلَم من أعلام النبوَّة؛ لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذمَّ الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه مقرَّرٌ عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر؛ أمَّا «مَن ربك؟» فواضح، وأمَّا «مَن نبيك؟» فمِن إخباره بأنباء الغيب، وأمَّا «ما دينك؟» فمن قولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ . . . إلخ.

الحادية والعشرون: أن سُنَّة أهل الكتاب مذمومة كسُنَّة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤمَن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة؛ لقولهم: «ونحن حُدَثَاء عهد بكُفر».

❊ ❊ ❊

٩ ـ باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٣ ـ ١٦٤]،

قوله:

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وَقَوْل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ...﴾ الآية.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى[١]: يأمره تعالى أن يُخبِر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له: أنه أخلص لله صلاته وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى. انتهى.

فالصلوات الخمس هي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين.

قوله: ﴿صَلَاتِي﴾: يشمل الفرائض والنوافل، والصلوات كلها عبادة. وقد اشتملت على نوعَي الدعاء؛ دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة، وما كان فيها من الحمد، والثناء، والتسبيح، والركوع، والسجود، وغير ذلك من الأركان والواجبات؛ فهو دعاء عبادة.

---

(١) في «تفسيره» (٢/١٩٩).

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢].

وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة؛ لأنها اشتملت على نوعَي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعًا. قرره شيخ الإسلام، وابن القيم رحمهما الله تعالى.

قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾: قال الثوري: عن السدي، عن سعيد بن جبير: ﴿وَنُسُكِي﴾: ذبحي(١). وكذلك قال الضحاك(٢).

قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: ما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالصًا لوجهه ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ أي: من هذه الأمة. وهذا قول أئمة التفسير.

والمقصود أن هذه الآية دلت على أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يُصرف منها شيء لغير الله؛ كائنًا من كان، فمن صرف منها شيئًا لغير الله، فقد وقع فيما نفاه تعالى من الشرك بقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد في عبادته وبيانه، ونفي الشرك والبراءة منه.

قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾: قال شيخ الإسلام(٣): أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنسك؛ الدالتان على القرب، والتواضع، والافتقار، وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عِدَته؛ عكسَ أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الآية. انتهى.

وقد قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...﴾ الآية [المائدة: ٣].

قوله: (عن عليّ رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: **«لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى**

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١١١٩).
(٢) أخرجه عنه الطبري (١١١٢٣).
(٣) في «مجموع الفتاوى» (١٦/٥٣١ ـ ٥٣٢).

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لَعَنَ الله مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ الله مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ الله مَنْ آوىٰ

محدثًا، لعن الله من غيّر منار الأرض». رواه مسلم): وعلي بن أبي طالب: هو الإمام أبو الحسن الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما، كان من أسبق السابقين الأولين، ومن أهل بدر وبيعة الرِّضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، ومَناقِبُه مشهورة رضي الله عنه، قتله ابن مُلْجِم الخارجي في رمضان سنة أربعين.

قال أبو السعادات[1]: أصل اللَّعن: الطرد، والإبعاد من الله.

قوله: «مَنْ ذَبَحَ لغيرِ اللَّهِ»: قال شيخ الإسلام: قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]: ظاهره أنه ما ذبح لغير الله؛ مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا. وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للَّحم وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه. كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: باسم الله. فإذا حرم ما قيل فيه: باسم المسيح والزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه: لأجل المسيح، أو الزهرة، أو قصد به ذلك أولى، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله، فعلى هذا لو ذبح لغير الله متقربًا به إليه يحرم وإن قال فيه: بِاسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح، والبخور، ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال.. إلخ.

قلت: ومن ذلك الذبح للجن.

قوله: «لعنَ الله من لعنَ والديْهِ»: يعني: أباه وأمه وإن عَلَيَا، وفي «الصحيح»[2]: أن رسول الله ﷺ قال: «مِنَ الكَبائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ والِدَيْهِ». قالوا:

---

(١) انظر «النهاية في غريب الحديث» (٤/٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) ـ واللفظ له ـ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

مُحْدِثًا، لَعَنَ الله مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ». رواه مسلم(١).

يا رَسولَ اللَّهِ! وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قال: «**نَعَمْ! يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَباهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**».

قوله: «**لَعَنَ الله مَنْ آوى مُحدثًا**»: هو بفتح الهمزة ممدودة، أي: ضمه إليه وحماه.

وأما «**محدثًا**»: فقال أبو السعادات: يُروى بكسر الدال وفتحها، على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر: مَن نَصَر جانيًا، وآواه وأجارَه مِن خَصمِه، وحال بينه وبين أن يَقتصَّ منه، والفتحُ: هو الأمر المبتدَع نَفْسُه، ويكون معنى الإيواء فيه: الرضى به والنصر، فإنه إذا ارتضى بالبدعة، وأقرّ فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه(٢).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه، فكلما كان الحَدَث في نفسه أكبر، كانت الكبيرة أعظم.

قوله: «**لَعن الله مَنْ غَيَّرَ مَنار الأَرْضِ**»: بفتح الميم: علامات حدودها، وهي التي توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور، قال في «النهاية»(٣) أي: معالمها وحدودها.

قلت: وذلك بأن يرفع ما جعل علامة على تمييز حقه من حق شريكه، فيأخذ من حق شريكه بعضه، فهذا ظلم عظيم، وفي الحديث: «**مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضينَ يَوْمَ القِيامَةِ**»(٤). فما أجهل أكثر الخلق! حتى وقَعوا بجهلهم وظلمهم فيما يَضرُّهم في دنياهم وأخراهم، وذلك لضعف الإيمان بالمعاد، والحساب على الأعمال، والجنة والنار، نسأل الله

---

(١) في «الصحيح» (١٩٧٨).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/٣٥١).

(٣) «النهاية في غريب الحديث» (١/١٨٣) تحت مادة: تخم.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد بنحوه مرفوعًا.

وعن طارق بن شهاب؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ»**. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: **«مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لأحَدِهِما: قَرِّبْ. قَالَ: لَيسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ. وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ»**. رواه أحمد[١].

العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

قوله: (عن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: **«دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب.** قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: **«مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرّب! قال: ليس عندي شيء أقرّب. قالوا: قرّب ولو ذبابًا. فقرّب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرّب! فقال: ما كنتُ لأقرّب لأحد شيئًا دون الله عز وجل. فضربوا عُنقه، فدخل الجنة»**. رواه أحمد).

قوله: (عن طارق بن شهاب): البجلي الأحمسي، أبو عبدالله. قال أبو داود: رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا.

قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه شيئًا فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح. وكانت وفاته ـ على ما جزم به ابن حبان ـ سنة ثلاث وثمانين.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[٢]: قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن

---

(١) في كتاب «الزهد» ص (١٥ ـ ١٦)، لكن من طريق سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن سلمان الفارسي موقوفًا. وإسناده صحيح.

(٢) في «الداء والدواء» ص (٥٢).

....

شهاب يرفعه قال: «**دَخَل الجَنَّةَ رَجُلٌ في ذُبابٍ...**» الحديث.

قوله: «**في ذُبابٍ**» أي: من أجله.

قوله: (قَالوا: وَكَيْفَ ذلكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟): كأنهم ـ والله أعلم ـ تقالُّوا هذا العمل وتقريب الذباب للصنم، فبيّن لهم النبي ﷺ أن من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النار.

قوله: «**مَرَّ رَجُلانِ عَلَى قَوْمٍ لهمْ صنمٌ، لا يَجوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فقالوا لأحَدِهِما: قَرِّبْ، فقَالَ: ليسَ عِنْدِي شَيءٌ أُقَرِّبُ، قالوا لهُ: قَرِّبْ وَلوْ ذُبابًا، فقَرَّبَ ذُبابًا، فخَلَّوْا سَبيلَهُ، فدَخَلَ النَّارَ**»: لأنه قصد غيرَ الله بقلبه، وانقاد بعمله، فوجبت له النار.

ففيه معنى حديث مسلم الذي تقدم في باب الخوف من الشرك عن جابر مرفوعًا: «**مَنْ لقي الله لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».

فإذا كان هذا فيمن قرَّب للصنم ذُبابًا، فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله؛ من ميت، أو غائب، أو طاغوت، أو مشهد، أو شجر، أو حجر، أو غير ذلك؟!

وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يَعُدُّون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شرعت فيه! وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي؛ لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله. وقد عمت البلوى بهذا وما هو أعظم منه.

قوله: «**وَقالوا لِلآخَرِ: قرِّبْ، فقال: ما كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فضَرَبوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ**»: ففيه: معرفة قدر الشرك في قلوب أهل الإيمان، ونفرتهم عنه، وصلابتهم في الإخلاص، كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي إن شاء الله تعالى: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ...**»، وفيه: «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يعَودَ في الكُفْرِ ـ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ الله**

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لَعنُ مَن لَعَنَ والديه، ومنه أن تلعن والدَي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى مُحدِثًا، وهو الرجل يُحدث شيئًا يجب فيه حق لله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غيَّر منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو بتأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيَّن، ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرِّهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل، ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «**دخل النار في ذباب**».

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ**

مِنْهُ ـ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ».

وفيه تفاوت الناس في الإيمان؛ لأن هذا الرجل الذي قرَّب الذباب لم يكن له عمل يستحق به دخول النار قبل ما فعله مع هذا الصنم، كما هو ظاهر الحديث، والله أعلم.

شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذٰلِكَ»(١)

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٤٨٨).

١٠ ـ باب لا يُذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨].

قوله:

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

أشار رحمه الله تعالى إلى ما كان الناس يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم إلى التوحيد؛ من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم، ويتَّخذون للذبح لهم مكانًا مخصوصًا في دُورهم، فنفى الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الإسلامية. فللَّه الحمد على زوال الشرك والبدع والفساد، بطلعة الداعي إلى توحيد رب العباد.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا...﴾ الآية) أي: مسجد الضرار المذكور في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾، وهو مسجد قُباء، فقد أُسِّس على التقوى من أول يوم قَدِم فيه ﷺ المدينة مهاجرًا، وكان أهل مسجد الضرار قد بَنَوه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك، فأتوه فسألوه أن يُصلِّيَ فيه، وذكروا له

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً بِبُوَانَةَ، فسأل النبي ﷺ، فقال: «هَلْ كَانَ فِيها وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ

أنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية، فقال: «إنَّا على سَفَرٍ، ولكِنْ إذا رَجعْنا إنْ شاءَ الله». فلما قَفَلَ عليه السلام راجعًا إلى المدينَةِ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إلاَّ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُهُ، نَزَلَ الوَحْيُ بِخبَرِ المسْجِدِ، فَبَعَثَ إليْهِ وَهَدَمَهُ قبْلَ قدومِهِ إلى المدينةِ صَلواتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَأَنْزَلَ الله فيهِ هذِهِ الآياتِ[1].

ووجه مطابقة الآية للترجمة: أن هذا المسجد لما أُسِّس على معصية الله والكفر به؛ صار محل غضب، فنهى الله نبيه ﷺ أن يقوم فيه؛ لوجود العلة المانعة، وخرج مخرج الخصوص، والنهي عام. وما كان مثله من الأمكنة مما أُعدّ للمعصية وخصّ بفعلها فيه فإنه يُعطَى حكمه؛ لأن المعصية صَيَّرته مَحلاً خبيثًا، وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه، ويقابل ذلك المساجد؛ فإن الله شرفها لما بُنيت لطاعته، والصلاة فيها جُمعة وجماعة، وهي أشرف بقاع الأرض، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ...﴾ الآية [النور: ٣٦ ـ ٣٧]. فما أحسن هذا القياس! ويأتي تقريره في الحديث في الباب إن شاء الله تعالى.

قوله: (عن ثابتِ بنِ الضَّحَّاكِ قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**». قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**». قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**». رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما).

قوله: (عن ثابت بن الضحاك) أي: ابن خليفة الأشهلي، صحابي مشهور، روى عنه أبو قلابة وغيره، مات سنة أربع وستين.

قوله: (بِبُوانَةَ): بضم الباء، وقيل: بفتحها.

---

(١) انظر تمام القصة في «تفسير ابن كثير» (٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩).

يُعْبَدُ؟». قالوا: لا. قال: «**فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**». قالوا: لا.

قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يَلَمْلَم.

قال أبو السعادات: هضبة من وراء يَنبع.

قوله: «**فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**»: فيه: المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله. قاله المصنف رحمه الله تعالى[١]، وهو شاهد الترجمة.

قوله: «**فَهَلْ كانَ فِيها عِيدٌ مِنْ أَعْيادِهِمْ؟**»: قال شيخ الإسلام: العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد؛ عائد إما بعَوْدِ السنة، أو بعَوْدِ الأسبوع، أو الشهر ونحوه. والمراد به هنا: الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية، فالعيد يجمع أمورًا:

منها: يوم عائد؛ كيوم الفطر، ويوم الجمعة. ومنها: اجتماع فيه. ومنها: أعمال تتبع ذلك؛ من العبادات أو العادات.

وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكلٌّ من هذه الأمور قد يسمى عيدًا، فالزمان: كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «**إنَّ هَذا يَوْمٌ جَعَلَهُ الله للمُسْلِمِينَ عِيدًا**»[٢]، والاجتماع والأعمال: كقول ابن عباس رضي الله عنه: شَهِدْتُ العيدَ مَعَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ[٣]. والمكان: كقول

---

(١) في المسألة السادسة من هذا الباب.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (١٠٩٨) من حديث ابن عباس بنحوه مرفوعًا.
وقال البوصيري في «الزوائد»: «في إسناده صالح بن أبي الأخضر، ليّنه الجمهور، وباقي رجاله ثقات».
وأخرجه الإمام مالك في «الموطأ» رقم (١١٣) عن عبيد بن السبّاق مرسلًا.
وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع الصغير» (٢٢٥٨).

(٣) أخرجه بنحو هذا اللفظ: الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٢/١)، وتمامه: «..وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم صلّى قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة».
وأخرج البخاري (٩٧٧) وغيره من حديث ابن عباس؛ أنه سئل: أشهدت العيد مع النبي ﷺ؟ قال: نعم، ولولا مكاني من الصِّغَر ما شهدتُه... الحديث.

فقال رسول الله ﷺ: **«أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلا**

النبي ﷺ: **«لا تَتَّخِذوا قَبري عيدًا»**[١].

وقد يكون لفظ «العيد» اسمًا لمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب؛ كقول النبي ﷺ: **«دَعْهُما يا أبا بكرٍ؛ فإنَّ لِكلِّ قَوْمٍ عِيدًا»**[٢]. انتهى[٣].

وقد أحدث هؤلاء المشركون أعيادًا عند القبور التي تُعبَد من دون الله، ويسمونها عيدًا؛ كمولد البدوي في مصر وغيره، بل هي أعظم؛ لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة.

قال المصنف رحمه الله تعالى[٤]: وفيه استفصال المفتي، والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية، ولو بعد زواله.

قلت: وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين مَحَلًّا للعبادة؛ لكونها صارت مَحلًّا لما حرم الله من الشرك والمعاصي. والحديث ـ وإن كان في النذر ـ فيشمل كل ما كان عبادة لله، إذ لا فرق، فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة، التي اتُّخِذت محلًّا لما يُسخِط الله تعالى.

فبهذا صار الحديث شاهدًا للترجمة، والمصنف رحمه الله تعالى لم يُرِد التخصيص بالذبح، وإنما ذكر الذبح كالمثال.

وقد استُشكِل جعلُ محلِّ اللات بالطائف مسجدًا، والجواب ـ والله أعلم ـ: أنه لو تُرِك هذا المحل في هذه البلدة، لكان يخشى أن تَفتتن به قلوب الجُهَّال، فيرجع إلى جعله وثنًا كما كان يفعل فيه أولاً، فجعله مسجدًا ـ والحالة هذه ـ يُنسي ما كان يُفعل فيه، ويَذهب به أثر الشرك بالكلية، فاختص هذا المحل لهذه العلة، وهي قوة المُعارِض، والله أعلم.

قوله: **«فَأَوْفِ بِنذْرِكَ»**: وذلك لعدم المانع.

---

(١) يأتي تخريجه تحت (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد...).
(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣١)، ومسلم (٨٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٤٩٦).
(٤) في المسألتين: الرابعة والسادسة من هذا الباب.

فيمَا لاَ يَمْلكُ ابنُ آدَمَ». رواه أبو داود[1]، وإسناده على شرطهما.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٧].

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المُشْكِلة إلى المسألة البيِّنة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

قوله: «**فإنَّهُ لا وَفاءَ لِنَذْرٍ في مَعْصِيَةِ اللَّهِ**»: فالحديث دل على أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لا يجوز أن يُعبَد الله فيها، ونذرُ ذلك معصية لا يجوز الوفاء به.

قوله: «**وَلا فِيما لا يَملكُ ابنُ آدَمَ**»: قال في «شرح المصابيح»: يعني إذا أضاف النذرَ إلى مُعيَّن لا يملكه، بأن قال: إن شفى الله مريضي فللَّه عليَّ أن أعتقَ عبدَ فلان، ونحو ذلك. فأما إذا التزم في الذِّمَّة شيئًا، بأن قال: إن شفى الله مريضي، فللَّه عليَّ أن أعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يَملكها ولا قيمتَها، فإذا شفى الله مريضه ثبت ذلك في ذمته.

قوله: (رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما) أي: البخاري ومسلم.

وأبو داود اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد، الأزدي السجستاني، صاحب الإمام أحمد بن حنبل، ومصنف «السنن» و«المراسيل» وغيرها، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى.

---

(١) في «السنن» (**٣٣١٣**)، وصحح إسناده الحافظ في «التلخيص» (**٢٥٥٠**).

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

* * *

١١ ـ باب من الشرك النذرُ لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الدهر: ٧]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول اللّهِ تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى[1]: أي: يتعبَّدون لله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.

قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: قال ابن كثير[2]: يخبر الله تعالى بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات، وتضمّن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وأما النذر لغير الله؛ كالنذر للأصنام،

---

(١) في «تفسيره» (٤/٤٥٥).

(٢) (١/٣٢٣).

....

والشمس، والقمر، والقبور ونحو ذلك، فهو شرك.

وقال ـ فيمن نذر للقبور ونحوها دهنًا لِتُنَوَّر به، ويقول: إنها تَقبل النذر! كما يقوله بعض المشركين ـ: فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين؛ لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالاً للسَّدَنة، أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة، فإن فيهم شَبَهًا من السَّدنَة التي كانت عند اللاَّت والعُزَّى ومناة؛ يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شَبَه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. فالنذر لأولئك السَّدنَة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية، وفيه شَبَه من النذر لِسَدَنة الصُّلبان، والمجاورين عندها. انتهى.

وذلك لأن الناذر لله وحده قد علَّق رغبته به وحده؛ لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله.

والعبادة إذا صُرِفت لغير الله صار ذلك شركًا بالله؛ لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، فقد جعله شريكًا لله في العبادة، فيكون قد أثبت ما نَفَتْه «لا إلٰه إلا الله» من إلهية غير الله، ولم يُثبِت ما أثبتته من الإخلاص.

وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب، فقد خالف ما نفته «لا إلٰه إلا الله»، فعكس مدلولها؛ فأثبت ما نفته، ونفى ما أثبتته من التوحيد، وهذا هو الشرك، وهو معنى قول شيخنا[1]: وشرحُ هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

فكل شرك وقع ـ أو قد يقع ـ فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تضمنته من التوحيد.

---

(١) سبق تحت باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إلٰه إلاّ الله.

. . . .

قال الأذرعي[١] في «شرح المنهاج»: وأما النذر للمشاهد التي على قبر وليّ أو شيخ، أو على اسم مَنْ حَلَّها من الأولياء، أو تردَّد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين؛ فإن قصد الناذر بذلك تعظيم البقعة، أو المشهد، أو الزاوية، أو تعظيم من دُفن بها، أو نسبت إليه، أو بُنِيتْ على اسمه: فهذا النذر باطل غير منعقد، فإن مُعتقَدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات، ويَرون أنها مما يدفع به البلاء، ويستجلب به النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء، حتى إنهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم: إنه استند إليها عبد صالح! وينذرون لبعض القبور السُّرُج والشَّمْع والزيت، ويقولون: القبر الفلاني ـ أو المكان الفلاني ـ يقبل النذر! يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول؛ من شفاء مريض، أو قدوم غائب، وسلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة.

فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقًا.

ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر إبراهيم الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء، فإن الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركًا وتعظيمًا؛ ظانًّا أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور مُحرَّم؛ سواء انتفع به مُنتفِعٌ أم لا.

وقال الشيخ قاسم الحنفي في «شرح درر البحار»: النذر الذي يَنذره أكثر العوام على ما هو مُشاهَد؛ كأن يكون لإنسان غائب، أو مريض، أو له حاجة، فيأتي إلى بعض الصُّلَحاء ويجعل على رأسه سُترةً، ويقول: يا سيدي فلان! إن رد الله غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت

(١) وقع هنا: الرافعي، وكذا هو في «فتح المجيد» في أكثر من نسخة، والصواب: الأذرعي، كما في «تيسير العزيز الحميد» ص(١٣٩).
أفاده محقق «فتح المجيد» (٢٨٩/١).

وفي «الصحيح»[١] عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال:

كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع؛ لوجوه:

منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك شيئًا.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله عز وجل! واعتقاد ذلك كفر.

إلى أن قال: إذا علمت هذا؛ فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، ويُنقل إلى ضرائح الأولياء تقربًا إليهم فحرام بإجماع المسلمين.

نقله عنه ابن نجيم في «البحر الرائق»، ونقله المرشدي في «تذكرته»، وغيرهما عنه، وزاد: وقد ابتلي الناس بهذا؛ لا سيما في مولد البدوي.

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله ـ في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء ـ: فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان، فهو لغير الله تعالى، فيكون باطلاً، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]. والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره. انتهى.

قوله: (وفي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: **«من نذرَ أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»**).

قوله: («وفي «الصحيح») أي: «صحيح البخاري».

قوله: (عن عائشة): هي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وابنة الصدِّيق رضي الله عنه، وأعلم النساء بحديث رسول الله ﷺ تزوجها النبي ﷺ وهي بنت سبع، ودخل بها وهي ابنة تسع، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة

---

(١) أي: البخاري برقم (٦٦٩٦، ٦٧٠٠).

«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ الله فَلَا يَعْصِهِ».

ففيها خلاف، بل لا يقال: خديجة أفضل، ولا عائشة أفضل.

والتحقيق: أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة؛ من سَبْقِها إلى الإيمان بالنبي ﷺ، وتأييده في تلك الحال التي بُدِئَ بالوحي فيها؛ كما في «صحيح البخاري»(١) وغيره، ما زالت كذلك حتى توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة.

ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة؛ لعلمها بأحوال النبي ﷺ، ونزول القرآن بالأحكام، وبيان الحلال والحرام، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته ﷺ يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي ﷺ وحديثه. صلوات الله وسلامه عليه، ورضي عن أصحابه وأزواجه. توفيت سنة سبع وخمسين رضي الله عنها.

قوله: **«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ»**: لأنه نذره لله خالصًا، فوجب عليه الوفاء به، فصار عبادة.

وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه؛ كإن شفى الله مريضي فعليّ أن أتصدق بكذا، ونحو ذلك؛ وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله، إلا أن أبا حنيفة قال: لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصْل الشرع؛ كالصوم ونحوه، وأما ما ليس كذلك فلا يُوجَبُ عليه الوفاء به.

قوله: **«وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ الله فلا يَعْصِهِ»**: زاد الطحاوي(٢): **«وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ»**.

وقد أجمع العلماء أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية، واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد: إحداهما: تجب، وهو

---

(١) برقم (٣).

(٢) في «شرح مشكل الآثار» (٤/١٧٠ رقم ١٥١٤)، وهي زيادة صحيحة كما في «الإرواء» (٤/١٤١) للألباني رحمه الله.

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله، فصرفُه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

المذهب، وروي عن ابن مسعود، وابن عباس، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه.

* * *

١٢ ـ باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦].

قوله:

باب من الشِّرْكِ الاستعاذة بغير الله

الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، فالعائذ قد هرب إلى ربه، والتجأ إليه مما يخافه عمومًا وخصوصًا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وما يقوم بالقلب من الالتجاء والاعتصام به، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل له: أمر لا تحيط به العبارة. انتهى.

وقد أمر الله تعالى عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، وفي المعوذتين، وغير ذلك، فهو عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله؛ كغيرها من أنواع العبادة.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾): قال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره هذه الآية: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم

وعن خَولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ**

بالوادي في الجاهلية، فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي، فزادهم ذلك إثمًا.

وقال بعضهم: فزاد الإنسُ الجنَّ ـ باستعاذتهم بالجن، باستعاذتهم بعزيزهم ـ جرأةً عليهم، وازدادوا هم بذلك إثمًا. وقال مجاهد: فازداد الكفار طغيانًا. وقال ابن زيد: وزادهم الجنُّ خوفًا[1].

وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله.

وقال ملاّ عليّ قاري الحنفي رحمه الله: لا تجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك ـ وذكر الآية ـ، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ...﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨].

فاستمتاع الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات. واستمتاع الجني بالإنسي: تعظيمه إياه، واستعاذته به، وخضوعه له. انتهى ملخصًا.

قال المصنف رحمه الله تعالى[2]: وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية؛ من كف شر، أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.

قوله: (وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**». رواه مسلم).

(خولة بنت حكيم): ابن أُمَيَّة السُّلمِيَّة، يُقالُ لها: أُمُّ شَرِيكٍ، ويقال: إنها هي الواهبة، وكانت قبلُ تحت عثمان بن مظعون. قال ابن عبدالبر: وكانت صالحة فاضلة.

قوله: «**من نزل منزلًا، فقال: أَعُوذُ بِكَلماتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ**»: شَرع الله

---

(١) أخرج هذه الأقوال ابن جرير في «تفسيره» (١٤/١٣٤ ـ ١٣٦).

(٢) في المسألة الخامسة من هذا الباب.

يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَٰلِكَ». رواه مسلم[١].

لأهل الإسلام أن يستعيذوا به، بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع الله تعالى للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب، كما يلحق كلام البشر، وقيل: معناه الكافية الشافية، وقيل: الكلمات هنا هي القرآن، فإن الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى، وعلى هذا فحق المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أن يَصدُق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وقد نص الأئمة ـ كأحمد وغيره ـ على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله ليس بمخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك. ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يُعرَف معناها، خشية أن يكون فيها شرك[٢].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن ذبح للشيطان، ودعاه واستعاذ به، وتقرب إليه بما يحب فقد عبده، وإن لم يُسمِّ ذلك عبادة، ويسميه استخدامًا، وصدق، هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، ولذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة، فإن الشيطان لا يخضع له، ولا يعبده كما يفعل هو به.

قوله: «**من شر ما خلق**»: قال ابن القيم: من شر كل ذي شَرٍّ، في أي مخلوق قام به الشر؛ من حيوان أو غيره، إنسيًا أو جنيًا، أو هامة أو دابة، أو ريحًا أو صاعقة، أي نوع كان من أنواع البلاء، في الدنيا والآخرة. و«ما»

---

(١) في «الصحيح» برقم (٢٧٠٨).

(٢) «قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة» (٣٣٦/١ ـ مجموع الفتاوى).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية ـ من كَفِّ شر، أو جلب نفع ـ لا يدل على أنه ليس من الشرك.

هاهنا موصولة ليس إلا، وليس المراد بها العموم الإطلاقي، بل المراد التقييدي الوصفي، والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله، فإن الجنة والأنبياء والملائكة ليس فيهم شر، والشر يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يُفضي إليه.



١٣ ـ باب من الشرك
أن يستغيث بغير الله تعالى أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ

قوله:

باب من الشرك
أن يستغيث بغير الله تعالى أو يدعو غيره

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: الاستغاثة هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة؛ كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون. انتهى.

قلت: فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق؛ ويجتمعان في مادة؛ وهو دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء ـ الذي هو مطلق الطلب والسؤال ـ من غير المستغيث، وقد نهى تعالى عن دعاء غيره ـ الأخص والأعم ـ في كتابه، كما يأتي بيانه.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾.

فكل ما قصد به غير الله، مما لا يقدر عليه إلا الله، كدعوة الأموات والغائبين؛ فهو من الشرك الذي لا يغفره الله، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر.

وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾: ففي هذه الآية النهي عن أن يُدعى أحدٌ من دونه تعالى،

وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٧].

وقــولــه: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وأخبر تعالى أن غيره لا يضر ولا ينفع.

وقـولـه: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: والـظـلـم فـي هـذه الآيـة هـو الشرك، كما قال تعالى عن لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾: هذا في حق المستغيث؛ أخبر الله تعالى أنه لا يكشف ضُرَّه إلاَّ الله وحده دون ما سواه مطلقًا.

وقوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: وهذا في حقّ كل طالب وراغب؛ أخبر تعالى أنه هو الذي يتفضل على من سأله، ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئًا من فضل الله عليه، فهو المعطي والمانع؛ لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عباس، وفيه: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لوِ اجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَنْفَعوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَنْفَعوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قدْ كَتَبَهُ الله لَكَ. ولو اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»(١).

فمن تدبر هذه الآية ـ وما في معناها ـ علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم، والشرك الذي لا يغفره الله، وأنهم قد أثبتوا ما نفته «لا إله إلا الله» من الشرك في الإلهية، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، والدين: هو طاعة الله فيما أمر به وشرَعَه، ونهى عنه وحرمه.

وأعظم ما أمر به: التوحيد والإخلاص، وأن لا يَقصِد العبدُ بشيء من

---

(١) سبق تخريجه تحت (باب من الشرك لبس الحلْقة والخيط ونحوهما).

وقـولـه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦].

عمله سوى الله تعالى، الذي خَلَقه لعبادته، وأرسل بذلك رسله، وأنزل به كتبه، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وأعظم ما نهى عنه: الشرك به في ربوبيته وإلهيته.

قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾: فهذه الآية تبيّن وتوضّح ما تقرر في الآية قبلها، فأخبر تعالى أنه لا أضلَّ ممن يدعو أحدًا من دونه كائنًا من كان، وأخبر أن المدعو لا يستجيب لما طلب منه؛ من ميت، أو غائب، أو ممن لا يقدر على الاستجابة مطلقًا؛ من طاغوت ووثن، فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران.

ثم قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ كما قال في آية يونس: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨ ـ ٢٩].

ثم قال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل: ٨٦].

فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيضُ قصده، فيتبرأ منه المدعوّ ومن عبادته، وينكر ذلك عليه أشد الإنكار، وقد صار المدعو للداعي عدوًّا.

ثم أخبر تعالى أن ذلك الدعاء عبادة بقوله: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾، فدلت أيضًا على أن دعاء غير الله عبادة له، وأن الداعي له في غاية الضلال.

وقد وقع من هذا الشرك في آخر هذه الأمة ما طمَّ وعمَّ، حتى أظهر الله من يبيِّنه بعد أن كان مجهولاً عند الخاصة والعامة إلا من شاء الله

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النمل: ٦٢].

تعالى، وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان؛ لكن القلوب انصرفت إلى ما زين لها الشيطان، كما جرى للأمم مع الأنبياء والمرسلين، لما دعوهم إلى توحيد الله جرى لهم من شدة العداوة ما ذكره الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٢ ـ ٥٣]. ويشبه هذه الآية في المعنى قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤]: أخبر الله تعالى أن ذلك الدعاء شرك بالله، وأنه لا يغفره لمن لقيه به.

فتدبر هذه الآيات وما في معناها؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠]، وهو في القرآن أكثر من أن يستقصى.

قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾: وهذا مما أقر به مشركو العرب وغيرهم في جاهليتهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، أخبر تعالى أنهم يخلصون الدعاء له إذا وقعوا في شدة.

قال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى[١]: يقول تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ يفعلُ هذه الأشياءَ بِكُم ويُنعِم بهذه النعم عليكم؟ وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: تذكرًا قليلًا من عظمة الله وأَيَادِيه عندكم، تذكرون وتعتبرون

---

(١) في «تفسيره» (٢٠/٦ ـ ٧).

وروى الطبراني بإسناده؛ أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضُهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق! فقال النبي ﷺ: **«إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**(١).

حجج الله عليكم يسيرًا، فلذلك أشركتم بالله غيرَه في عبادته.

قوله: (وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين... الحديث): الطبراني هو: الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب، اللخمي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها. روى عن النسائي، وإسحاق بن إبراهيم الدبري، وخلق كثير. مات سنة ستين وثلاثمائة. روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قوله: (فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قوموا بِنا نَسْتَغِيثُ بِرَسولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هذا المُنافِقِ... الحديث): قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم منه.

قلت: فلعله أراد أن النبي ﷺ كان يقدر أن يترك المنافقين يُفْعَلُ بهم ما يستحقونه، ولكنه لم يفعل، مخافة أن يفتتن بعض المؤمنين من قبيلة المنافق، وفي السُّنَّة ما يدل على ذلك؛ كما فعل مع ابن أُبيٍّ وغيره.

وقيل: إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق، فيكون نهيه ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك؛ كنظائره مما للمُستَغاث به قدرة عليه، مما كان يستعمل لغة وشرعًا، مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع، ولا يسمع ولا يستجيب؛ من الأموات، والغائبين، والطواغيت، والشياطين، والأصنام، وغير ذلك.

وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى كما تقدم ذكره،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» كما في «مجموع الفتاوى» (١/٣٠٣)، و«مجمع الزوائد» (١٠/١٥٩) من حديث عُبادة بن الصامت، وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث».

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممَّن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المَدْعُو للداعي، وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمَدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور سبب كونه أضلّ الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

حتى أنهم أشركوهم مع الله في ربوبيته وتدبير أمور خلقه، كما أشركوهم معه في إلهيته وعبوديته، والوسائلُ لها حكمُ الغايات في النهي عنها، والله أعلم.

السابعة عشرة: الأمر العجيب؛ وهو إقرار عَبَدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حِمَىٰ التّوحيد، والتأدّب مع الله.



١٤ ـ باب قول الله تعالى:
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩١ ـ ١٩٢]

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية [فاطر: ١٣ ـ ١٤].

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

وهذا مما احتج به تعالى على المشركين، لما وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة؛ لأنهم مخلوقون، فلا يصلح أن يكونوا هم شركاء لمن هم خلقه وعبيده، وأخبر أنهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصرًا، أي: لمن سألهم النصرة، ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

فإذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه، فلأن لا ينصر غيرَه من باب أَوْلى. فبَطَل تعلُّق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين، وهو: كونهم عبيدًا لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون معبودًا.

الدليل الثاني: أنه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم، فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم؟!

فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا

وفي «الصحيح»[(١)] عن أنس قال: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟». فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وفيه[(٢)] عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ـ

يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: يخبر الخبير أن الملك له وحده، والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره وفضله بحكمته وعلمه، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾، فإن من كانت هذه صفته، فلا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سوى الله تعالى وتقدس، بل يجب إخلاص الدعاء له، الذي هو من أعظم أنواع العبادة.

وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئًا، وأنهم لا يَسمعون دُعَاءَ من دعاهُم، ولو فُرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، أي: ينكرونه ويتبرؤون ممن فعله معهم، فهذا الذي أخبر به الخبير الذي ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وأخبر أن ذلك الدعاء شرك به، وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير، ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع، بل قالوا: إن الميت يسمع، ومع سماعه ينفع!! فتركوا الإسلام والإيمان رأسًا، كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة.

قوله: (في «الصحيح» عن أنس قال: شُجَّ النبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَباعيَتُهُ، فقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟». فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية.

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ـ إذا

---

(١) البخاري (٧/ ٣٦٥ ـ الفتح) تعليقًا، ومسلم (١٧٩١).

(٢) أي: «صحيح البخاري» برقم (٤٠٦٩، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦).

إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر ـ: «**اللَّهُمَّ! الْعَنْ فُلانًا وفُلانًا**» بعدما يقول: «**سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**». فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وفي رواية[1]: يدعو على صفوان بن أمية، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر ـ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا**»، بَعْدَمَا يَقُولُ: «**سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**». فأنزَلَ الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية. وفي رواية: يَدعُو عَلى صَفْوان بن أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بن عَمرٍو، وَالحَارِثِ بنِ هِشامٍ، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم).

قوله: (في «الصحيح») أي: الصحيحين، علقه البخاري عن حميد وثابت عن أنس، ووصله أحمد، والترمذي[2]، والشافعي عن حُميد عن أنس.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئًا من العبادة، ولهذا المعنى قال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

فالذي قال الله تعالى في حقّه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، وهو خيرة الله من خلقه، ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له

---

(١) أخرجها البخاري في «الصحيح» (٤٠٧٠) من مرسل سالم بن عبدالله بن عمر.
وأخرجها موصولة عن ابن عمر: الترمذي في «الجامع» (٣٠٠٤) بذكر «أبي سفيان» بدل «سهيل بن عمرو».
وأخرجها الإمام أحمد في «المسند» (٢/٩٩)، وزاد: «فتيب عليهم كلّهم».

(٢) أحمد في «المسند» (٣/٩٩)، والترمذي (٣٠٠٢).

وفيه (١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! ـ أو كلمة نحوها ـ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. يَا عَبَّاسُ بنَ عَبْدِالمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**».

الأمر كله، وهو الله تعالى، فهذا دينه ﷺ الذي بعث به، وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم إليه، كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله. فإياك أن تتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين، الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصَّهم به!

قوله: (وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، قال: «**يا معشر قريش!** ـ أو كلمة نحوها ـ **اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا. يا عباس بن عبدالمطلب! لا أغني عنك من الله شيئًا. يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئًا. ويا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**».

قوله: (فيه) أي: في «صحيح البخاري».

واختلف في اسم أبي هريرة، وصحَّح النووي أن اسمه عبدالرحمٰن بن صخر، وهو دوسي من حفّاظ الصحابة، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره، كما في «صحيح البخاري» (٢) عن وهب بن منبه، عن أخيه: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب. مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

وهذا الحديث له طرق كثيرة في «الصحيحين»، و«المسند»، و«السنن»،

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) برقم (١١٣).

. . . .

وغيرها[١].

قوله: («يا معشرَ قريش! ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسَكم») أي: بالإيمان بالله ورسوله، واتباعه فيما جاءكم به مما أنزل عليه؛ من توحيد الله تعالى في العبادة، وترك ما كنتم تعبدونه من دونه من الأوثان والأصنام، فإنهم بذلك الشرك صاروا عبيدًا لمن لا يضر ولا ينفع، ولا يستجيب ولا يسمع. وهم قد عرفوا أن ما كانوا يفعلونه من عبادة غير الله شرك بالله، فإنهم كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تَملِكُه وما مَلَك.

فسبحان الله! كيف جاز في عقولهم أن المملوك يكون شريكًا لمالكه؟! وقد قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٨ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٩﴾ [الروم: ٢٨ ـ ٢٩].

قوله: «لا أُغْني عَنكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»: هذا هو معنى ما تقدم؛ من أنه تعالى هو المتصرف في خلقه بما شاء، مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم، والعبد لا يعلم إلا ما علّمه الله، ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إلا بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، والبراءة من عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والنبي ﷺ في هذا الحديث أنذر الأقربين نذارة خاصة، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا، وبلّغهم وأعذر إليهم، فأنذر قريشًا ببطونها، وقبائل

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، وفيه زيادة: «**يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئًا**» بعد ذكر قريش، وأخرجه مسلم (٢٠٦)، وفيه زيادة: «**يا بني عبدالمطلب!...**» بعد ذكر قريش.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أُحُد.

الثالثة: قُنوت سيد المرسلين، وخلفه سادات الأولياء يؤمّنون في الصلاة.

الرابعة: أن المَدْعُوَّ عليهم كُفّار.

العرب في مواسمها، وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس إليه، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به.

قوله: «**سَلِيني مِنْ مالي مَا شِئْتِ**»: لأن هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ وما كان أمره إلى الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه، كما في هذا الحديث.

ولما مات أبو طالب ـ وكان يحوط رسول الله ﷺ ويحميه ـ، ولم يُنكِر مِلَّةَ عبدالمطلب من الشرك بالله، وقال ﷺ «**لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عنك**»(١) فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[التوبة: **١١٣**].

فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله، فلم تنفعه حمايتُه النبيَّ ﷺ من أن يكون من المشركين، ولا الاعترافُ بأن النبي ﷺ على الحق بدون البراءة من الشرك؛ لأنه لم يبرأ من ملة أبيه.

فكل تعلق على غير الله ـ من طلب لشفاعة أو غيرها: شرك بالله ـ يكون عليه وبالاً في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[الأنعام: ٥١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذلك الأحاديث، والله أعلم، وسيأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

---

(١) يأتي تخريجه تحت الباب السابع عشر.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار؛ منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعوّ عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لَعنُ المعيَّن في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤].

الثانية عشرة: جِدُّه ﷺ بحيثُ فَعَل ما نُسِبَ بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «**لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**»، **حتى قال**: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**». فإذا صرح ﷺ ـ وهو سيد المرسلين ـ أنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم: تبين له التوحيد وغُربةُ الدين.

***

١٥ ـ باب قول الله تعالى:
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

....

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال عنها الفزع. قاله ابن عباس وغيره.

ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وقال ابن جرير: قال بعضهم: الذين فزع عن قلوبهم: الملائكة، قالوا: وإنما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل بالوحي.

قال ابن كثير: وهو الحق الذي لا مرية فيه؛ لصحة الأحاديث فيه والآثار[١].

وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٥٣٨).

....

وأمر الله تعالى به، سمعت كجَرِّ سلسلة الحديد على الصفوان، فتفزع عند ذلك تعظيمًا وهيبة.

قال: وبهذا المعنى ـ من ذكر الملائكة في صدر الآيات ـ تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ لم تتصل هذه الآية بما قبلها.

وهذه الآية تقطع عروق الشرك بأمور أربعة:

الأول: أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله، والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لا ينفع ولا يضر، فهو تعالى هو الذي يملكهم ويدبِّرهم، ويتصرف فيهم وحده.

الثاني: قوله: ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ أي: في السموات والأرض، أي: وما لهم شرك مثقال ذرة من السموات والأرض.

الثالث: قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾، والظهير: المعين، فليس لله مُعِين من خَلْقه، بل هو الذي يُعينهم على ما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرّهم؛ لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلى ربهم فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم.

الرابع: قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ فلا يشفع عنده أحد إلا إذا أذن له، كما قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]. وأخبر تعالى أن من اتخذ شفيعًا من دونه حُرِم شفاعة الشفعاء.

قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨]؛ لأن اتخاذ الشفعاء شرك، لقوله تعالى في حقهم: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

والمشرك مَنفية الشفاعةُ في حقه؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤].

وفي «الصحيح»[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ في السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِها خضعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذٰلِكَ**، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ** - وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَّفَها وَبَدَّدَ بين أصابِعِه - **فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، ثُم يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّىٰ يُلْقِيهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَو الكَاهِنِ، فَرُبَّما أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَها مِئَةَ كِذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ**».

وذلك أن متخذ الشفيع لا بد أن يرغب إليه ويدعوه، ويرجوه ويخافه ويحبه؛ لما يؤمِّله منه. وهذه من أنواع العبادة التي لا يُصرَف منها شيء لغير الله، وذلك هو الشرك الذي ينافي الإخلاص.

قوله: (في «الصحيح» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك** - أي: في أسماعهم -، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، **فيسمعها مسترق السمع** - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه فحرفها، وبدّد بين أصابعه -، **فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء**».

قوله: (في «الصحيح») أي: «صحيح البخاري».

---

(١) أي: «صحيح البخاري» (٤٧٠١).

وعن النَّوَّاسِ بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ الله تَعَالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالوَحْي، أَخَذَتِ السَّماواتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ**

ففي هذا الحديث أن من عرف الله تعالى ذل له تعظيمًا ومهابةً وخوفًا؛ لا سيما عند سماع كلامه تعالى، لأن قوله: «**إذَا قَضى الله الأَمْرَ**» أي: بكلامه ووحيه إلى جبريل، وقوله: «**في السماءِ**» يدل على العلو، ففيه إثبات كلام الله وعلوّه على خلقه، على ما يليق بجلاله وعظمته؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

وهذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة على الجهمية، والأشاعرة، والكلابية، وغيرهم من أهل البدع، ممن ألحد بالتعطيل في أسماء الله وصفاته.

قوله: «**خَضَعانًا**»: هو مصدر خَضَع.

قوله: «**لِقَوْلِهِ**»: صريح في أنهم سمعوا قوله تعالى، وأنه بصوت، وأن ذلك ينفذ جميع الملائكة، أي: يسمعونه كلهم.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال عنها الفزع.

قوله: «**فَيَسْمعُها مُستَرِقُ السَّمعِ**» أي: الكلمة التي سمعتها الملائكة، وتحدثوا بها.

قوله: («**وَمُستَرِقُ السَّمْعِ بَعضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ**» هَكَذَا وَصَفَهُ سُفْيانُ): راوي الحديث، وهو ابن عيينة؛ (بِكَفِهِ).

قوله: «**فيسمع الكلمة**» يعني: مسترق السمع، «**فيلقيها إلى من تحته**» من الشياطين، «**ثم يلقيها الآخر إلى مَنْ تحتَه، حتى يلقيَها على لسان الساحر أو الكاهنِ فيتكلم بها. . .**» الحديث.

قوله: «**فيكذب معها**» أي: الساحر أو الكاهن «**مائة كذبة**»، «**فيُصَدَّقُ**» في المئة كلها «**بِتِلْكَ الكَلِمَةِ التي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ**»؛ لقبول النفوس للباطل.

قوله: (وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة** ـ أو قال: **رعدة** ـ **شديدة خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا،**

ـ أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ ـ شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذٰلِكَ أَهْلُ السَّمَاواتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا للَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أولَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمهُ الله مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَىٰ المَلائِكَةِ؛ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قال الحقَّ، وهو العليُّ الكبيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وخروا له سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله بوحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة؛ كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟! فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثلما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»).

الحديث رواه ابن أبي حاتم بسنده عن النَّواسِ بن سِمعان.

وسمعان ـ بكسر السين ـ: ابن خالد الكلابي، ويقال: الأنصاري، صحابي، ويقال: إن أباه صحابيٌّ أيضًا.

قوله: «**إذا أرادَ الله تعالى**». فالإرادة صفة من صفات الله عز وجل، وهي نوعان: شرعية وقدرية؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا . . . مُتْرَفِيهَا﴾ الآية [الإسراء: ١٦]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، ونحو هذه الآيات.

قوله: «**أن يُوحِيَ بِالأَمْرِ**»: فيه: بيان معنى ما تقدم في الحديث قبله من قوله: «**إذا قضى الله الأمر**».

قوله: «**تكَلَّمَ بِالوَحْيِ**»: فيه: التصريح بأنه يتكلم بالوحي، فيوحيه إلى جبريل عليه السلام، ففيه الرد على الأشاعرة في قولهم: إن القرآن عبارة عن كلام الله!

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٥٣٨/٣)، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» رقم (٢٠٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٥)، وإسناده ضعيف كما في «ظلال الجنة» ص(٢٢٧) للألباني رحمه الله.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

قوله: «**أَخَذَتِ السَّمٰواتِ منه رَجْفَةٌ ـ أَوْ قالَ: رِعْدَةٌ ـ شديدَةٌ، خَوْفًا مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ**»: في هذا معرفة عظمة الله، ويوجب للعبد شدة الخوف منه تعالى، وفيه إثبات العلو.

قوله: «**فإذا سَمِعَ ذلكَ أَهْلُ السَّمٰواتِ صُعِقوا، وَخَرُّوا للَّهِ سُجَّدًا**»: هيبة وتعظيمًا لربهم وخشية، لِمَا سمعوا من كلامه تعالى وتقدس.

قوله: «**فَيكونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رأسَهُ جبريلُ**»: لأنه مَلَك الوحي عليه السلام.

قوله: «**فَيُكَلِّمُهُ الله مِنْ وَحْيِهِ بِما أَرادَ**»: فيه التصريح بأنه تعالى يوحي إلى جبريل بما أراده من أمره، كما تقدم في أول الحديث.

قوله: «**ثُمَّ يَمُرُّ جبريلُ على الملائِكَةِ؛ كُلَّما مَرَّ بِسَماءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُها**»: وهذا أيضًا من أدلة علو الرب تعالى وتقدس.

قوله: «**مَاذا قالَ رَبُّنا يا جِبريلُ؟ فيقول: قال الحق، وهو العلي الكبير، فيقولون كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبريلُ، فَيَنْتَهي جِبريلُ بِالْوَحْي إلى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»: وهذا دليل بأنه تعالى قال ويقول.

وأهل البدع من الجهمية ـ ومن تلقى عنهم كالأشاعرة ـ جحدوا ما أثبته الله تعالى في كتابه، وأثبته رسوله ﷺ في سنته؛ من علوه، وكلامه، وغير ذلك من صفات كماله، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة، على ما يليق بجلال الله وعظمته، بشُبهات اختلقوها ما أنزل الله بها من سلطان.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل هو الذي يجيبهم بعد ذلك بقوله: قال: كذا وكذا.

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقوله لأهل السماوات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يَعُمُّ أهل السماوات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يَصدق في بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلاَّ بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة!

التاسعة عشرة: كونهم يتلقّى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات؛ خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: أَنَّ تلك الرجفة والغشي خوفًا من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يَخِرُّون لله سُجَّدًا.

❊ ❊ ❊

١٦ ـ باب الشفاعة

وقول الله عزَّ وجل: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

قوله:

باب الشفاعة

الشفاعة نوعان:

شفاعة منفية في القرآن: وهي الشفاعة للكافر والمشرك. قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨].

ونحو هذه الآيات؛ كقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ١٨]: يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله: أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك، وما لا يعلمه لا وجود له، فنفى وقوع هذه الشفاعة، وأخبر أنها شرك بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعًا يزعم أنه يقرِّبه إلى الله، وهو يبعده عنه

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

وعن رحمته ومغفرته؛ لأنه جعل لله شريكًا، يرغب إليه، ويرجوه، ويتوكل عليه، ويحبه كما يحب الله تعالى أو أعظم.

النوع الثاني: **الشفاعة التي أثبتها القرآن**؛ وهي خالصة لأهل الإخلاص، وقيدها تعالى بأمرين:

الأول: إذنه للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحِّد المذنب، فإذا رحمه تعالى أذن للشافع أن يشفع له.

الأمر الثاني: رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فالإذن بالشفاعة له بعد الرضا، كما في هذه الآية، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

قوله: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾: الإنذار: هو الإعلام بأسباب المخالفة، والتحذير منها.

قوله: ﴿بِهِ﴾ أي: بالقرآن، ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: وهم أهل الإخلاص، الذين لم يتخذوا لهم شفيعًا، بل أخلصوا قصدهم وطلبهم، وجميع أعمالهم لله وحده، ولم يلتفتوا إلى أحد سواه فيما يرجون نفعه، ويخافون ضره.

قال الفضيل بن عياض: ليس كلَّ خَلْقِه عاتَبَ، وإنما عاتب الذين يعقلون.

قوله: ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾: قال الزجاج: موضع «ليس» نصب على الحال؛ كأنه قال: متخلين من ولي وشفيع، والعامل فيه «يخافون».

قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ أي: فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة، وتركوا التعلق على الشفعاء وغيرهم؛ لأنه ينافي الإخلاص، الذي لا يقبل الله من أحد عملاً بدونه؛ لأنه طلب وسؤال من غير الله.

قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾: دلت الآية على أن الشفاعة له سبحانه؛

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى في الآية السابقة.

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ . . . الآية [يونس: ٣]، فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه، ولا تقع إلا ممن أذن له فيها.

فتدبر هذه الآيات العظيمة في اتخاذ الشفعاء.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: يبطل التعلق على غيره سبحانه؛ لأنه الذي انفرد بملك كل شيء، فليس لأحد في ملكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده.

والإسلام هو أن تسلم قلبك ووجهك لله بالإخلاص، كما في «المسند» عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده؛ أنه قال لرسول الله ﷺ: فبِالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا بَعَثَكَ بِهِ؟ قالَ: «**الإسْلامُ**». قال: وما الإِسلامُ؟ قال: «**أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ، وَأَنْ تَوَجِّهَ وَجْهَكَ إلى اللَّهِ، وَأَنْ تُصَلِّيَ الصَّلاةَ المكْتوبَةَ، وَتؤدِّيَ الزَّكاةَ المفْروضَةَ**»(١).

والآيات في بيان الإخلاص كثيرة، وهو أن لا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الأعمال كلها إلا لله وحده، كما قال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤].

فأمره تعالى بإخلاص الدعاء له وحده، وأخبر أنه الدين الذي تصح معه الأعمال وتقبل.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٥) بنحوه وزيادة، لكن من حديث أبي قزعة الباهلي، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه مرفوعًا. وإسناده صحيح.
وأما حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه: فأخرجه الإمام أحمد (٤/٥ و ٥) عنه أنه سأل النبيّ ﷺ: ما آية الإسلام؟ قال: «**أن تقول: أسلمت وجهي لله وتخلّيت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة**. . .» الحديث.
وأخرجه أيضًا النسائي (٥/٥)، والحاكم (٤/٦٠٠) وصححه.
وحسَّن إسناده الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي».

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

قال شيخ الإسلام: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه.

قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: **تقدم معنى هذه الآية.**

قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾: **فإذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بقوله:** ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩]، **فظهر من هذه الآيات المحكمات ما يبين حقيقة الشفاعة المُثْبَتَة في القرآن، التي هي ملك لله لا يملكها غيره، وقيّد حصولها بقيدين ـ كما في هذه الآية وغيرها؛ كما تقدم قريبًا ـ:**

إذنه للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين.

فاختصت الشفاعة بأهل الإخلاص خاصة، وأن اتخاذ الشفعاء من دين المشركين، وقد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات.

قوله: (﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ...﴾ الآيتين: **قال أبو العباس: نَفى الله عَمَّا سواهُ كلَّ مَا يتعلَّقُ بِهِ المشرِكونَ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى:** ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها

قال أبو العباس[١]: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملْكٌ أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ، لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا، ثم يقال له: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ[٢].

وقال له أبو هريرة: مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا الله، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[٣].

القرآن، وأخبر النبي ﷺ: أنه يأتي فيسجد لربّه ويحمده؛ لا يبدأ بالشفاعة أوّلاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفّع. وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه**».

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع. وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه).

وفيه تحقيق لأمر الشفاعة، وجمع للأدلة، رحمه الله، والله تعالى أعلم.

---

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٢) جزء من حديث الشفاعة الطويل؛ أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفيَّة.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبَتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى؛ وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد، فإذا أُذِنَ له شفع.

السادسة: مَن أسعد الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.



١٧ ـ باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]

قوله:

باب قول الله تعالى
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾

قال ابن كثير رحمه الله تعالى[١]: يقول تعالى لرسوله ﷺ: وإنك يا محمد لا تهدي من أحببت، أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٢] [البقرة: ٢٧٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

قلت: والمنفي هاهنا هداية التوفيق والقبول، فإن أمر ذلك إلى الله وحده، وهو القادر عليه. وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]: فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبيّن عن الله والدالّ على دينه وشرعه.

---

(١) في «تفسيره» (٣/٣٩٥).
(٢) في المخطوط زيادة: ﴿إِنَّكَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾. وليست في «تفسير ابن كثير» ولا هي في آية البقرة.

في «الصحيح» عن ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسول الله ﷺ، وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال

قوله: (في «الصحيح» عن ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ، وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «**يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله**». فقالا له: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟! فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**»، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾).

قوله: (في «الصحيح» أي: في الصحيحين[1].

وابن المسيب هو: سعيد بن المسيب بن حَزَن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، اتفق أهل الحديث أن مراسيله أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. وأبوه المسيب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه، وكذلك جَدُّه حَزَن صحابي استُشهِد باليمامة.

قوله: (لما حضرتْ أبَا طَالِبِ الوَفاةُ) أي: علاماتها ومقدماتها.

قوله: (جَاءَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ): يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين، فإنهما من بني مخزوم وهو أيضًا مخزومي، وكان الثلاثة إذ ذاك كفارًا، فَقُتِل أبو جهل على كفره، وأسلم الآخران.

قوله: «**يا عَمِّ! قلْ: لا إله إلا الله**»: أمره بقولها لعلم أبي طالب بأنها دلت على نفي الشرك بالله، وإخلاص العبادة له وحده، فإنَّ من قالها عن علم

---

(١) البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

له: «**يَا عَمِّ! قُلْ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**»، فقالا له: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟! فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إِلٰهَ إِلاَّ الله، فقال

ويقين وقبول فقد أنكر الشرك وتبرأ منه، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، ولهذا عارضوا قول النبي ﷺ بقولهم: أترغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالمطَّلب؟! لأن ملة عبدالمطلب الشرك بعبادة الأوثان، كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك.

قوله: «**كَلِمَةً**»: قال القرطبي: بالنصب على أنه بدل من (لا إله إلا الله)، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف.

قوله: «**أُحَاجُّ لكَ بِها عِنْدَ اللَّهِ**»: لأنه لو قالها في تلك الحال لقبلت منه، ودخل بها في الإسلام.

قوله: (فَقالا لهُ: أترغَبُ عَنْ مِلَّةِ عبدالمطلب؟!): ذَكَّراه الحجةَ الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين؛ كقول فرعون لموسى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

قوله: (فأَعادَ عَليه النَّبيُّ ﷺ فأَعَادا): فيه مضرة أصحاب السوء، والحذر من قُربهم والاستماع لهم، ففيه معنى قول الناظم:

إذا ما صحبتَ القوم فاصحبْ خيارَهُمْ ... ولا تصحَبِ الأرْدَى فتردَى مع الرَّدي

قوله: (فكان آخر ما قال: هو عَلى مِلَّةِ عبدالمطلب، وَأبى أن يَقولَ: لا إِلٰه إلاّ الله): قال الحافظ[١]: هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

قال المصنف رحمه الله تعالى[٢]: وفيه الرد على من زعم إسلام

(١) في «فتح الباري» (٥٠٧/٨).

(٢) في المسألة السادسة من هذا الباب.

النبي ﷺ: «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**». فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية.

الثالثة: - وهي المسألة الكبيرة -: تفسير قوله: «**قُلْ: لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّه**»؛ بخلاف ما عليه من يدَّعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «**قل: لا إلَهَ إلا الله**»، فقبح الله مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام!

الخامسة: جِدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمّه.

عبدالمطّلب وأسلافه.

قوله: (فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرَنَّ لكَ ما لم أُنهَ عَنْكَ**»): اللام لام القسم.

قال النووي: فيه جواز الحلف من غير استحلاف.

قال ابن فارس: مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام.

قوله: (فَأَنزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾): هو خبر بمعنى النهي، والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب، فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: (فَأَنْزَلَ الله) بعد قوله: «**لأستَغفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» يفيد ذلك، وقد ذكر العلماء لسبب نزول هذه الآية أسبابًا أخر، فلا منافاة؛

السادسة: الردّ على من زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفر له، بل نُهِيَ عن ذلك.

الثامنة: مضرَّة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرّة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

لأنّ الآية الواحدة قد يتعدد نزولها.

وفيه تحريم الاستغفار للمشركين، وموالاتهم، ومحبتهم.

❃ ❃ ❃

١٨ ـ باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

قوله:

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

قد أنذر ﷺ أمته من الغلو وأبلغ في الإنذار، تحذيرًا عما وقع من جهلة هذه الأمة كما سيأتي ذكره.

قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ...﴾ الآية: الغلو: هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتشركون، والخطاب ـ وإن كان لأهل الكتاب ـ فهو تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم ﷺ كما فعلت النصارى مع المسيح وأمه، واليهود مع العُزَيْر.

وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذه الأمة نظمًا ونثرًا؛ كما في كلام البوصيري، والبرعي، وغيرهما، وفيما فعلوه من الغلو والشرك مُحادّة لله، ولكتابه، ولرسول الله ﷺ فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة من قول منْ قال للنبي ﷺ أنت سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا. فكره ذلك النبي ﷺ أشد

وفي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] قال: هٰذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِم الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيها

الكراهة ـ كما سيأتي في الكلام على هذا الحديث[1] إن شاء الله تعالى ـ، وقول القائل: ما شاء الله وشئت، فقال: **«أَجَعَلْتَني للَّهِ نِدًّا؟ بَلْ ما شاءَ الله وَحْدَهُ»**[2]؟!

قال شيخ الإسلام: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط، فقد شابههم.

قال: وعلي رضي الله عنه حَرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كندة، فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم؛ لكن ابن عباس مذهبه أن يُقتَلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء.

قوله: (في «الصحيح» عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم. ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت).

قوله: (في «الصحيح») أي: «صحيح البخاري»[3].

وهذا الأثر اختصره المصنف رحمه الله، والذي في البخاري عن ابن عباس: صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير

---

(١) تحت باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسدّه طرق الشرك، ويأتي تخريجه هناك إن شاء الله.

(٢) يأتي تخريجه ـ إن شاء الله ـ في باب قول: ما شاء الله وشئت.

(٣) برقم (٤٩٢٠) بسياق أتم.

أَنْصابًا، وَسَمّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ. فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إذا هَلَكَ أُوْلَئِكَ وَنُسِيَ العِلْمُ، عُبِدَتْ.

وقال ابن القيم[1]: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

لآل ذي الكلاع؛ أسماء رجال صالحين في قوم نوح... إلى آخره.

قوله: «أن انصِبوا»: هو بكسر المهملة.

قوله: «أنْصابًا»: جمع نَصْب، وهي الأصنام التي صوروها على صور الصالحين.

قوله: «ففَعَلوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتى إذا هَلَكَ أولئِكَ وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَت»: الذي في البخاري: «وَنُسِخَ العِلْمُ»، فلعل الذي هنا رواية.

فصارت هذه الأصنام ـ بهذا التصوير على صور الصالحين ـ سُلَّمًا إلى عبادتها، وكل ما عبد من دون الله؛ من قبر، أو مشهد، أو صنم، أو طاغوت؛ فالأصل في عبادته هو الغلو فيه، كما لا يخفى على ذوي البصائر؛ كما جرى لأهل مصر وغيرهم، فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي، وهو لا يُعرَف له أصل ولا فضل، ولا علم ولا عبادة، ومع هذا فصار أعظمَ آلهتهم، مع أنه لا يُعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة، فبال فيه ثم خرج ولم يصل!! ذكره السخاوي عن أبي حيان.

فزين لهم الشيطان عبادته، فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون، ويطفئ الحريق، وينجي الغريق، وصرفوا له الإلهية والربوبية، وعلم الغيب، وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة، وفيهم من يسجد على عتبة حضرته.

وكان أهل العراق ـ ومن حولهم؛ كأهل عمان ـ يعتقدون في عبدالقادر الجيلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوي، وعبدالقادر من متأخري الحنابلة، وله كتاب «الغُنية»، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في

---

(١) في «إغاثة اللهفان» (١/١٨٤) ت/محمد حامد الفقي.

وعن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابنَ مَرْيَمَ؛ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُاللَّهِ وَرَسُولُه**». أخرجاه[١].

العلم والزهد، لكن فيه زهد وعبادة، وفُتِنوا به أعظم فتنة، كما جرى من الرافضة مع أهل البيت، وسبب ذلك الغلو، ودعوى أن له كرامات، وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل؛ كبعض الصحابة والتابعين. وهكذا حال أهل الشرك مع من فُتِنوا به.

وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي، وهو إمام أهل الوِحْدة، الذين هم أكفر أهل الأرض. وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين؛ كأناس بمصر وغيرها، وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا، وفي الحجاز واليمن وغيرهما من عبادة الطواغيت، والأشجار والأحجار، والقبور ما عمت به البلوى؛ كعبادتهم الجنَّ وطلبهم الشفاعة منهم. والأصل في ذلك الغلوُّ بِتزيين الشيطان.

وذكر أهل السير أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: «لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ لبَّيْكَ»، حتى كان عَمرو بن لُحَي الخُزَاعي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يُلبيّ معه، فقال: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكًا هو لك. فأنكر ذلك عمرو فقال: ما هذا؟! فقال الشيخ: تملكه وما ملك. فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب.

قوله: (وعن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**». أخرجاه).

قوله: (عن عمر) هو: ابن الخطاب بن نُفَيل ـ بنون وفاء مصغر ـ العدوي، أمير المؤمنين، وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنه. وَلِيَ

---

(١) البخاري برقم (٣٤٤٥) في حديث طويل، وأخرجه مسلم (١٦٩١) مختصرًا دون هذه الفقرة المذكورة هنا.

وقال: قال رسول الله ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»**.

ولمسلم[١] عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»**. قالها ثلاثًا.

الخلافة عشر سنين ونصفًا، فامتلأت الدنيا عدلاً، وفُتِحَت في أيامه ممالك كسرى وقيصر، واستُشهِد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.

قوله: **«لا تُطْرُوني»**: الإطراء هو الغلو، **«كما أطرت النصارى ابن مريم»**؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

قوله: **«إنما أنا عَبْدٌ، فقولوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»**: أمرهم ﷺ أن لا يتجاوزوا هذا القول في الخطاب، وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه؛ لأن أشرف مقامات الأنبياء العبودية الخاصة والرسالة.

قوله: (وقال: قال رسول الله ﷺ: **«إِيَّاكُمْ والغُلوّ؛ فإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كانَ قبْلَكُمُ الغلُوُّ»**): هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى بدون ذكر راويه، وقد رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عباس[٢]، وهذا لفظ رواية أحمد عن ابن عباس.

قال شيخ الإسلام: هذا عام في جميع أنواع الغلو؛ في الاعتقادات والأعمال.

قوله: (ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ

---

(١) في «الصحيح» (٢٦٧٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٥/١، ٣٤٧)، والنسائي (٢٦٨/٥)، وابن ماجه (٣٠٢٩). ولم نقف عليه في «جامع» الترمذي.
وصححه النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، انظر «السلسلة الصحيحة» (١٢٨٣).

فيه مسائل:

الأولى: أن مَن فَهِم هذا الباب وبابين بعده، تبيَّن له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض؛ أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غُيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك، مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفِطَر تردُّها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل؛ فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن مَن بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلَّة الآدمي؛ في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

قال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**». قالها ثلاثًا): قال الخطابي: المتنطع: المتعمق في الشيء، المتكلف في البحث عنه، على مذهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

وقال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم.

وقال النووي: فيه كراهة التقعر في الكلام، بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة، ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

قوله: (قالها ثلاثًا) أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغة في التعليم والإبلاغ، فقد بلّغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة: أن الغلو من التنطع والزيادة؛ لما فيه من الخروج إلى ما يوصل إلى الشرك بالله.

الثامنة: فيه شاهدٌ لما نُقل عن السلف: أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حَسُنَ قصدُ الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية؛ وهي النهي عن الغلوّ، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرَّة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب ـ: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يُريدُوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابنَ مَرْيَمَ**»، فصلوات الله وسلامه على من بلّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعبد حتى نُسِيَ العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرَّة فقده.

العشرون: أن سببَ فَقْدِ العلم موتُ العلماء.

***

١٩ ـ باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!

في «الصحيح» عن عائشة: أن أمَّ سَلَمة ذَكَرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض بالحبشة وما فيها من الصور، فقال: «**أُوْلَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ**

قوله:

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!

فكل ما كان وسيلة إلى الشرك فهو حرام؛ لكونه يوقع في الشرك بالله وعبادة ما سواه، كما في هذه الأحاديث.

قوله: (في «الصحيح» عن عائشة: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور... الحديث).

قوله: (في «الصحيح») أي: الصحيحين[1].

قوله: (أن أم سلمة): هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، القرشية المخزومية. تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل: ثلاثٍ، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمةَ إلى الحبشة، توفيت سنة اثنتين وستين.

---

(١) البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

الرَّجُلُ الصَّالِحُ ـ أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ ـ بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ».

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ

قوله: (ذَكَرت لرسول الله ﷺ): وفي الصحيحين[1]: أن أم حبيبة وأم سلمة: ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ.

و«الكَنِيسة» ـ بفتح الكاف وكسر النون ـ: مُتعبَّد النصارى.

قوله: (رَأَتْها بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، وَمَا فيها مِنَ الصُّوَرِ): لأن أم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة، ثم رجعا إلى مكة فهاجرا منها إلى المدينة. والحبشة دينُهم النصرانيةُ، وفيهم من أسلم.

قوله: (فقال: **أولئكِ**») ـ بكسرالكاف ـ: خطاب للمرأة.

قوله: «**إذا ماتَ فيهم الرجلُ الصالحُ** ـ أو **العبدُ الصالح** ـ»: هذا ـ والله أعلم ـ شك من الراوي.

قوله: «**أولئكِ شِرارُ الخَلْقِ عند الله**»: ولم يذكر غير بناء المساجد والتصوير؛ لكونه ذريعةً إلى عبادة من بَنَوا عليه المسجد، وصوّروا صورته، فبذلك صاروا شِرَار الخلق. فانظر إلى ما وقع في هذه الأمة من ذرائع الشرك والوقوع فيه، مما هو أعظم من هذا؛ كالبناء على القبور وتعظيمها وعبادتها، ومع ذلك يعتقدونه دينًا، وهو الشرك الذي حرمه الله، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالنهي عنه.

قوله: (فهؤلاء جمعوا بين الفِتْنَتَينِ: فِتْنَةِ القبور، وَفِتْنَةِ التماثيل): هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، لم يذكره المصنف رحمه الله تعالى؛ لأن ذلك معلوم عند من يقرأ هذا الكتاب.

قوله: (ولهما عنها قالت: لما نُزِل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة

---

(١) البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغتمّ بها كَشَفَهَا، فَقَالَ ـ وَهُوَ كَذٰلِكَ ـ: **«لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، ولَوْلاَ ذٰلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أخرجاه[1].

له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال ـ وهو كذلك ـ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. يحذّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه).

(الخميصة): كساء له أعلام.

والشاهد للترجمة قوله ﷺ : **«لعنةُ الله على اليهود والنَّصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائِهِمْ مَساجِدَ»**.

فلعنهم ﷺ على تحرِّي الصلاة عندها، وإن كان المصلي إنما يصلي لله، فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون؛ لأنه ذريعة إلى عبادتها، فكيف إذا عبد أهل القبور والغائبين بأنواع العبادة، وسألهم ما لا قدرة لهم عليه؟!

وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها، واللعنةُ ليست مُختصَّةً باليهود والنصارى، بل تَعُمُّ من فعل فعلهم وما هو أعظم منه. وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنِه اليهود والنصارى على هذا الفعل؛ تحذيرًا لأمته أن يفعلوا ما فعلته اليهود والنصارى، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم.

قوله: (ولَوْلا ذٰلكَ) أي: ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدًا (لأُبْرِزَ قَبرُهُ) مع قبور أصحابه بالبقيع.

قوله: (غيرَ أنَّهُ خشيَ أن يُتَّخَذَ مسجدًا): رُوِي بفتح الخاء وضمِّها، فعلى الفتح يكون هو الذي خَشي ذلك ﷺ ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قُبِض فيه، وعلى رواية الضمِّ يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يَقَع ذلك من بعض الأمة، فلم يُبرِزوا قبرَه خشيةَ أن يقع ذلك من بعض الأمة غلوًّا وتعظيمًا، لما أبدى وأعاد من النهي والتحذير ولعن فاعله.

---

(١) البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

ولمسلم [١] عن جُندبِ بْنِ عَبدِالله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: **«إنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ الله قَد اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً**

قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سَدِّ الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعْلَوْا حيطان تُربته، وسَدُّوا المداخل إليها، وجعلوها مُحدِقةً بقبره ﷺ ثم خافوا أن يُتَّخذَ موضع قبره قِبْلةً إذا كان مُستقبل المُصلِّين، فتُصَوَّرُ الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنَوا جدارَين من رُكنَي القبر الشماليين وحرفوهما، حتى التقَيا على زاويةٍ مثلَّثة من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحدٌ من استقبال قبره. اهـ.

قلت: فبذلك صان الله قَبرَه، وقَبِلَ دعوتَه بقوله: **«اللَّهُمَّ لا تَجعَلْ قبري وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ على قَوْمٍ اتخذوا قُبورَ أَنبيائِهِمْ مَساجِدَ»** [٢].

قوله: (ولمسلم عن جندب بن عبدالله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: **«إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**).

قوله: (عن جندب بن عبدالله) أي: ابن سفيان البَجَلي، ويُنسَب إلى جَدّه، صحابي مشهور، مات بعد الستين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه للأحاديث الصحيحة، وصرَّح أصحابُنا وغيرُهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه.

قال: ولا ريب في القطع بتحريمه ـ ثم ذَكَر الأحاديث في ذلك؛ إلى أن قال ـ: وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والمُلوك وغيرهم

---

(١) في «الصحيح» (٥٣٢).

(٢) يأتي تخريجه ـ إن شاء الله ـ في الباب الذي بعد هذا.

لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذٰلِكَ».

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ مَنْ فَعله، والصلاةُ عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجدٌ، وهو معنى قولها: «خُشي أن يُتَّخذ مسجدًا»، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قُصِدت الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذ مسجدًا، بل كلُّ موضع يُصَلَّى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ: «**جُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[١].

ولأحمدَ بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ مِنْ**

تتعين إزالتها بهدم أو غيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين.

قوله: (فقد نهى عنه في آخر حياته، ثُمَّ إنَّهُ لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يُبْنَ مسجدٌ. وهو معنى قولها: «خُشِيَ أن يُتَّخَذَ مَسجدًا»، فإن الصحابة لم يكونوا لِيَبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قُصِدَتِ الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجدًا، بل كلُّ موضع يُصَلَّى فيه يُسمَّى مسجدًا؛ كما قال ﷺ: «**جُعِلتْ لي الأرْضُ مسجدًا وطَهورًا**»).

هذا ذكره شيخنا، وهو من تقرير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى على هذه الأحاديث.

قوله: (ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ مِنْ شِرارِ النَّاسِ مَنْ تدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْياءٌ، والذينَ يَتَّخِذونَ القُبورَ مَساجِد**». ورواه أبو حاتم في «صحيحه»).

قلت: وقد وقع هذا في الأمة كثيرًا، كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، كما لا يخفى على ذوي البصائر، وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور:

منها: أنهم يُخلصون عند الاضطرار لغير الله، وينسون الله.

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُم أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ».

ورواه أبو حاتم بن حبان في «صحيحه»(١).

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، وغِلَظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك؛ كيف بيَّن لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في النزع لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجَد القبرُ.

ومنها: أنهم يعتقدون أن آلهتهم من الأموات يتصرفون في الكون دون الله!

وجمعوا بين نوعي الشرك؛ في الإلهية والربوبية، وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عُمَان وأمثاله: إن عبدالقادر الجيلاني يسمع من دعاه ومع سماعه ينفع!! فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت، فلقد ذهب عقل هذا وضل، فكفر بما أنزله الله في كتابه؛ كقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤].

فما صَدَّقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ولا آمنوا بما أنزله الله في كتابه، بل بالغوا وعاندوا في رَدِّه، وكذبوا وألحدوا، وكابروا المعقول والمنقول، فالله المستعان.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٥/١)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٧٨٩)، وابن حبان (٣٤٠، ٣٤١ ـ موارد الظمآن).

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٧/٢): «رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١٨٦/٢): «إسناده جيّد».

الخامسة: أنه من سُنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنُه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مرادَه ﷺ تحذيرُه إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدًا.

العاشرة: أنه قَرَنَ بين من اتخذها مسجدًا وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الردَّ على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم: الرافضة، والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلي به ﷺ من شدة النَّزْع.

الثالثة عشرة: ما أُكرِم به من الخُلَّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّدِّيق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.



٢٠ ـ باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

روى مالك في «الموطأ»: أن رسول الله ﷺ قال: **«اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[1].

قوله:

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

روى مالك في «الموطأ»: أن رسول الله ﷺ قال: **«اللَّهُمَّ لا تجعَلْ قَبري وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ على قَوْمٍ اتَّخَذوا قبورَ أَنْبيائِهِمْ مَساجِد»**.

وذلك أنه ﷺ خاف أن يقع من أمته في حقه كما وقع من اليهود والنصارى

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١/١٨٥ ـ ١٨٦ تنوير الحوالك) عن عطاء بن يسار مرسلاً.
وأخرجه البزّار موصولاً من طريق عُمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.
ذكر ذلك ابن عبدالبر ـ فيما نقله السيوطي في «تنوير الحوالك» (١/١٨٦) ـ، وقال: «فهذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند؛ لإسناد عُمر بن محمد له، وهو ممّن تُقبل زيادته». وانظر «تحذير الساجد» للعلامة الألباني ص(١٨ ـ ١٩).

ولابن جرير[(١)] بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يَلُتُّ لهم السَّوِيقَ، فمات فعكفوا على قبره.

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلتُّ السَّويق للحاجِّ[(٢)].

في حق أنبيائهم؛ من عبادتهم من دون الله، وسبب ذلك الغُلوُّ فيهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

وكذلك رغب ﷺ إلى ربه أن لا يجعل قبرَه وثنًا يُعبد، وقد عُبدت القبور بأنواع العبادة كما لا يخفى، وتقدم في حديث عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأُبرِز قَبْرُهُ، غيرَ أنَّهُ خُشيَ أنْ يُتَّخذَ مَسْجِدًا».

وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ، وصان قبرَه وأحاطه بثلاثةِ جُدران، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

فَأجَابَ ربُّ العالَمِينَ دُعَاءَهُ وأحَاطَهُ بثَلاثَةِ الجُدْرَانِ

قوله: (ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ قال: كان يلتّ لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلتّ السويق للحاجّ):

ابن جرير: هو أبو جعفر ابن جرير صاحب التفسير الكبير، وهو أجلُّ التفاسير وأحسنها، وهو من أئمة المسلمين المجتهدين، وله كتاب «الأحكام»[(٣)] رحمه الله تعالى.

قوله: (كانَ يَلُتُّ لهم السَّويقَ، فماتَ فعَكَفوا عَلى قبرِهِ): فيه شاهد

---

(١) في «جامع البيان في تفسير القرآن» برقم (٢٥١٨٠).

(٢) «جامع البيان» برقم (٢٥١٨٢).

(٣) كتاب «الأحكام» المذكور هو لمحب الدين الطبري، وهو غير محمد بن جرير المترجم له هنا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ، وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ. رواه أهل السنن[١].

فيه مسائل:

الأولى: **تفسير الأوثان.**

الثانية: **تفسير العبادة.**

الثالثة: **أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.**

الرابعة: **قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.**

الخامسة: **ذكر شدة الغضب من الله.**

السادسة **- وهي من أهمها -: معرفة صفة عبادة اللَّات التي هي من أكبر الأوثان.**

للترجمة؛ فإنهم غَلَوا فيه لأجل صلاحه، واتخذوه وثنًا بتعظيمه وعبادته، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية.

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَعَنَ رَسولُ الله ﷺ زائِراتِ القُبور، والمتَّخِذينَ عَليها المساجِدَ والسُّرُجَ. رواه أهل السنن).

وهذا الحديث صحيح؛ صححه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[٢]، ويكفيك في الاحتجاج به روايةُ أهلِ السنن له، ولم يذكر أحد منهم له علة، ولا مُعَارِض له.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٤/٩٤ ـ ٩٥).
وأخرج ابن ماجه (١٥٧٥) الجملة الأولى منه فقط.
وهو حديث صحيح لشواهده، إلّا ذِكر «السُّرج» فيه فإنه مُنكر؛ كما بيّن ذلك العلاّمة الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (٢٢٥)، و«تحذير الساجد» ص(٤٣).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣٤٨ ـ ٣٥٢).

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنُه زوَّارات القبور.

العاشرة: لعنُه من أسرجها.

* * *

٢١ ـ باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَجْعَلُوا**

قوله:

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قد تقدم فيما سلف من الأبواب قبل هذا.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾): ووجه الدلالة بالآية: أنه ﷺ يعزّ عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره، ووسائله، وما يقرب منه من كبائر الذنوب. وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى، وقد كانت هذه حال أصحابه رضي الله عنهم، في قطعهم الخيوط التي رقي للمريض فيها، ونحو ذلك من تعليق التمائم.

قوله: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

بُيُوتَكُم قُبُورًا، وَلا تَجعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُم تَبْلُغُنِي حَيثُ كُنتُمْ». رواه أبو داود[١] بإسناد حسن، ورواته ثقات.

تَجْعَلوا بُيوتَكُمْ قُبُورًا، وَلاَ تَجعَلوا قَبري عِيدًا، وَصَلُّوا عَليَّ، فإنَّ صَلاتكُمْ تَبْلغُني حَيثُ كُنْتُمْ». رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثِقاتٌ):

قال الحافظ محمد بن عبدالهادي[٢]: هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهدُ يرتقي بها إلى درجة الصحة.

نهاهم ﷺ أن يَهجُروا بيوتهم عن الصلاة فيها، كما تُهجَر القبور عن الصلاة إليها مخافة الفتنة بها، وما يفضي إلى عبادتها من دون الله؛ لأن النهي عن ذلك قد تقرر عندهم، فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك.

قوله: «وَلا تَجْعَلوا قَبري عِيدًا»: فيه شاهد للترجمة، قال شيخ الإسلام: العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد؛ عائدًا إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك.

وقال ابن القيم رحمه الله: العيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإذا كان اسمًا للمكان فهو الذي يُقصد فيه الاجتماع، وانتيابه للعبادة أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام، ومنًى، ومزدلفة، وعرفة، والمشاعر: جعلها الله عيدًا للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيدًا. وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، والمشاعر.

---

(١) في «السنن» (٢٠٤٢) من طريق عبدالله بن نافع، أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة به.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/١٧٠): «وهذا إسناد حسن».

(٢) في «الصارم المُنكي في الردّ على السُّبكي» ص(٤١٤).

وعن عليِّ بن الحُسين رضي الله عنه: أنَّه رأى رجلاً يَجِيءُ إلى فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخُلُ فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أُحدثكم

قوله: (وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنه رأى رَجُلاً يَجيء إلى فُرْجَةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ، فَيدْخُلُ فيها فَيَدْعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**». رواه في «المختارة»):

هذا الحديث رواه أبو يعلى، والقاضي إسماعيل، والحافظ الضياء في «المختارة»[1].

قال شيخ الإسلام: فانظر هذه السنَّةَ كيفَ مَخْرَجُها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قُربُ النسَب، وقربُ الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط. انتهى.

قوله: (عن علي بن الحسين) أي: ابن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين رضي الله عنهم. أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم، قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح.

قوله: (أنَّهُ رأى رجلاً يَجيءُ إلى فُرْجَةٍ): بضم الفاء، وسكون الراء؛ وهي الكُوَّة في الجِدار والخَوْخَة ونحوهما.

قوله: (فَيَدْخُلُ فيها فيدعُو، فَنَهاهُ): وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسلام: ما علمت أحدًا رخص فيه؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه

---

(١) أخرجه الضياء في «المختارة» (٢/٤٩ رقم ٤٢٨)، وأبو يعلى (٤٦٥).
قال الألباني في «تحذير الساجد» ص(٩٥): وسنده مسلسل بأهل البيت رضي الله عنهم، إلاّ أن أحدهم ـ وهو علي بن عُمر ـ مستور كما في «التقريب».

حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَما كُنْتُمْ**». رواه في «المختارة».

عيدًا، ويدل أيضًا على أن قَصْدَ القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه؛ لأن ذلك لم يُشرَع.

وكره مالكٌ لأهل المدينة كلما دَخَل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك. قال: ولن يُصلِحَ آخِرَ هذه الأمة إلاَّ ما أصلَح أوَّلَها.

وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قَعَدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد هو السُّنَّة.

وأما دخولهم عند قبره للصَّلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء؛ فلم يَشْرَعه لهم، بل نهاهم عنه في قوله: «**لا تتَّخِذوا قَبْري عيدًا، وَصَلوا عليَّ، فإِنَّ صَلاتكُمْ تبْلُغُني**»(١). فبيّن أن الصلاة تَصِل إليه من بُعْدٍ، وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد.

وكانت الحُجْرة في زمانهم يُدخَل إليها من الباب، لما كانت عائشة رضي الله عنها فيها وبعد ذلك، إلى أن بني الحائط الآخَر، وهم مع ذلك التَّمَكُّن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه؛ لا لسلام، ولا لصلاة، ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يَطمع فيهم حتى يُسْمِعَهم كلامًا أو سَلامًا، فيظنون أنه هو كلَّمهم وأفتاهم وبيّن لهم الأحاديث، وأنه قد ردّ عليهم السلام بصوت يُسمَع من خارج! كما طمع الشيطان في غيرهم، فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم، ويحدثهم في الظاهر! وأنه يخرج من القبر، ويرونه خارجًا

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

. . . .

من القبر! ويظنون أن نفسَ أبدَانِ الموتى خرجت تُكلِّمهم، وأن أرواحَ الموتى تَجسَّدت لهم فرأوها!

والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره، كما يَفْعَلُ مَن بعدَهم من الخُلُوف(١).

قال سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا عبدالعزيز بن محمد، أخبرني سُهيل بن أبي سهيل، قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند قبر النبي ﷺ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشَّى، فقال: هَلُمَّ إلى العَشَاء! قلتُ: لا أريدُه. قال: ما لي رأيتُكَ عند القبرِ؟ فقلت: سلَّمْتُ على النبي ﷺ. فقال: إذا دخلتَ المسجد فسلِّم. ثم قال لي: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَتَّخِذوا قبْري عيدًا، ولا تتَّخِذوا بُيوتَكمْ قُبورًا، وَصَلوا عَليَّ، فإنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُني حَيْثُما كُنتُمْ. لعَنَ الله اليهودَ والنَّصارى، اتَّخَذوا قبورَ أَنْبيائِهِمْ مَساجِدَ**»، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء(٢).

قلت: وهذا أيضًا له قُرْبُ النَّسَب وقُربُ الدار، فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنده، فالمجيء إلى القبر للسلام عليه وتحرِّي إجابةَ الدعاء ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الأمة، ولو كان مشروعًا لَمَا تركه الخلفاءُ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين، ولَمَا أنكروا على مَن فَعَله.

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٧/٣٨٥ فما بعد).

(٢) أخرجه الحافظ إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» رقم (٣٠)، وعبدالرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٢٦) مختصرًا مع اختلاف في اللفظ.
ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (١/٣٣٨ - ٣٣٩).
ثم نقله أيضًا (٢/١٧٢) مع مرسل آخر عن أبي سعيد مولى المهري، ثم قال: «فهٰذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلاّن على ثبوت الحديث، لا سيما وقد احتجّ من أرسله به، وذلك يقتضي ثبوته عنده، ولو لم يكن رُوي من وجوه مسنَدة غير هذين، فكيف وقد تقدّم مُسنَدًا؟».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحِمَى غاية البُعد.

الثالثة: ذكر حِرصِه علينا ورأفتِه ورحمتِه.

الرابعة: نهيُه عن زيارة قبره على وجهٍ مخصوص، مع أنَّ زيارتَه من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيُه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حَثُّه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم: أنه لا يُصلَّىٰ في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاةَ الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بَعُد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البَرْزَخِ تُعْرَضُ أعمالُ أُمَّتِه في الصلاة والسلام عليه.

وقولهم هو الحجة، وهو الذي دلّت عليه الأحاديث، كحديث عائشة، وحديث الباب، وغيرهما؛ لعلم السلف بما أراده النبي ﷺ بنهيه عن الغلو، وخوفه مما وقع ممن غلا في الدين، واتبع غير سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ولَمَّا حَدَثَ الشركُ بأرباب القبور في هذه الأمة، وتعظيمها وعبادتها؛ صارت تُشَدُّ الرحالُ إليها لقصد دعائها، والاستغاثة بها، وبذل نَفِيس المال تقرُّبًا إليها، وتعظيم سَدَنتها. فيا لها من مصيبة ما أعظمها!! نسأل الله السلامة من هذا الشرك، وما يقرب منه، أو يوصل إليه.

٢٢ ـ باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قوله:

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾.

الوثنُ يُطلَق على كل من قُصِد بنوع من أنواع العبادة من دون الله، من صنم أو قبر أو غيره؛ لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٧١].

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾): روى ابن أبي حاتم[1] عن عكرمة قال: جاء حُيَيُّ بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا: أنتم أهل الكتاب وأهل العِلْمِ، فأخْبرُونا عنَّا وعن محمد. فقالوا: ما أنتم ومحمد؟ فقالوا: نحن

---

(١) في «التفسير» رقم (٥٤٤١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

نَصِل الأرحام، ونَنْحَر الكُوماء[١]، ونسقي الماء على اللبن، ونفُك العُناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صُنْبُور[٢]، قطع أرحامنا، واتَّبعه سرّاق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خيرٌ وأهْدى سبيلاً. فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾.

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾: قال البغوي في «تفسيره»: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعني قولهم: لم نرَ أهل دين أقل حظًّا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًّا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء؛ كقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

وقوله: ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابًا وجزاءً؛ نصب على التفسير، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ فالقردة: أصحاب السبت، والخنازير: كفار مائدة عيسى.

وعن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أن المَسْخَين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مُسِخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير. ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سوَّل له.

---

(١) أي: الناقة الضخمة السَّنام.
(٢) يعنون: أبتر لا عقب له.

عن أبي سعيد رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**». قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «**فَمَنْ؟**». أخرجاه[1].

وفي «تفسير الطبري»: قرأ حمزة: ﴿وعبُد الطاغوتِ﴾ بضم الباء وجرّ التاء، وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، وإبراهيم النخعي، والأعمش، وأبان بن تغلب: ﴿وعُبُدَ الطاغوتِ﴾ بضم العين والباء، وفتح الدال، وخفض التاء.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: **مما تظنون بنا**، ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرَف الآخر مشارك؛ كقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٌ مُّسۡتَقَرًّا وَأَحۡسَنُ مَقِيلًا ٢٤﴾ [الفرقان: **٢٤**]. قاله ابن كثير[2].

قوله: (عن أبي سعيد؛ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لتتَّبِعُنّ سننَ مَنْ كانَ قَبْلكمْ حَذْوَ القُذّةِ بِالقُذةِ، حَتَّى لوْ دَخلوا جُحْرَ ضَبّ لدَخلْتموه**». قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**». أخرجاه): وهذا سياق مسلم.

فبيّن ﷺ في هذا الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب - ممَّا ذمّهم الله به في هذه الآيات وغيرها - لا بد أن يقع جميعُه في هذه الأمة، وهو الشاهد للترجمة.

قوله: «**سَنَنَ**»: بفتح المهملة، أي: طريق من كان قبلكم.

قوله: «**حَذْوَ القُذَّةِ**»: بنصب «حَذو» على المصدر، و«القُذّة» - بضم القاف -: واحدة القذذ، وهو ريش السهم. أي: لتتبعنّ طريقهم في كل ما فعلوه، وتُشبِهونهم في ذلك كما تشبه قُذَّةَ السهم القذّة الأخرى، فوقع كما أخبر ﷺ.

---

(١) البخاري (**٣٤٥٦**)، ومسلم (**٢٦٦٩**)؛ كلاهما بلفظ: «...**شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**..» الحديث. وليس عندهما عبارة: «**حذو القذّة بالقذّة**»، وإنما هي عند الإمام أحمد في «المسند» (**١٢٥/٤**) من حديث شدّاد بن أوس مرفوعًا بلفظ: «**ليحملَنّ شرارُ هذه الأمة على سنن الذين خلَوا من قبلهم: أهل الكتاب؛ حذو القذّة بالقذّة**».

(٢) في «تفسيره» (**٧٥/٢**).

ولمسلم(١) عن ثوبان رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الله زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشارِقَها وَمَغارِبَها، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ

قال سفيان بن عيينة: من فسَد من علمائنا ففيه شبَه من اليهود، ومن فسد من عبّادنا ففيه شبَه من النصارى. انتهى.

قوله: (عن ثوبان رضي الله عنه؛ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الله زوَى ليَ الأَرْضَ، فرَأيْتُ مَشارِقها وَمَغارِبَها، وَإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغ مُلْكها ما زُوِيَ لي منها، وَأُعْطِيتُ الكَنزَيْن الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد! إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُردّ. وأني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**».

ورواه البرقاني في «صحيحه»، وزاد: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى**»): هذا الحديث رواه أبو داود في «سننه»، وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف رحمه الله.

قوله: (عن ثوبان): هو مولى النبي ﷺ، ولازمه، ونزل بعده الشام، ومات بحِمْص سنة أربع وخمسين.

---

(١) في «الصحيح» برقم (٢٨٨٩).
وأخرج الزيادة التي ذكرها المصنف: أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وغيرهما، وصححه الألباني رحمه الله بهذه الزيادة في «صحيح الجامع الصغير» (١٧٧٣).

لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لَا

قوله: «**زَوَى لي الأرْضَ**»: قال التوربشتي: زويتُ الشيءَ: جمعته وقبضته. يريد تقريب البعيد منها، حتى اطَّلع عليه اطِّلاعه على القريب ﷺ.

وحاصله: أنه طَوَى له الأرض، وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره.

قال الطيبي: جمَعها لي حتى أبصرتُ ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها.

قوله: «**وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي مِنها**»: قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ، وذلك أن مُلك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طَنْجَة ـ بالنون والجيم ـ، الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد الهند والسِّند والصين، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يذكر ـ عليه السلام ـ أنه أُريه وأُخبر به، ولا أخبرَ أن ملك أمته يبلغه.

قوله: «**زُوِيَ لي منها**»: يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل، وأن يكون مبنيًا للمفعول.

قوله: «**وَأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ الأَحْمرَ وَالأَبْيضَ**»: قال القرطبي: يعني به كنز كسرى وهو مَلِك الفرس، وقيصر وهو ملك الروم، وقصورهما وبلادهما، وقد قال ﷺ: «**والذي نَفسي بِيدِهِ، لتُنفقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله**»[١]. وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، ووجد ذلك في خلافة عُمر.

قوله: «**وَإنِّي سَأَلتُ رَبِّي لأُمَّتي أَنْ لا يُهلِكَها بِسَنَةٍ بِعامَّةٍ**»: هكذا ثبت في أصل المصنف بالباء، وهي رواية صحيحة في «صحيح مسلم»، وفي بعضها

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه البخاري (٣١٢١)، ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سَمُرة رضي الله عنه.

يُهْلِكَها بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

ورواه البرقاني في «صحيحه»، وزاد: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ

بحذفها قال القرطبي: وكأنها زائدة؛ لأن «عامة» صفة السنة.

والسنة: الجَدْبُ الذي يكون به الهلاك العام.

قوله: «مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ» أي: من غيرهم من الكفار؛ من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، كما هو مبسوط في التاريخ.

قوله: «فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ»: قال الجوهري: بيضةُ كلِّ شيء: حوزتُه، وبيضة القوم: ساحتهم.

وعلى هذا فيكون معنى الحديث: أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين، حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض ـ وهي جوانبها ـ. وقيل: بيضتهم: معظمهم وجماعتهم، وإن قلوا.

قوله: «وَإِنَّ رَبِّي قال: يا محمدُ! إذا قضيتُ قضاءً فإِنَّه لا يُرَدُّ»: هذا كما في الحديث: «وَلا رادَّ لما قَضَيْتَ»[1].

قوله: «حتَّى يَكونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»: الظاهر أن «حتى» هنا لانتهاء الغاية، أي: أن أمر أمته ينتهي إلى أن يكون بعضُهم يُهلِك بعضًا.

---

(١) جزءٌ من حديث أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٩٦٣٨) من حديث المغيرة بن شعبة.
وأخرجه البزار ـ كما في «مجمع الزوائد» (١٠٣/١٠) ـ من حديث جابر. وقال الهيثمي: إسناده حسن.

الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي

قوله: (ورواه البرقاني في «صحيحه»): هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب، الخوارزمي الشافعي. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة. قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، لم نرَ في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه، كثير التصانيف، صنّف مسندًا ضمّنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمَع حديث الثوري، وحديث شعبة، وطائفة.

قوله: «**وَإنَّما أخافُ على أُمَّتي الأئمةَ المُضِلِّينَ**» أي: الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات: ٧١]، وأمثال هذه الآيات كثيرة في القرآن.

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالِم، وجدالُ المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. رواه الدارمي(١).

قوله: «**وَإذا وَقَعَ عَليهِمُ السَّيفُ لَمْ يُرفَعْ إلى يَوْمِ القيامةِ**»: وقد وقع ذلك، وما زالت الأمة كذلك، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وفيه ما هو حق؛ كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك بالله، وجهادهم على تركهم الشرك، وقد مَنَّ الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلى توحيده، لكن أهل الشرك بدؤوهم بالقتال، وأظهرهم الله عليهم، كما لا يخفى على من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة.

قوله: «**وَلا تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلحقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتي بالمشركينَ**»:

---

(١) في «مسنده» رقم (٢٢٠) بإسناد صحيح.

الأَوْثَانَ. وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ؛ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا

الحيُّ: واحد الأحياء، وهي القبائل. وفي رواية أبي داود: «**حتى يلحَق قَبائلُ مِنْ أمتي بالمشركين**». وَكَمْ!؟ وَكَمْ!؟

قوله: «**وحتى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأوْثان**»: والفِئَام ـ مهموز ـ: الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات. وهذا هو شاهد الترجمة.

وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان، حتى إنه لا يُعرف أحدٌ في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك، حتى أقام الله شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، الذي أنكره ونهى عنه، ودعا الناس إلى تركه، وإلى أن يعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فرماه المُلوك وأتباعُهم بقوس العداوة، فأظهره الله بالحجة، وأعز أنصاره على من ناوأهم، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، ولكن من الناس من عرف، ومنهم من أنكر، فانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرهم، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة، جعلنا الله شاكرين.

قوله: «**وَإنهُ سَيَكونُ في أُمَّتي كَذّابونَ ثلاثونَ؛ كُلهُمْ يَزعُمُ أَنَّهُ نَبيٌّ**»: قال القرطبي: وقد جاء عددهم معيَّنًا في حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَكونُ في أُمّتي كَذّابونَ دَجّالونَ سَبْعٌ وَعِشْرونَ؛ مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ**». أخرجه أبو نعيم[1]، وقال: هذا حديث غريب. وحديث ثوبان أصح من هذا.

قال القاضي عياض: عُدَّ من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن، ممن اشتهر بذلك وعرف، واتّبعه جماعةٌ على ضلالته، فوُجِد هذا العددُ فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا، وآخرُهم الدجّال الأكبر.

قوله: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيّينَ لا نبيّ بعدي**»: قال الحسن: الخاتم الذي خُتِم

---

(١) في «الحلية» (١٧٩/٤).
وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٩٦/٥) بسندٍ جيّد كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨٧/١٣).

خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. وَلا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورَةً،

به، يعني: أنه آخر النبيين؛ كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وإنما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، مصلّيًا إلى قبلته، فهو كآحاد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة.

قوله: «وَلاَ تزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي على الحَقِّ مَنْصورَةً، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خالَفَهُمْ»: قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين؛ ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قُطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في بلد واحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض منهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهى ملخصًا مع زيادة فيه. قاله الحافظ(١).

قال المصنف(٢): وفيه الآية العظيمة: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية.

قوله: «**حتى يَأتي أَمْرُ اللَّهِ**»: **الظاهر أن المراد به ما روي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلاَّ شرار الناس**(٣).

قوله: «تَبَارَكَ وتعَالَى»: قال ابن القيم رحمه الله: البركة نوعان: أحدهما: بركة هي فِعْلُهُ، والفعل منها بارَكَ، ويتعدى بنفسه تارة، وبأداة «على» تارة، وبأداة «في» تارة. والمفعول منها مُبارك، وهو ما جُعِل منها كذلك، فكان

---

(١) في «فتح الباري» (**١٣/٢٩٥**).

(٢) انظر المسألة التاسعة والعاشرة من هذا الباب.

(٣) انظر في هذا حديث النوّاس بن سِمعان الطويل في «صحيح مسلم» (**٢١٣٧/١١٠**) في كتاب الفتن، وأثر عبدالله بن عمرو عند مسلم (**١٩٢٤**).

لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة ـ وهي أهمها ـ: معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع: هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين.

السادسة ـ وهي المقصود بالترجمة ـ: أن هذا لا بُدَّ أن يوجد في هذه الأمة؛ كما تقرر في حديث أبي سعيد.

مباركًا بجعله تعالى.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعلُ منها: تباركَ. ولهذا لا يُقال لغيره ذلك، ولا يصحُّ إلا له عزّ وجل، فهو سبحانه المتبارِك وعبدُه ورسوله المبارَك. وأما صفةُ «تبارك» فمختصة به؛ كما أطلقها على نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه، مختصة به، لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة؛ كتعالى وتعاظم ونحوه؟ فجاء بناءُ «تبارك» على بناء «تعالى»؛ الذي هو دالٌّ على كمال العلوّ ونهايته، فكذلك «تبارك» دالٌّ على كمال بركته وعظمتها وسعتها. وهذا معنى قول من قال من السلف: تبارك: تعاظم. وقال ابن عباس: جاء بكل بركة.

السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة؛ مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق.

وفيه: أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يُصدَّق في هذا كله مع التضاد الواضح.

وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئامٌ كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة؛ منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.

وإخباره بأنه أعطي الكنزين.

وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

وإخباره بأنه مُنِع الثالثة.

وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع.

وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين.

وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة.

وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.



٢٣ ـ باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قوله:

باب ما جاء في السحر

أي: والكهانة.

السِّحْر في اللغة: عبارة عما خَفِيَ ولَطف سببُه، ولهذا جاء في الحديث: «**إنَّ مِنَ البيَانِ لسِحْرًا**»[1]. وهذا من التشبيه البليغ؛ شبهه بالسِّحر لكونه بالبيان يحصل منه ما يحصل من السحر.

قال أبو محمد المقدسي في «الكافي»: السحر عزائمُ ورقى، ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان، فيُمرِض ويَقتُل، ويُفرِّق بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]؛ يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن. ولولا أن للسحر

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥١٤٦) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه مسلم في «الصحيح» (٨٦٩) من حديث عمّار بن ياسر رضي الله عنهما.

قال عمر: الجِبتُ: السحر، والطاغوت: الشيطان(١).

وقال جابر: الطواغيت: كُهَّان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حيٍّ واحدٌ(٢).

حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه.

واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد؛ قال أصحابه: إلا أن يكون سِحرُه بأدوية، وتدخين، وسقي شيء يضرّ؛ فلا يكفر.

ومما يدل على أنه كُفر: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال عُمرُ في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: الجبت: السحر. والطاغوت: الشيطان. وتقدم كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في حد الطاغوت، وأن له أفرادًا؛ منها عبادة غير الله، فالمعبود طاغوت كما دلت عليه الآيات، ومنهم الكهان، ومن يحكم بغير الحق، أو يأمر بما يخالف الحق، أو يرضى به، وغير ذلك.

قوله: (الطَّواغيتُ كُهَّانٌ): أراد أن الكهان من الطواغيت.

قوله: (كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ): أراد الجنس، لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم، ويخبرونهم بما يسترِقُونه من السمع، فيصدقون مرة، ويكذبون مائة.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٨/٢٥١ ـ الفتح) معلّقًا بصيغة الجزم.
وقال الحافظ: «وصله عبد بن حُميد في «تفسيره»، ومسدَّد في «مسنده»، وعبدالرحمن بن رسته في «كتاب الإيمان»؛ كلهم من طريق أبي إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر مثله، وإسناده قويّ».

(٢) أخرجه البخاري (٨/٢٥١ ـ الفتح) معلّقًا بصيغة الجزم.
قال الحافظ: «وصله ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبّه، قال: سألتُ جابرَ بنَ عبدالله عن الطواغيت التي يتحاكمون إليها؟ قال: في جُهينَة واحدٌ، وفي أسلمَ واحدٌ، وفي هلال واحد، وفي كلّ حيّ واحد؛ كُهَّان ينزل عليهم الشياطين».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**». قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ،**

قوله: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ**». قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟ قال: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقتلُ النَّفْسِ التي حَرَّم الله إلاَّ بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحصناتِ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ»).

هكذا أورده المصنف رحمه الله تعالى غير معزوٍّ، وقد رواه البخاري ومسلم[1].

قوله: «**اجتنبوا**» أي: ابعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا أو اتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قوله: «**الموبِقاتِ**»: بِمُوَحَّدة وقاف، أي: المهلكات، وسُميت هذه موبقات لأنها تُهلِك فاعلَها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب، وفي حديث ابن عمر عند البخاري في «الأدب المفرد»[2] مرفوعًا وموقوفًا قال: «**الكَبائرُ تِسْعٌ**: ـ وذكر السبعة المذكورة ـ **وَالإِلْحاد في الحَرَمِ، وعُقوقُ الوالِدَيْنِ**».

قوله: (قال: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ**»: هو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

والشركُ فاحذرهُ فشِرْكٌ ظاهرٌ ... ذا القسمُ ليسَ بقابلِ الغُفْرَانِ
وهو اتخاذُ النِّدِّ للرحْمٰنِ أيًا ... كان مِن حَجَرٍ ومن إنسانِ
يدعُوه أو يرجُوه ثُمَّ يخافُه ... ويحبّه كمحبَّة الدَّيَّانِ

---

(١) البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) برقم (٨) موقوفًا على ابن عُمر. وليس فيه ذكر السِّحر، وفيه: «...والحاد في المسجد، والذي يَستَسْخِر، وبكاء الوالدين من العقوق».
وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٦).

وَقَتْلُ النَّفْس الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيم، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤْمِنَاتِ».

وبدأ به لأنه أعظم ذنب عُصِيَ الله به؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

قوله: «**والسِّحْرُ**»: تقدم تعريفه.

قوله: «**وَقَتْل النَّفْس التي حَرَّمَ الله إلّا بالحَقّ**» أي: نفس المسلم المعصوم، وقتل المعاهد؛ كما في الحديث: «**مَنْ قَتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رائحةَ الجَنَّةِ**»[١].

وذهب ابن عباس وأبو هريرة إلى أنه لا توبة لمن قتل مؤمنًا متعمدًا، وذهب جمهور الأمة سلفًا وخلفًا إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب وعمل صالحًا بدَّلَ الله سيئاته حسنات؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

قوله: «**وَأَكْلُ الرِّبا**» أي: تناوله بأي وجه كان؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ...﴾ الآيات [البقرة: **٢٧٥**].

قال ابن دقيق العيد: وهو مجرَّب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وفي الحديث: «**الرِّبا نَيِّفٌ وَسَبْعون حُوبًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (**٣١٦٦**) من حديث عبدالله بن عمرو، وتمامه: «**وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**».

(٢) أخرجه ابن ماجه (**٢٢٧٤**) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «**الربا سبعون حوبًا..**» الحديث.

=

وعن جندب مرفوعًا: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بالسَّيْفِ**». رواه الترمذي[(١)]، وقال: الصحيح أنه موقوف.

قوله: «**وأكْلُ مَالِ اليتيم**» يعني: التعدي فيه، وعبّر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

قوله: «**وَالتَّولي يَوْمَ الزَّحْفِ**»: أي: الإدبار عن الكفار وقت الْتِحَام القتال؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

قوله: «**وَقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ**»: وهو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: الحافظات فروجهن منه، والمراد: الحرائر العفيفات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ...﴾ الآية [النور: **٢٣**].

قوله: (عن جُندب مرفوعًا: «**حدّ الساحر ضربهُ بالسيف**». رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف).

قوله: (عن جُندب): رواه الطبراني[(٢)] في ترجمة جندب بن عبدالله البجلي.

قال الحافظ: والصواب أنه غيره، وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن، عن جندب الخير: أَنَّهُ جاءَ إلى ساحِرٍ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ حَتى مَاتَ، وَقالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ.. فذكره.

قوله: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيفِ**»: روي بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح.

= وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (**١٨٥٨**).

(١) في «الجامع» (**١٤٦٠**)، وضعَّفه الألباني في «الضعيفة» (**١٤٤٦**).

(٢) في «المعجم الكبير» (**٢/رقم ١٦٦٥ و١٦٦٦**).

وفي «صحيح البخاري» عن بَجَالَةَ بنِ عَبدَةَ قَالَ: كتب عمرُ بنُ الخطاب: أن اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحِرَ.

وبهذا الحديث أخذ أحمدُ ومالك وأبو حنيفة، فقالوا: يُقتَل الساحر. وروي ذلك عن عُمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبدالعزيز.

ولم ير الشافعيُّ عليه القتلَ بمجرد السحر، إلا إن عمل في سحر ما يبلغ الكفر به

قال ابن المنذر: وهو رواية عن أحمد.

والأول أولى؛ للحديث، ولأثر عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير.

قوله: (وَفي «صَحيحِ البُخاري» عَنْ بجالَةَ بن عَبدَةَ قال: كَتَبَ عمَرُ: أَنِ اقْتُلوا كُلَّ ساحرٍ وساحرة، فَقَتَلْنا ثلاثَ سَواحِرَ).

هذا الأثر رواه البخاري[1] كما قال المصنف، لكن لم يذكر قتل السواحر.

قوله: (عن بَجالة): بفتح الموحدة، بعدها جيم (ابن عَبْدة) بفتحتين، التميمي العنبري، بصري ثقة.

قوله: (كَتَبَ عُمرُ بْنُ الخطاب: أَنِ اقْتُلوا كلَّ سَاحِرٍ وَساحرةٍ): وظاهره أنه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة، وعن أحمد: يستتاب، فإن تاب قُبلت توبته. وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد على الشرك، والمشرك يُستَتاب وتُقبل توبته، ولذلك صح إيمانُ سحرةِ فرعونَ وتوبتُهم.

---

(١) برقم (٣١٥٦). وليس فيه ذِكْرُ الأمر بقتل السواحر كما بيَّن الشارح رحمه الله، وإنما ورد ذلك عند الإمام أحمد في «المسند» (١/١٩٠ ـ ١٩١)، وأبي داود في «السنن» (٣٠٤٣).

وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود»

وصحَّ عن حفصةَ رضي الله عنها: أنها أَمَرت بقتلِ جاريةٍ لها سَحَرَتْها، فقتلت. وكذلك صحَّ عن جُندبٍ. قال أحمدُ: عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي ﷺ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

قوله: (وصح عن حفصة رضي الله عنها: أَنَّها أَمَرَتْ بِقَتْلِ جارِيَةٍ لها سَحَرَتْها، فَقُتِلَتْ): هذا الأثر رواه مالك في «الموطأ»(١).

وحفصة: هي أم المؤمنين بنتُ عمرَ بنِ الخطاب؛ تزوجها النبيُّ ﷺ بعد خُنَيس بن حُذافة، وماتت سنة خمس وأربعين.

وقوله: (وكذلك صَحَّ عن جُنْدبٍ): أشار المصنف بهذا إلى قتله الساحر، كما رواه البخاري في «تاريخه» عن أبي عثمان النَّهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا وأبان رأسه، فعجبنا، فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله.

ورواه البيهقي في «الدلائل» مطولاً، وفيه: فأمر به الوليد فسجن، فذكر القصة بتمامها، ولها طرق كثيرة(٢).

قوله: (قال أحمد: عن ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ): أحمد هو: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أي: صح قتل الساحر عن ثلاثة.

---

(١) في كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر، رقم (١٤)، عن محمد بن عبدالرحمن بن زُرارة؛ أنه بلغه عن حفصة.
وأخرجه موصولًا: عبدالرزاق في «المصنف» (١٨٧٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٦/٨).

(٢) أخرجها البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٢٢/٢)، وعبدالرزاق في «المصنف» (١٨٧٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٦/٨).

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يَكفُر.

السابعة: أنه يُقتَل ولا يُستَتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟!

* * *

٢٤ ـ باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قَطن بن قبيصة، عن أبيه؛ أنه سمع النبي ﷺ قال: «**إنَّ العِيَافَةَ،**

قوله:

باب بيان شيء من أنواع السحر

قوله: (قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**». قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت: قال الحسن: رنة الشيطان):

قوله: (قال أحمد): هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

ومحمد بن جعفر هو المشهور بغُندَر، الهذلي البصري، ثقة مشهور، مات سنة ست ومائتين.

وعوف: هو ابن أبي جميلة ـ بفتح الجيم ـ، العبدي البصري، المعروف بعوف الأعرابي، ثقة، مات سنة ست أو سبع وأربعين، وله ست وثمانون سنة.

وحيان بن العلاء بالتحتية، ويقال: حيان بن مخارق، أبو العلاء البصري، مقبول.

وقطن ـ بفتحتين ـ: أبو سهلة البصري، صدوق.

قوله: (عن أبيه): هو قبيصة ـ بفتح أوله ـ ابن مُخارق ـ بضم الميم ـ،

والطَّرْق، والطِّيَرَة مِنَ الجِبْتِ». قال عوف: العيافة: زَجر الطير، والطَّرْقُ: الخط يُخَطّ بالأرض، والجبت: قال الحسن: رنة الشيطان[(١)]. إسناده جيد.

ولأبي داود، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» المسندُ منه[(٢)].

أبو عبدالله الهلالي، صحابي نزل البصرة.

قوله: («**إنَّ العِيافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَة مِنَ الجِبْتِ**». قال عوف: العيافة: زَجْرُ الطَّيرِ): والتَّفاؤُلُ بِأَسْمائها، وأصواتها، وممرها. وهو من عادة العرب، وكثير في أشعارهم. يقال: عاف يَعِيف: إذا زَجر، وحَدَس، وظن.

قوله: (والطَّرق: الخَطُّ يُخَطُّ بالأرْضِ): هكذا فسره عوف، وهو كذلك؛ قال أبو السعادات: هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء.

قوله: (والجبت) أي: السحر.

قوله: (قال الحسن: رنَّة الشيطان): قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح: أن في «تفسير بقي بن مخلد»: أن إبليس رنّ أربع رنات: رنة حين لُعِنَ، ورنة حين أُهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ورنة حين أُنزلت فاتحة الكتاب.

وروى الحافظ الضياء في «المختارة»[(٣)]. الرَّنِينُ: الصوت، وقد رَنَّ يرِنُّ

---

(١) «المسند» للإمام أحمد (٥/٦٠)، وفيه: «قال الحسن: إنه الشيطان».

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٨)، وابن حبّان في «الصحيح» (١٤٢٦ - موارد الظمآن).
والحديث ضعّفه الألباني في «غاية المرام» (٣٠١).

(٣) كذا وقع هنا بدون ذكر الرواية.
وقد أخرج في «المختارة» (١٠/١٠٥ رقم ١٠١ و١٠٢) بإسنادين عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: لمّا افتتح النبيّ ﷺ مكة رَنَّ إبليس رنّة، فاجتمعت إليه جنوده (وفي لفظ: ذريته)، فقال: ايئسوا أن ترتدّ أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم، وأفشوا فيهم النَّوح.
وفي رواية: ولكن أفشوا فيها - يعني مكة - الشِّعْر والنوح.
وانظر «فتح المجيد» (٢/٤٧٩ - ٤٨٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»**. رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

رَنينًا. وبهذا يظهر معنى قول الحسن رضي الله عنه.

قوله: (المسند منه): لم يذكروا قول عوف[1].

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن اقتبسَ شُعبةً مِنَ النُّجومِ، فقد اقتبس شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»**: رواه أبو داود بإسناد صحيح): وكذا صححه النووي، والذهبي، ورواه أحمد وابن ماجه[2].

قوله: **«مَنِ اقتبَسَ»**: قال أبو السعادات: قبستُ العلمَ، واقتبستُ: إذا علِمته. انتهى.

قوله: **«شعبة»** أي: طائفة من علم النجوم، والشعبة: الطائفة، ومنه الحديث: **«الحياء شُعبة من الإيمان»**[3]، أي: جزء منه.

قوله: **«فَقَد اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ»**: المُحرَّم تعلُّمه. قال شيخ الإسلام: فقد صرّح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

قوله: **«زَادَ ما زَادَ»** أي: كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في السحر، وفي الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه، فإن ما يعتقدونه في النجوم من التأثير باطل، كما أن تأثير السحر باطل، والله أعلم.

---

(١) لكن أبا داود ذكره عنه بإسناد آخر برقم (٢٩٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٩٠٥) بلفظ: **«من اقتبس علمًا من النجوم...»** الحديث. وأخرجه ابن ماجه (٣٧٢٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٣١١/١). وصححه الألباني أيضًا في «صحيح الجامع الصغير» (٦٠٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٩) من حديث أبي هريرة.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**».

قوله: (وللنسائي من حديث أبي هريرة: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فيها فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إليْهِ**»): هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة، وعزاه للنسائي، وقد رواه النسائي مرفوعًا[1]، وحسنه ابن مفلح.

قوله: (وللنسائي): هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبدالرحمن، صاحب «السنن الكبرى»، و«المجتبى»، وغيرهما. روى عن: محمد بن المثنى، وابن بشار، وقتيبة، وخلق. وكان إليه المنتهى في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلاثمائة وله ثمانون سنة.

قوله: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثمَّ نَفَثَ فيها فَقَدْ سَحَرَ**»: قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤]؛ يعني: السواحر اللاتي يفعلن ذلك. والنفث هو من ريق، وهو دون التفل.

قوله: «**وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إليْهِ**» أي: من علق قلبه بشيء، بحيث يرجوه ويخافه، وكله الله إلى ذلك الشيء، ومن قصر تعلقه على الله وحده كفاه ووقاه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. ومن تعلق قلبه بغير الله في رجاء نفع أو دفع ضر فقد أشرك.

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن» (١١٢/٧) من طريق عباد بن ميسرة المنقري، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعًا به.
وهذا إسناد ضعيف؛ له علتان:
ـ عباد بن ميسرة: قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «لين الحديث».
ـ الانقطاع بين الحسن وأبي هريرة.
انظر «غاية المرام» ص(١٧٥) للألباني رحمه الله.

وعن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ: القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رواه مسلم(١).

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**»(٢).

قوله: (وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ألاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَة: القالةُ بينَ النَّاسِ». رواه مسلم).

قوله: «**ألا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟**»: بفتح المهملة وسكون المعجمة، ثم فسرها بقوله: «**هيَ النَّميمَةُ: القالة بين الناس**».

فأطلق عليها العضه؛ لأن النمَّام يعمل عمل الساحر.

وذكر ابن عبدالبر عن يحيى بن أبي كثير قال: يُفْسِد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.

وقال أبو الخطاب في «عيون المسائل»: ومن السحر السعي بالنميمة، والإفساد بين الناس.

قال ابن حزم: واتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة.

وفيه دليل على أنها من الكبائر.

قوله: «**القالَةُ بينَ النَّاسِ**»: ومنه الحديث: «**ففَشَتِ القالَةُ بينَ النَّاس**» أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة.

قوله: (ولهما عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ مِنَ البيانِ لسِحْرًا**»): البيان: الفصاحة والبلاغة.

قال ابن عبدالبر: تأوله طائفة على الذم؛ لأن السحر مذموم، وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح؛ لأن الله تعالى مدح البيان.

---

(١) في «الصحيح» (٢٦٠٦).

(٢) سبق تخريجه في الباب السابق.

فيه مسائل:

الأولى: أنَّ العِيَافَة والطَّرْق والطِّيَرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق والطيرة.

الثالثة: أنَّ علم النجوم من أنواع السحر.

الرابعة: أنَّ العَقْدَ مع النفْث من ذلك.

الخامسة: أنَّ النّميمة من ذلك.

السادسة: أنَّ بعضَ الفَصَاحة منه.

قال: وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى ـ لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله ـ قال: هذا والله السحر الحلال. انتهى.

والأولُ أصح، والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس؛ كما قال بعضهم:

في زخرفِ القولِ تَزيينٌ لباطلهِ ... والحقُّ قد يَعتَرِيه سُوءُ تَعبير

مأخوذ من قول الآخر:

تَقُول: هذا مُجَاجُ النَّحْلِ، تَمدَحُه ... وإن تَشا قُلتَ: ذا قَيْءُ الزَّنابِير

مَدْحًا وَذمًّا وما جَاوزتَ وَصْفَهُما ... والحقُّ قدْ يَعتَرِيه سُوءُ تَعْبِير

قوله: «**إنَّ مِنَ البيَانِ لسِحْرًا**»: هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق، فيستميل به قلوب الجهال، حتى يقبل الباطل وينكر الحق، وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبيّنه، فهذا هو الممدوح، وهكذا حال الرسل وأتباعهم، ولهذا عَلَت مراتِبُهم في الفضائل، وعَظُمت حسناتهم.

❊ ❊ ❊

٢٥ - باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»(١).

قوله:

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

الكاهن: هو الذي يأخذ عن مُستَرِق السمع، وكانوا قبلَ المبعث كثيرًا، وأما بعد المبعث فإنهم قلّوا؛ لأن الله حرس السماء بالشُّهُب.

وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجِنُّ مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة. وقد اغتر بذلك كثير من الناس؛ يظنون ذلك المُخبِرَ لهم عن الجنّ وليًّا لله!! وهو من أولياء الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ...﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨].

قوله: (روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «الصحيح» (**٢٢٣٠**) دون قوله: «**فصدّقه بما يقول**». وفيه: «**ليلة**» بدل «**يومًا**».

وعبارة: «**فصدّقه بما يقول**» وردت عند الإمام أحمد في «المسند» (**٦٨/٤**).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»**. رواه أبو داود[(١)].

النبي ﷺ قال: **«من أتى عرّافًا فسأله عن شيء، فصدّقه بما يقول؛ لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا»**).

قوله: (عن بعض أزواج النبي ﷺ): هي حفصة، ذكره أبو مسعود الثقفي؛ لأنه ذكر هذا الحديث في «الأطراف» في مسندها.

قال البغوي: العرَّاف: الذي يدّعي معرفةَ الأمور بمقدِّمات يستدلُّ بها على المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال شيخ الإسلام: العراف: اسم للكاهن، والمنجم، والرمّال، ونحوهم. وقال أيضًا: والمنجِّم يدخُل في اسم العرّاف.

وقال ابن القيم: من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سمّوه عائفًا وعرافًا.

قوله: **«لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةُ أَرْبعينَ يَوْمًا»**: قال النووي وغيره ما معناه: إنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مُجزية بسقوط الفرض عنه. ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث، فإن العلماء متفقون على أنه لا يَلزم مَن أتى العراف إعادةُ صلاةِ أربعينَ ليلةً. انتهى ملخصًا.

قوله: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ أتى كاهنًا فصدَّقَهُ بما يَقول، فَقَدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ عَلى محمدٍ ﷺ»**. رواه أبو داود): وفي رواية أبي داود: **«أو أتى امرأةً** ـ قال مسدد: **امرأته** ـ **حائضًا، أو أتى امرأةً** ـ قال مسدد: **امرأته** ـ **في دبرها، فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ»**.

---

(١) في «السنن» (٣٩٠٤)، ولفظه كما ذكر الشارح رحمه الله.
وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود». وانظر «الإرواء» (٢٠٠٦).

وللأربعة، والحاكم - وقال: صحيح على شرطهما - عن(. . .): «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** ﷺ»[١].

ولأبي يعلى[٢] بسند جيد عن ابن مسعود مثلُه موقوفًا.

قوله: (وللأربعة والحاكم - وقال: صحيح على شرطهما - عن(. . .): «**من أتى عرّافًا أو كاهنًا فصدّقَهُ بما يَقولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ على محمدٍ** ﷺ»): هكذا بيّض المصنّف لاسم الراوي، وقد رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا.

قوله: «**مَنْ أَتى عرّافًا أو كاهنًا فَصَدَّقَهُ بما يَقولُ، فقد كفرَ بِما أُنْزِلَ عَلى محمد** ﷺ»: قال القرطبي: المراد بالمنزل: الكتاب والسنة. انتهى.

قوله: (ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا): أبو يعلى: اسمه أحمد بن علي بن المثنى، الموصلي، الإمام صاحب التصانيف؛ كـ«المُسند» وغيره. روى عن يحيى بن معين، وأبي خيثمة، وأبي بكر بن أبي شيبة، وخلق. وكان من الأئمة الحفاظ، مات سنة سبع وثلاثمائة.

وهذا الأثر رواه البزار أيضًا، ولفظه: «**مَنْ أَتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنْزِلَ على محمد** ﷺ».

وفي هذه الأحاديث التصريح بكفره.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٤٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/١٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/٨) وصححه، من حديث أبي هريرة مرفوعًا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٥٩٣٩).
وأخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، دون ذكر العرّاف.

(٢) في «المسند» (٥٣٨٦). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١١٨)، وزاد: «**أو ساحرًا**»، وقال: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا هبيرة بن يريم، وهو ثقة».

وعن عِمرانَ بن حُصين مرفوعًا: «**لَيسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ. وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»(*).

رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في «الأوسط»[1] بإسناد حسن من حديث ابن عباس، دون قوله: «**وَمَنْ أَتَىٰ...**» إلى آخره.

قال البغَوي: العرَّاف: الذي يدَّعي معرفةَ الأمور بمقدِّماتٍ يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن.

والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل.

قوله: (وعن عمران بن حصين مرفوعًا: «**ليس منّا من تطير أو تُطُيِّر له، أو تكهن أو تُكُهِّن له، أو سحر أو سُحِر له. ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**». رواه البزار بإسناد جيد، [ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن] من حديث ابن عباس دون قوله: «**ومن أتى...**» إلخ).

قوله: «**ليس منا**»: دليل على نفي الإيمان الواجب، وهو لا ينافي ما تقدم من أن الطيرة شرك، والكهانة كفر.

قوله: (رواه البزار): هو أحمد بن عمرو بن عبدالخالق، أبو بكر البزار البصري، صاحب «المسند الكبير». روى عن ابن بشار، وابن المثنى، وخلق. مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

(*) أورده الهيثمي في «المجمع» (١١٧/٥) وقال: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة».

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٦٢). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٧/٥)، وقال: «رواه البزّار والطبراني في «الأوسط»، وفيه زمعة بن صالح، وهو ضعيف».

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف: اسم للكاهن، والمُنجِّم، والرَّمَّال، ونحوهم؛ ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس - في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم -: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق[١].

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

قوله: (قال ابن عباس - في قوم يكتبونَ أبا جادٍ، وَيَنْظُرونَ في النُّجوم -: مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذلِكَ لَهُ عِنْدَ الله مِنْ خَلاقٍ): هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا[٢]، وإسناده ضعيف.

قوله: (مَا أَرَى): يجوز فتح الهمزة، بمعنى: لا أعلم، ويجوز ضمها، بمعنى: لا أظن. وكتابة أبي جاد وتعلُّمها لمن يدّعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف، وهو الذي فيه الوعيد، وأما تعلّمها للتهجّي وحساب الجُمل فلا بأس به.

قوله: (وينظرونَ في النُّجومِ) أي: يعتقدون أن لها تأثيرًا في باب التنجيم.

وفيه: الحذر من كل علم لا تُعلم صحته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد ورد النهي عنها، والتحذير من قرب أهلها، وسؤالهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم، فما أكثر من يغتر بهذه الأمور!

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٩٨٠٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٩/٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٩٨٠) من حديث ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «**رُبَّ مُعلّم حروف أبي جاد، دارِسٍ في النجوم، ليس له عند الله خلاقٌ يوم القيامة**».
قال الهيثمي في «المجمع» (١١٧/٥): «وفيه خالد بن يزيد العُمري، وهو كذّاب».

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذِكرُ مَن تُكُهِّن له.

الرابعة: ذِكر مَن تُطُيِّر له.

الخامسة: ذِكر مَن سُحِرَ له.

السادسة: ذِكر مَن تعلَّم أبا جاد.

السابعة: ذِكر الفرق بين الكاهن والعرَّاف.



٢٦ ـ باب ما جاء في النُّشْرَة

عن جابر: أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشْرَةِ، فقال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ

قوله:

باب ما جاء في النُّشْرَةِ

بضم النون كما في «القاموس».

قال أبو السعادات: النشرة ضرب من العلاج والرقية، يعالج به من كان يُظَن أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يُكشف ويُزال.

قال ابن الجوزي: النشرة: حَلّ السحر عن المسحور، ولا يكاد يَقدِر عليه إلا من يَعرف السحر.

قوله: (عن جابر: أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن النُّشْرَةِ، فقال: «**هيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ**». رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سُئِلَ أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله).

هذا الحديث رواه أحمد، ورواه عنه أبو داود في «سننه»، وحسّن الحافظ إسناده (١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٢٩٤)، وعنه أبو داود في «السنن» (٣٨٦٨)، وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/٢٣٣).

الشَّيْطَانِ». رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي «البخاري» عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجلٌ به طِبٌّ أو يُؤَخَّذُ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه(١).

قوله: (سُئِلَ عن النُّشْرَةِ): الألف واللام في «النشرة» للعهد، أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها؛ هي من عمل الشيطان.

قوله: (وفي «البخاري» عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخَّذ عن امرأته، أيُحلّ عنه أو ينشّر؟ قال: لا بأس به؛ إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم يُنه عنه).

قوله: (عن قتادة): هو ابن دِعامة ـ بكسر الدال ـ الدَّوسي، ثقة فقيه حافظ، من أحفظ التابعين وأئمة التفسير، قالوا: إنه ولد أكمه. مات سنة بضع عشرة ومائة.

قوله: (رَجُلٌ به طِبٌّ) ـ بكسر الطاء ـ أي: سِحر، يقال: طُبَّ الرجُل ـ بالضم ـ: إذا سُحِر.

قوله: (أو يؤخَّذُ عن امرأته): بفتح الواو مهموزًا، وتشديد الخاء المعجمة، وبعدها ذال معجمة؛ أي: يُحبَس عن امرأته لا يصل إلى جماعها، والأُخْذَة ـ بضم الهمزة ـ: الكلام الذي يقوله الساحر.

قوله: (أيُحَلُّ): بضم الياء وفتح الحاء؛ مبني للمفعول.

قوله: (أوْ يُنَشَّرُ) بتشديد المعجمة.

قوله: (لا بَأسَ به) يعني: أن النشرة لا بأس بها؛ لأنهم يُريدون بها

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٠/٢٣٢ ـ الفتح) معلَّقًا بصيغة الجزم.
قال الحافظ ابن حجر: «وصله أبو بكر الأثرم في «كتاب السنن» من طريق أبان العطار، عن قتادة. ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ: يلتمس من يُداويه؟ فقال: إنما نهى الله عمّا يضرّ، ولم ينه عما ينفع».

وروي عن الحسن أنه قال: لَا يَحُلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ[١].

قال ابن القيم: النُّشْرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

حَلٌّ بسحرٍ مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمَل قولُ الحسن، فيتقرَّب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يُحبّ، فيبطل عمله عن المسحور.

الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يُحمَل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سِحر.

قوله: (ورُويَ عن الحسنِ أنه قال: لا يَحُلُّ السحرَ إلا ساحرٌ): هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في «جامع المسانيد».

والحسن: هو ابن أبي الحسن، واسمه يسار بالتحتية والمهملة، البصري الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه إمام، من خيار التابعين، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين.

قوله: (قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: . . . إلخ).

ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما روى ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ[٢]: عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى، تُقرأ في إناء فيه ماء، ثم يُصب على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١ ـ ٨٢]، وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ . . .﴾ إلى آخر الآيات الأربع [الأعراف: ١١٨ ـ ١٢١]، وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

---

(١) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» كما في «فتح الباري» (١٠/٢٣٣).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/١٩٧٤)، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/٥٦٤).

والثاني: النشرة بالرقية، والتعوُّذات، والأدوية، والدعوات المباحة، فهذا جائز.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النُّشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمُرَخَّص فيه؛ مما يزيل الإشكال.

وقال ابن بطال: في «كتاب وهب بن منبه»: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به؛ يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حُبِس عن أهله(١).

❊ ❊ ❊

(١) نقله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣).

٢٧ ـ باب ما جاء في التَّطَيُّر

وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [يس: ١٩].

قوله:

باب ما جاء في التَّطيُّرِ

أي: من النهي عنه والوعيد.

والطِّيرة ـ بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكَّن ـ: اسم مصدر من تَطيَّر طِيَرة، وأصله التطيّر بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك التطير يَصُدُّهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع، ودفع ضر.

قال المدائني: سألت رُؤبةَ بنَ العجّاج، قلت: ما السانح؟ قال: ما وَلاَّك ميامِنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاَّك مياسِرَه، والذي يَجيء من أمامك هو الناطح والنطيح، والذي يَجيء من خلفك هو القاعِدُ والقَعِيد.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾): ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ...﴾ الآية. والمعنى: أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة، أي: الخصب والسعة والعافية ـ كما فسرهُ مجاهد وغيره ـ ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أي: نحن الجديرون والحقيقون به، ونحن أهله، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ أي: بلاء وقحط ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾،

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**». أخرجاه[١].

فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه؛ أصابنا بشؤمهم، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: طائرهم: ما قضى عليهم وقدَّر لهم. وفي رواية: شؤمهم عند الله ومن قِبَلِهِ. أي: إنما جاءهم الشؤم من قِبلِهِ، بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن أكثرهم جهَّال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة، والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبع قولَه.

وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ...﴾ الآية: المعنى ـ والله أعلم ـ: حظكم وما نالكم من شرٍّ معكم، بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعُدوانكم، فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشرور فهو سببُه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره، وحكمته وعدله.

قوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي: من أجل أنَّا ذَكَّرناكم، وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام!؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

قوله: (عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**». أخرجاه. زاد مسلم: «**ولا نوء، ولا غول**»).

قوله: «**لا عَدْوى**»: قال أبو السعادات: العدوى: اسم من الإعداء؛ كالرَّعوىٰ، يقال: أعداه الداءُ يُعْديه إعداءً: إذا أصابه مثلُ ما بصاحب الداء[٢].

---

(١) البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠)، وليس فيه: «**ولا غُول**»، وإنما هو عنده من حديث جابر برقم (٢٢٢٢).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١٩٢/٣).

زاد مسلم: «**وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ**».

قوله: «**ولا طيرة**»: قال ابن القيم: يحتمل أن يكون نفيًا، أو نهيًا، أي: لا تطّيروا. ولكن قوله في الحديث: «**ولا عدوى، ولا صفر، ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه.

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمرّ طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير! خير! فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر! فبادره بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر فصاح غُراب، فقال الرجل: خير! فقال طاوس: وأي خير عند هذا؟! لا تصحبني. انتهى مُلخّصًا.

قوله: «**ولَا هَامَةَ**»: بتخفيف الميم على الصحيح. قال الفراء: الهامة: طير من طير الليل، كأنّه يعني البُومَة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نَعَتْ إليَّ نفسي أو أحدًا من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

وقوله: «**ولَا صَفَرَ**»: بفتح الفاء، روى أبو عبيدة في «غريب الحديث» عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن؛ تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب.

وعلى هذا فالمراد بنفيه: ما كانوا يعتقدونه من العدوى. وممن قال بهذا سُفيان بن عيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابن جرير.

وقال [آخرون][1]: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يُحلّون المحرم ويُحَرّمون صفر مكانه. وهذا قول مالك.

---

(١) زيادة من «فتح المجيد» (**٢/ ٥١٥**) لا بد منها.

ولهما[١] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ»**. قالوا: وما الفأل؟ قال: **«الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»**.

وروى أبو داود[٢] عن محمد بن راشد، عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل ذلك النبي ﷺ.

قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر كتشاؤم أهل الجاهلية بشوال بالنكاح فيه خاصة.

قوله: **«ولا نَوْء»**: سيأتي الكلام عليه إن شاء الله في بابه.

قوله: **«ولَا غُولَ»**: هو بالضم: اسم، وجمعه: أغوال وغيلان، وهو المراد هنا.

والمَعنيُّ بقوله: **«لا غُول»**: أنها لا تستطيع أن تُضِلَّ أحدًا مع ذكر الله والتوكل عليه، ومنه الحديث: **«إذا تَغَوَّلَتِ الغِيلانُ فَبادِروا بِالأذانِ»**[٣]، أي: ادفعوا شَرَّها بذكر الله تعالى.

قوله: (ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا عَدْوَى وَلا طِيرَةَ، ويعجبني الفَأْلُ»**. قالوا: وما الفَأْلُ؟ قال: **«الكَلِمَةُ الطيِّبَةُ»**).

قال أبو السعادات: الفأل ـ مهموز ـ: فيما يَسُرّ ويَسُوء، والطيرة لا

---

(١) البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) برقم (٣٩١٥).

(٣) طرف من حديثٍ أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٣٠٥)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٢١٦)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢٥٤٨)؛ عن الحسن البصري، عن جابر بن عبدالله مرفوعًا، مع اختلاف في الألفاظ.

وقال ابن خزيمة بعد روايته: «سمعت محمد بن يحيى يقول: كان علي بن عبدالله المديني يُنكر أن يكون الحسن سمع من جابر». فالحديث ضعيف للانقطاع.

وله شواهد لا تقوم بها الحجة تراها في «السلسلة الضعيفة» (١١٤٠) للألباني رحمه الله تعالى.

ولأبي داود[١] بسند صحيح عن عُقبة بن عامر قال: ذُكِرَت الطِّيرة عند رسول الله ﷺ، فقال: «**أَحْسَنُها الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**».

تستعمل إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يَسرّ.

قوله: (قالوا: وما الفَأْلُ؟ قال: «**الكَلمَةُ الطّيبَةُ**»): بَيَّنَ ﷺ أن الفأل يُعجبه، فدلّ على أنه ليس من الطِّيَرة المنهي عنها.

قال ابن القيم: ليس الإعجاب بالفأل ومحبته بشيء من الشِّرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية، التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها. والله تعالى جعل في غرائز الناس من الإعجاب بسماع الاسم الحسن، ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح، والسلام، والنجاح، والتهنئة، والبشرى، والفوز، والظفر، ونحو ذلك. فإذا سَمِعَت الأسماع أضدادَها أوجب لها ضدّ هذه الحال، فأحزنتها وأثار ذلك لها خوفًا وتطيرًا، وانكماشًا وانقباضًا عما قصدته وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا، ونقصًا في الإيمان، ومُقارفةً للشرك.

قوله: (ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذُكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ، فقال: «**أحسنها الفأل، ولا تردّ مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»).

قوله: (عن عقبة بن عامر): هكذا وقع في نسخ «التوحيد»، وصوابه: عن عروة بن عامر؛ كذا أخرجه أحمد، وأبو داود، وغيرهما.

وهو مكي اختلف في نَسَبِه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني. واختلف في صحبته، فقال الماوردي: له صحبة. وذكره

---

(١) في «السنن» (**٣٩١٩**). وضعّفه العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف سنن أبي داود».

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»، وَمَا مِنَّا إلاَّ، وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ. رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود(١).

ابن حبان في ثقات التابعين. وقال المزي: لا صحبة له تصح.

قال ابن القيم: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة؛ لِمَا بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرة الآخر.

قوله: «**وَلَا تَرُدُّ مسلمًا**»: قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.

قوله: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتي بِالحَسَنَاتِ إلّا أَنْتَ، ولا يَدْفعُ السَّيِّئاتِ إلّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِكَ**» أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات، وتدفع السيئات. والحسنات هنا: النعم، والسيئات: المصائب. ففيه نفي تعلّق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مُناسب لمن وَقَع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريحٌ بأنها لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضرًّا، ويعدّ من اعتقدها سفيهًا مُشرِكًا.

قوله: «**ولا حَوْلَ وَلا قوَّةَ إلّا بِكَ**»: والحول: التَّحَوُّل والانتقال من حال إلى حال، والقوة على ذلك بالله وحده. ففيه التبرّي من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلٰهية، الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

قوله: (وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**الطِّيرَةُ شِرْك، الطِّيرَةُ شِرْكٌ**»، وَمَا مِنَّا إلاّ، وَلكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ. رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل

---

(١) أبو داود في «السنن» (٣٩١٠)، والترمذي في «الجامع» (١٦١٤). ونقل الترمذي عن سليمان بن حرب قال: «هذا عندي من قول ابن مسعود». يعني قوله: وما منا إلاّ . . . إلخ. =

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ».

آخره من قول ابن مسعود): ولفظ أبي داود: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» ثلاثًا.

وهذا صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب بغير الله.

قال ابن مفلح: الأَوْلَى القطعُ بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشِّرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟!

قوله: (وَما مِنَّا إلَّا): قال أبو القاسم الأصبهاني، والمنذري: في الحديث إضمار، والتقدير: وما منا إلاَّ وقد وقع قلبُه في شيء من ذلك. انتهى.

قوله: (وَلكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ): لكن إذا توكلنا على الله - في جلب النفع ودفع الضر - أذهبه الله تعالى عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: (وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قولِ ابن مسعودٍ): قال ابن القيم: وهو الصواب؛ فإن الطيرة نوع من الشرك.

قوله: (ولأحمد من حديث ابن عمرو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقد أَشْرَكَ». قالوا: فَما كَفّارَةُ ذلِكَ؟ قالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لا خَيرَ إلّا خيرُكَ، وَلا طَيرَ إلّا طَيرُكَ، وَلا إِلٰه غَيرُكَ»): هذا الحديث رواه أحمد والطبراني[1] عن

= والحديث صححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود».

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٢٠)، والطبراني - كما في «مجمع الزوائد» (٥/١٠٥) -. وقال الهيثمي: «وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات».

قال العلاّمة الألباني في «الصحيحة» (١٠٦٥): «قلت: الضعف الذي في حديث ابن لهيعة إنما هو في غير رواية العبادلة عنه، وإلا فحديثهم عنه صحيح - كما حققه أهل العلم في ترجمته -، ومنهم عبدالله بن وهب، وقد رواه عنه كما رأيت». =

وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنه: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**».

عبدالله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات.

قوله: (مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو): هو عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل، السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبدالرحمٰن. أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء. مات في ذي الحجة ليالي الحَرَّة على الصحيح بالطائف.

قوله: «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»: وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالمرئي والمسموع، فإذا ردته عن سفر أو عمل أو حاجة فقد أشرك؛ لِمَا يُخامِرُ قلبَه من الخوف من ذلك، فيكون شِركًا بهذا الاعتبار.

قوله: (قَالُوا: فَما كَفَّارَةُ ذلِكَ؟ قالَ: «**أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لا خَيرَ إلَّا خَيرُكَ**».. إلخ): فيه تفويض الأمور إلى الله؛ تقديرًا وتدبيرًا وخلقًا، والبراءة مما فيه تعلُّقٌ بغير الله تعالى كائنًا من كان.

قوله: «**ولَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» أي: لا معبود مُستحِقّ سِواك. فإذا قال ذلك، وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت إليه، واستمر على فعل ما عزم عليه توكلًا على الله وتفويضًا إليه؛ كَفَّر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك.

قوله: (وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنه: «**إِنَّما الطِّيرَة مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**»): هذا الحديث عند الإمام أحمد[1] من حديث الفضل بن العباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ... فساقه إلى أن قال: «**إنما الطيرة ما أمضاك أوْ رَدَّكَ**».

= قال: «فينبغي أن يُنبّه على ذلك في التعليق على «فتح المجيد» حيث عزا الحديث لأحمد، ثم أعلّه بابن لهيعة، فأوهم ضعف الحديث». اهـ.

(١) في «المسند» (٢١٣/١) من طريق مسلمة الجُهني، عن الفضل به.
قال الشارح رحمه الله في «فتح المجيد» (٥٢٦/٢): وفيه إسناده انقطاع بين مسلمة ـ راويه ـ وبين الفضل.

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾.

الثانية: نفي العدوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصَّفَر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يَضُرّ، بل يُذْهِبُه اللَّهُ بالتوكّل.

التاسعة: ذكر ما يقولُ مَن وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

والفضل: هو ابن العباس بن عبدالمطلب، ابن عم النبي ﷺ. قال ابن معين: قتل يوم اليرموك. وقال غيره: قُتل يوم مَرْجِ الصُّفْر سنة ثلاث عشرة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. وقال أبو داود: قتل بدمشق، وكان عليه درع النبي ﷺ.

قوله: «**إِنَّمَا الطِّيرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**»: هذا حَدُّ الطيرة المنهي عنها: أنها ما يَحمِل الإنسان على المُضِيّ فيما أراد، أو يمنعه من المضي فيه كذلك. وأما الفأل الذي كان يحبه ﷺ ففيه نوع بشارة؛ فيُسَرُّ به العبد ولا يعتمد عليه، بخلاف الطيرة. فافهم الفرق.

❊ ❊ ❊

٢٨ ـ باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهْتَدَىٰ بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. انتهى.

قوله:

باب ما جاء في التنجيم

قال شيخ الإسلام: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه: هو ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان؛ كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تُدرَك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها؛ يدَّعون أن لها تأثيرًا في السُّفْلِيات. وهذا منهم تَحَكُّم على الغيب، وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به، فلا يعلم الغيب سواه.

قوله: (قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خَلَقَ الله هٰذِهِ النُّجومَ لِثَلاثٍ: زينَةً للسَّماءِ، وَرُجومًا للشياطينِ، وَعَلاماتٍ يُهْتَدى بها. فَمنْ تَأَوَّلَ فيها غَيرَ ذلك أَخطَأَ وَأَضاعَ نصيبَهُ، وَتكلَّفَ ما لَا عِلْمَ لهُ بِهِ. انتهى).

هذا الأثر علقه البخاري في «صحيحه»، وأخرجه عبدالرزاق، وعبد بن

. . . .

حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وغيرهم. وأخرجه الخطيب في «كتاب النجوم» عن قتادة بلفظ أطول من هذا[١].

وقول قتادة رحمه الله تعالى يدل على أنّ علم التنجيم هذا قد حدث في عصره، فأوجب له إنكارَه على من اعتقده وتعلّق به. وهذا العلم مما يُنافي التوحيد ويوقع في الشرك؛ لأنه يَنسِب الحوادثَ إلى غير من أحدَثها، وهو الله سبحانه بمشيئته وإرادته؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

قوله: (خَلَق الله هٰذِهِ النُّجومَ لِثَلاثٍ): قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا؛ كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما السماء الدُّنْيا: فإنَّ الله خَلَقَها مِنْ دُخانٍ، وَجَعَلَ فيها سِراجًا وَقمرًا منيرًا، وَزَيَّنَها بِمصابيحَ، وَجَعَلَها رُجومًا للشَّياطين، وَحِفْظًا مِنْ كلِّ شَيْطانٍ رَجيمٍ**»[٢].

قوله: (وَعَلامَاتٍ) أي: دلالات على الجهات. (يُهْتَدَى بِها) أي: يهتدي بها الناس في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] أي: ليعرفوا بها جهة قصدهم.

فإن قيل: المنجم قد يصدق!

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦/٢٩٥ ـ الفتح) معلّقًا.
وعزاه السيوطي في «الدرّ المنثور» (٣/٦٢) لمن ذكرهم الشارح، وكذا لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/١٧٧)، ونسبه لابن مردويه، وعنده: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال جرير بن عبدالله: حدِّثني يا رسول الله عن السماء الدنيا والأرض السفلى. قال رسول الله ﷺ: فذكره بنحوه.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يُرَخِّص فيه ابن عيينة. ذكره حرب عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

قيل: صدقه كصدق الكاهن؛ يصدق في كلمة ويكذب في مائة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قَدَرًا فيكون فتنة في حق من صَدَّقه.

قوله: (وكره قتادةُ تعلُّمَ منازِل القمرِ، ولم يرخّص فيه ابنُ عيينة. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق).

قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر؛ الذي يعرف به الزوال، وتعلم به جهة القبلة: فإنه غير داخل فيما نهي عنه، وذلك أن معرفة هذا العلم تصحّ بالمشاهدة.

وأما ما يُستَدلُّ به من النجوم على جهة القبلة: فإنها من الكواكب؛ رصدها أهل الخبرة بها، من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين، ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا به؛ مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة، ويشاهدها على حال الغيبة عنها، فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم؛ إذ كانوا عندنا غير مُتَّهَمِين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم. انتهى.

وروى ابن المنذر عن مجاهد: أنه كان لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به.

قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه علم التسيير، لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيره، أما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة والطرق، وهو جائز عند الجمهور.

قوله: (ذكره حربٌ عنهما): هو الإمام الحافظ حَربُ بن إسماعيل، أبو محمد الكرماني، الفقيه. من أجلّة أصحاب الإمام أحمد، روى عن: أحمد، وإسحاق، وابن المديني، وابن معين، وغيرهم وله كتاب «المسائل» التي سأل عنها الإمام أحمد وغيره. مات سنة ثمانين ومائتين.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**». رواه أحمد، وابن حبان في «صحيحه»[(١)].

وأما إسحاق: فهو ابن إبراهيم بن مخلد بن يعقوب، الحنظلي النيسابوري، الإمام، المعروف بابن راهويه. روى عن: ابن المبارك، وأبي أسامة، وابن عيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا من أئمة المسلمين. وروى عنه: أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وغيرهم. وروى هو أيضًا عن أحمد. مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

قوله: (وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ: مُدمن الخمر، وقاطع الرَّحم، ومصدق بالسحر**». رواه أحمد، وابن حبان في «صحيحه»): هذا الحديث رواه أيضًا الطبراني، والحاكم، وقال: صحيح، وأقرّه الذهبي.

قوله: (عن أبي موسى): هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حَضّار - بفتح المهملة، وتشديد الضاد -، أبو موسى الأشعري، صحابي جليل، مات سنة خمسين.

قوله: «**ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ**»: الشاهد للترجمة: «**وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**»، وفي الحديث كما تقدم في نظائره؛ كقوله: «**مَنْ أَتى كاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِما يَقولُ فقَد كَفَرَ بِما أُنْزِلَ عَلَى مُحمَّدٍ ﷺ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٩٩/٤)، وابن حبّان في «الصحيح» (١٣٨٠، ١٣٨١ - موارد الظمآن).
وأخرجه أيضًا الطبراني - كما في «مجمع الزوائد» (٧٤/٥) -، والحاكم (١٤٦/٤).
وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند الإمام أحمد (١٤/٣) بلفظ: «**لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا كاهن، ولا منّان**».
وحسّنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٦٧٨) بمجموع الطريقين.

(٢) سبق تخريجه تحت (باب ما جاء في الكُهّان ونحوهم).

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تَعلُّم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

واختار الإمام أحمد رحمه الله تعالى أن مثل هذه الأحاديث تُمَرُّ كما جاءت من غير تأويل.

قال الذهبي في «الكبائر»[١]: ويدخل فيه تعلم السيمياء وعلمها، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته، وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. انتهى باختصار.

❊ ❊ ❊

---

(١) ص (٢٧).

٢٩ ـ باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

قوله:

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

أي: من الوعيد، والمراد نسبةُ السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء، جمع «نوء»، وهي منازل القمر.

قال أبو السعادات: وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]؛ يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة له مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، وكانت العرب تزعُم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إلى النجم الساقط، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا! وإنما سُمي نوءًا لأنه إذا سقط منها الساقط ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾): روى الإمام أحمد، والترمذي ـ وحسنه ـ، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والضياء في «المختارة» عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ «**يقول: شُكرَكم** ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾؛ **تقولون: مُطِرنا بنوء كذا وكذا،**

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«أَرْبَعٌ**

بنجم كذا وكذا»[١].

رُوِيَ ذلك عن علي، وابن عباس، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله تعالى بالآية.

وقال ابن القيم: أي: تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به، يعني القرآن.

قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون. قال: وخسر عبدٌ لا يكون حَظُّه من القرآن إلا التكذيب[٢].

قوله: (عن أبي مالك الأشعري؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»**. وقال: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»**. رواه مسلم).

أبو مالك: اسمه الحارث بن الحارث، الشامي. صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام. وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/٨٩)، وابنه عبدالله في «زوائد المسند» (١/١٣١)، والترمذي (٣٢٩٥)، وابن جرير في «تفسيره» (٢٥٩٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٤/٣٠٠) ـ، والضياء في «المختارة» (٥٧١).

وقال الترمذي عقبه: حسن غريب؛ لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث إسرائيل. وروى سفيان الثوري عن عبدالأعلى، عن أبي عبدالرحمن السُلَمي، عن علي نحوه بهذا الإسناد، ولم يرفعه.

وقال الدارقطني في «العلل» (٤/١٦٤): «ويُشبه أن يكون الاختلاف من جهة عبدالأعلى».

(٢) أخرج قوله الثاني ابن جرير في «تفسيره» (٢٥٩٨٤).

فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، والنِّيَاحَةُ». وَقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِنْ لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**». رواه مسلم(١).

قوله: «**أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيةِ لا يَترُكونَهُنَّ**» أي: ستفعلها هذه الأمة؛ إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك، مع كونها من أعمال الجاهلية، يدل على أنه يجب على كل مسلم أن يجتنبها. والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث، وفاعلها آثم يجب أن يُنهى عنها، ومتى وُجِدَ الشركُ وُجدت هذه الأمور المنكرة، وغيرها من المنكرات.

قال شيخ الإسلام: أخبر أن بعض أمر [أهل] (٢) الجاهلية لا يتركه الناس كلهم؛ ذمًّا لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أن كلَّ ما كان مِن أمر الجاهلية وفعلِهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذمٌّ لها. ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خَرَج مَخْرَج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن في ذلك ذمًّا للتبرج، وذمًّا لحال أهل الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.

قوله: «**الفخْرُ بالأَحْسَابِ**» أي: التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهل عظيم، إذ لا كرم إلا بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إنَّ الله قدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلية وَفَخْرَها بالآباءِ، إنَّما هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فاجِرٌ شَقِيٌّ. النَّاسُ بَنو آدَمَ، وآدمُ خُلِقَ مِنْ تُرابٍ. لَيَدَعَنَّ رِجالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوامٍ إنَّما هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيكونَنَّ أَهْوَنَ على اللَّهِ مِنَ الجِعْلانِ...**»(٣) الحديث.

---

(١) في «الصحيح» (٩٣٤).

(٢) زيادة من المخطوط.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥، ٣٩٥٦) ـ وحسّنه ـ، والإمام أحمد =

....

قوله: «**وَالطَّعْنُ في الأنساب**» أي: الوقوع فيها بالعيب والنقص، ولمّا عَيَّر أبو ذر رجلاً بأمه قال النبي ﷺ: «**أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**». متفق عليه(١). فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل أهل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية، ويهودية، ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه، قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى(٢).

قوله: «**وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**»: تقدم معناه.

فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا، وبنوء كذا، فلا يخلو: إما أن يعتَقد أن له تأثيرًا في نزول المطر، فهذا شرك وكفر؛ لنسبة المطر لغير مَن أنزله، وهو الله وحده. وأمَّا مع إطلاق هذا اللفظ، فقد صرح ابن مفلح في «الفروع» بتحريمه، وكذلك صاحب «الإنصاف»، ولم يذكر خلافًا.

قوله: «**وَالنِّيَاحَةُ**» أي: رفع الصوت بالنَّدب على الميت، وضرب الخدود، وشق الجيوب، ونحو ذلك. وهي من الكبائر؛ لشدة الوعيد والعقوبة، كما في هذا الحديث.

قوله: «**النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها**»: فيه: تنبيه على أن التوبة تُكَفِّر الذنب.

قوله: «**تُقامُ يَوْمَ القِيامَةِ وَعَلَيْها سِرْبالٌ مِنْ قَطِرانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»: السربال: واحد السرابيل، وهي الثياب والقُمُص. هذه سرابيل أهل النار،

= (٣٦١/٢، ٥٢٣ ـ ٥٢٤) من طرق عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ـ زاد أبو داود والترمذي في رقمه الثاني: عن أبيه ـ، عن أبي هريرة مرفوعًا.

وقال الألباني في «غاية المرام» (٣١٢): «وهو عندي حسن الإسناد على شرط مسلم، ولم أصححه لأن هشامًا فيه كلام من قِبَل حفظه، وقد قال الحافظ في «التقريب»: صدوق له أوهام». اهـ.

(١) البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفةَ أصحاب الجحيم» (٢٥٢/١).

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلَّى لَنَا رسولُ الله ﷺ صلاة الصبح بالحُدَيْبِيَةِ على إِثْرِ سَمَاءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم.

يعني: يُلطَّخن بالقطران، حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن.

وروي عن ابن عباس: أن القطران هو النحاس المذاب.

قوله: (وعن زيد بن خالد قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»).

زيد بن خالد: الجُهني، صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وقيل غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة.

قوله: (صَلى لنَا) أي: بنا. قال الحافظ: وفيه إطلاق ذلك مَجازًا.

قوله: (بِالحُدَيْبِية): بتخفيف يائها، وقد تُثقَّل.

قوله: (عَلى إِثْرِ): بكسر الهمزة، وسكون الثاء المثلثة على المشهور؛ وهو ما يَعْقُب الشيء.

قوله: (سَمَاءٍ) أي: مطر.

قوله: (فَلَمَّا انْصرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ) أي: إلى المأمومين.

قوله: «**هَلْ تَدْرونَ**»: لفظ استفهام، ومعناه التنبيه، وفي النسائي[1]: «**أَلَمْ تَسْمَعوا ما قالَ رَبُّكُمُ اللّيلَة؟**».

وفيه: إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبرهم.

---

(١) (١٦٥/٣).

قال: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذٰلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بي مُؤْمِنٌ بالكوكب**»[1].

ولهما من حديث ابن عباس معناه[2]، وفيه: قال بعضهم: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا. فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

قوله: (قالوا: الله وَرَسولُهُ أَعْلَمُ): فيه: حسن الأدب للمسؤول إذا سُئل عما لا يعلم أن يَكِل العِلْم إلى عَالِمِه، وذلك يجب.

قوله: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبادي مُؤْمِنٌ بِي**»: لأنه نَسَبَ الفعلَ إلى فاعله الذي لا يَقْدر عليه غيرُه.

قوله: «**وَكافِرٌ**»: إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كُفر؛ لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر.

قوله: «**فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنا بِفضلِ اللَّهِ ورحمتِهِ**»: فالفضل والرحمة صفتان لله تعالى.

قوله: (ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: قالَ بَعضُهم: لقد صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذا، فَأَنزَلَ الله تعالى هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾): تقدم معناه قريبًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٢) هو عند مسلم فقط برقم (٧٣).

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرِج عن الملَّة.

الخامسة: قوله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**» بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: «**لقد صدق نوء كذا وكذا**».

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها؛ لقوله: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**».

العاشرة: وعيد النائحة.



٣٠ ـ باب قول الله تعالى:
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ...﴾ الآية

قال في «شرح المنازل»: أخبر تعالى أن من أحب شيئًا من دون الله كما يحب الله؛ فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا. فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لا يُثبت هذا الند، بخلاف ند المحبة؛ فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في المحبة والتعظيم. انتهى.

قلت: وقد وقع الشرك في الربوبية أيضًا، في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة، فاعتقدوا أن لهؤلاء الأموات تصرُّفًا في الكون ونحو ذلك.

قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلى قوله:

عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». أخرجاه[1].

ولهما[2] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه وَجَدَ بِهِنَّ**

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾.

قال ابن كثير: إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا، أي: انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه.

قوله: (عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**». أخرجاه) أي: البخاري ومسلم.

قوله: «**لَا يُؤْمِنُ**» أي: الإيمان الواجب، والمراد كماله، حتى يكون الرسولُ ﷺ أحبَّ إلى العبد من ولده، ووالده، والناس أجمعين. وذلك يقتضي تعظيمَ أمره ونهيه، واتباعه في ذلك دون من سواه، ومن كان كذلك فقد أحب الله؛ كما في آية المحبة.

قوله: (ولهما عنه ـ أي: البخاري ومسلم عن أنس ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»).

قوله: «**ثَلَاثٌ**» أي: خصال.

قال شيخ الإسلام: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجَد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئًا واشتهاه ـ إذا حصل له مراده ـ فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك.

---

(١) البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) أي: البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

حَلَاوَةَ الإِيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُه أَحَبَّ إِلَيْه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْر بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». وفي رواية: «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ...**» إلى آخره.

وعن ابن عباس قال: مَنْ أَحَبَّ في الله، وَأَبْغَضَ فِي الله، وَوَالَىٰ

واللذة أمر يحصل عقيب إدراك المُلائم، الذي هو المحبوب أو المُشتَهى.

قال: فحلاوة الإيمان ـ المتضمنة للَّذة والفرح ـ تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريغها، ودفع ضدها. فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

قلت: ومن لازم محبة الله محبة أنبيائه ورسله، وملائكته، وكتبه، والصالحين من عباده، وكراهة ما يكرهه سبحانه، ومعاداة أعدائه وموالاة أوليائه، فلا يحصل كمال محبة الله الواجبة إلا بكمال ذلك، وإيثاره على ما تهواه النفوس، مما يخالف ذلك.

قوله: «**أَحَبَّ إليْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»: ثنَّى الضمير هنا لتلازم المحبتين، والله أعلم.

قوله: «**كَما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ**» أي: يستوي عنده الأمران.

قوله: (وفي رواية: «**لَا يَجِدُ**»): هي عند البخاري في الأدب المفرد[(١)]، ولفظه: «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حلاوةَ الإيمان حتَّى يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله، وحتَّى أن يُقْذَفَ في النار أحبُّ إليه مِن أن يَرجِعَ إلى الكُفْر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتَّى يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما**».

---

(١) كذا وقع في النسخ المطبوعة والمخطوط، وإنّما أخرج البخاري هذه الرواية في كتاب الأدب من «الصحيح» برقم (٦٠٤١). وقد ورد العزو على الصواب في «فتح المجيد» (٢/٥٦٧).

فِي اللهِ، وَعَادَىٰ فِي اللهِ؛ فَإِنَّما تُنَالُ وَلاَيَةُ اللهِ بِذَلِكَ. وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ ـ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلاَتُهُ وَصَوْمُهُ ـ حَتَّىٰ يَكُونَ كَذٰلِكَ. وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لاَ يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا. رواه ابْن جرير[1].

قوله: (وعن ابن عباس قال: من أحبّ في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان ـ وإن كثرت صلاته وصومه ـ حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا. رواه ابن جرير).

قوله: (مَنْ أَحبَّ في اللَّهِ) أي: أحبَّ أهل الإيمانِ بالله وطاعته، من أجل ذلك.

قوله: (وَأَبْغَضَ في الله) أي: أبغض من كفر بالله، وأشرك به وعصاه؛ لارتكابه ما يُسخِط اللَّهَ، وإن كان أقربَ الناس إليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: **٢٢**].

قوله: (وَوَالى في اللَّهِ): بالمحبة والنصرة، بحسب القدرة.

قوله: (وَعَادَى في اللَّهِ) [أي: عادى][2] من كان عدوًّا لله؛ ممن أشرك وكفر، وظاهَرَ بالمعاصي، فتجِبُ عداوتُه بما يَقْدِرُ عليه.

قوله: (فَإنما تُنالُ وَلايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ) أي: تَوَلِّيه لعبده. «ووَلاية» بفتح الواو. وفي الحديث: «**أَوْثَقُ عُرَى الإيمان: الحُبُّ في اللَّهِ وَالبَغْضُ في اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**». رواه الطبراني[3].

---

(١) وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (**٣٣٧**)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (**٢٢**). وفي سنده ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٢) زيادة من المخطوط.

(٣) في «الكبير» (**١١٥٣٧**) من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «**أي** =

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

قوله: «وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإيمَانِ. . .» إلى آخره: أي: لا يحصل له ذوق الإيمان، وبهجته ولذته، وسروره والفرح به، وإن كثرت صلاتُه وصومُه، حتى يكون كذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

قوله: (وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخاةِ النَّاسِ عَلى أَمْرِ الدُّنيا، وَذلكَ لا يُجدي عَلى أَهْلِهِ شَيْئًا): يعني: أنه إذا ضَعُف داعي الإيمان أحب دنياه، وأحب لها، وواخىٰ لأجلها، وهذا هو الغالب على أكثر الخلق: محبةُ دنياهم، وإيثار ما يَهْوُونه على ما يحبه الله ورسوله، وذلك لا يُجدي على أهله شيئًا، بل يَضُرُّ في العاجل والآجل، فالله المستعان.

قوله: (وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: المودة) أي: التي كانت بينهم؛ خانَتْهم أحْوجَ ما كانوا إليها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ. . .﴾ الآية [العنكبوت: ٢٥].

= عُرىٰ الإيمان ـ أظنه قال: ـ **أوثق؟**». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحبّ في الله، والبُغض في الله**».

وإسناده واهٍ؛ كما قال الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٨).

لكن ذكر له ـ رحمه الله ـ شاهدين يرتقي بهما إلى درجة الحسن على الأقل. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠٠٤)، وابن أبي حاتم (١٤٩٢)، وعبد بن حميد، وابن المنذر ـ كما في «الدرّ المنثور» (٣٠٤/١) ـ، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٢/٢)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه».

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب تقديم محبته ﷺ على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أنَّ للإيمان حلاوةً قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تُنال وَلاية الله إلا بها، ولا يجد أحدٌ طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يُحبّ الله حبًّا شديدًا.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحبَّ إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًّا تساوي محبتُه محبةَ الله؛ فهو الشرك الأكبر.

❋ ❋ ❋

٣١ ـ باب قول الله تعالى:
﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآية [التوبة: ١٨].

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن كيد عدوّ الله أنه يخوف المؤمنين جُندَه وأولياءَه؛ لِئلَّا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافهم.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفهم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. فكلما قوِيَ إيمانُ العبد زال من قلبه خوفُ أولياء الشيطان، وكلما ضَعُفَ إيمانُه قَوِي خوفُه منهم، فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من كمال شروط الإيمان.

وسبب نزول هذه الآية مذكور في التفاسير والسير.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [العنكبوت: ١٠].

ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ...﴾ الآية): أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون من سواه، فلا تكون المساجد عامرةً إلا بالإيمان الذي مُعظَمه التوحيد، مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مُسمّى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة.

قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كلِّه قضاءَ الله وتصريفَه.

قلت: لأن النفع والضر إنما يكون بمشيئة الله وإرادته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: والخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله؛ كالذل، والمحبة، والتوكل، والرجاء، وغيرها من عبودية القلب.

قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: يقول: إن أولئك هم المهتدون، وكل «عسى» في القرآن فهي واجبة.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ...﴾ الآية: قال ابن القيم: الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنا، وإما أن لا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر. فمن قال: آمنا، امتحنه ربه وابتلاه، والفتنة: الابتلاء والاختبار. ومن لم يقل: آمنا، فلا يحسب أنه يُعجِزُ اللَّهَ ويَفُوتُه ويَسبِقُه، فلا بدّ من حصول الألم لكل نفس آمنت، أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء، ثم يصير له الألم الدائم.

والإنسان لا بد أن يعيش مع الناس، والناس لهم تصورات وإرادات،

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: **«إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ**

فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم، وتارة من غيرهم.

إلى أن قال: فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية: من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغْنُوا عنه من الله شيئًا[1].

فمن هداه الله وألهمه رشده، ووقاه شر نفسه؛ امتنع من الموافقة على فعل المحرم، وصبَر على عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم.

ثم أخبر تعالى عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة، وأنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له ـ وهي أذاهم، ونيلهم إياه بالمكروه، وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم ـ؛ جعل ذلك في فراره منه، وتركه السب الذي يناله به: كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان.

فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فرّوا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحمّلوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب. وهذا من ضَعْف بصيرته فرّ من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله، فجعل ألم فتنة عذاب الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله، وغُبِنَ كلَّ الغَبْن إذ اسْتَجار من الرَّمْضَاء بالنار، وفرَّ من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جُنده وأولياءه قال: إني كنت معكم، والله عليم بما انطوى عليه صدرُه من النفاق. انتهى.

قوله: (عن أبي سعيد مرفوعًا: **«إن مِن ضعْفِ اليَقينِ أن ترْضي النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحمَدَهُمْ عَلى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلى مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله. إنَّ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٢١٣ ـ ٢١٤)، والإمام أحمد في «الزهد» ص(١٦٤) عن عائشة رضي الله عنها موقوفًا، وإسناده صحيح.
وقد صحّ عنها مرفوعًا كذلك. انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٣١١).

النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأَنْ تَحْمَدهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ الله، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ

رزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّه كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»).

هذا الحديث رواه أبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي[1]، وأعلَّه بمحمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف.

وتمام هذا الحديث: «**وَأَنَّهُ بِحكْمتِهِ جَعَلَ الرَّوحَ وَالفَرَحَ في الرِّضا وَاليقينِ، وَجَعَلَ الهمَّ وَالحُزْنَ في الشَّكِّ وَالسَّخَطِ**».

قوله: «**إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقينِ**»: الضعف: بفتح وسكون، وتضم ضاده مع سكون العين، وتُحرّك عينه مع فتح الضاد: ضد القوة.

قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان.

قوله: «**أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ**» أي: أن تؤثر رضاهم على ما يرضي الله، وذلك إذا لم يَقُم بقلبه من إعظام الله، وإجلاله، وهيبته ما يمنعه من إيثار رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربِّه ومليكه، الذي يتصرف في القلوب. وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رِضَى المخلوق على رِضَى الله، وتقرب إليه بما يُسخِط الله، ولا يَسلَمُ من هذا إلَّا من سَلَّمه الله تعالى.

قوله: «**وَأَن تَحمَدَهُمْ عَلى رِزْقِ اللَّهِ**» أي: على ما وصل إليك من أيديهم، بأن تُضيفه إليهم وتحمدهم عليه، والله تعالى هو الذي كتبه لك، ويسّره لك، فإذا أراد أمرًا قيَّض له أسبابًا.

ولا ينافي هذا حديث: «**مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ الله**»[2]؛ لكون الله

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/١٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٧).
وإسناده ضعيف جدًّا؛ فيه من يُتهم بالكذب!
وهو مخرّج في «السلسلة الضعيفة» (١٤٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٨١١)، والترمذي في «الجامع» (١٩٥٤) ـ وصححه ـ، والإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٩٥) من حديث أبي هريرة.
ولفظ أبي داود وأحمد: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**». =

يُؤْتِكَ الله. إنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّه كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ».

ساقه على أيديهم، فتدعو لهم أو تكافئهم؛ لحديث: «**مَنْ صَنَعَ إليكم مَعْروفًا فكافِئوه، فَإِنْ لَمْ تجدوا مَا تُكافِئوه فادْعوا له، حَتى تروا أنَّكُم قَدْ كافأتموهُ**»[1].

قوله: «**وَأنْ تذمَّهم عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله**»: لأنه لم يقدّر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قدر لك لَسَاقه القدر إليك.

فمن علم أن الله وحده هو المتفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته، وأنه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب: لم يسأل حاجته إلا من الله وحده. ولعل ما مُنع من ذلك يكون خيرًا له، ويُحسِن الظن بالله سبحانه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يخاف إلا من ذنبه. وقد قرر هذا المعنى في الحديث بقوله: «**إنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجرُّهُ حِرْصُ حريصٍ، وَلا يَرُدُّه كَراهِيَةُ كارِه**».

قال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن القيام بأمر الله تعالى، وما وعد الله به أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره. فإذا أرضيتهم بسخط الله، ولم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك: إما ميل إلى ما في أيديهم، فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم. وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد، والثواب في الدنيا والآخرة.

فإنك إذا أرضيت الله نصرك، ورزقك، وكفاك مؤنتهم. وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفًا منهم ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين.

وأما إذا لم يُقدّر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك، فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر لك كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخَفْهم ولا ترجُهم، ولا تَذُمَّهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حَمِدَه اللَّهُ ورسولُه منهم فهو المحمود، ومن ذمَّه اللَّهُ ورسولُه منهم فهو المذموم.

= وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٦٠١).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٦٧٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٠٢١).

وعن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن التَمَسَ رضَىٰ الله بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِي الله عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَن الْتَمَسَ رِضَىٰ النَّاسِ بِسَخَطِ الله؛ سَخِطَ الله عليه وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**». رواه ابن حبان في «صحيحه»[(١)].

ودل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمى الإيمان.

قوله: (وعن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من التمس رضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**». رواه ابن حبان في «صحيحه»).

قوله: «**مَنِ التَمَسَ**» أي: طلب.

قال شيخ الإسلام: وكتبت عائشة إلى معاوية ـ ويروى أنها رفعته ـ: «**مَنْ أَرْضَى الله بِسَخَطِ النَّاسِ كَفاهُ الله مؤنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**». هذا لفظ المرفوع، ولفظ الموقوف: «مَنْ أَرْضى الله بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ الله عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ؛ عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاس له ذَامًّا».

وهذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبدَه الصالحَ، والله يتولى الصالحين، والله كافٍ عبده، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، والله يكفيه مؤنة النَّاس بلا ريب، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا؛ كالظالم الذي يَعَضُّ على يديه. وأما كون حامده ينقلب ذامًّا فهذا يقع كثيرًا، ويحصل في العاقبة، فإن العاقبة للتقوى، لا تحصل ابتداءً عند أهوائهم. انتهى.

---

(١) برقم (١٥٤٢ ـ موارد الظمآن). وسبق في الشرح قريبًا.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.



٣٢ ـ باب قول الله تعالى:
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

....

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

قال أبو السعادات: يقال: توكل بالأمر: إذا ضمن القيام به.

وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله؛ لأنه من أجمع أنواع العبادة الباطنة، فإن تقديم المعمول يفيد الحصر، فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله، كما في هذه الآية.

قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب.

قال ابن القيم في الآية المترجَم بها: فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه.

قال شيخ الإسلام: وما رجا أحد مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه شرك، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١].

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢].

والتوكل قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله؛ كالتوكل على الأموات، والغائبين، ونحوهم من الطواغيت، فهذا شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.

وأما التوكل على الأحياء الحاضرين، والسلطان، ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق، أو دفع أذى، ونحو ذلك: فهو نوع شرك أصغر.

والمباح: أن يوكل شخصًا بالنيابة عنه في التصرف فيما له التصرف فيه من أمور دنياه؛ كالبيع، والشراء، والإجارة، والطلاق، والعتاق، وغير ذلك، فهذا جائز بالإجماع، لكن لا يقول: توكلت عليه، بل يقول: وكلته، فإنه لو وكله فلا بد أن يتوكل في ذلك على الله سبحانه.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ . . . قُلُوبُهُمْ﴾ الآية): قال ابن عباس في الآية: المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم. فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم(١).

وقال السدي في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: هو الرجل يريد أن يظلم ـ أو قال: يهم بمعصية ـ، فيقال له: اتق الله! فيوجل قلبه. رواه ابن أبي شيبة، وابن جرير(٢).

قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.

قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون عليه، ويفوضون إليه أمورهم، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه. وهو من أعظم الأسباب في

---

(١) ابن جرير في «تفسيره» (١٢١٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٥٥).
(٢) ابن جرير (١٢١٨٣)، وابن أبي حاتم (٥/١٦٥٥) أيضًا.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾

حصول المطالب الدنيوية والأخروية. وفي الآية وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان تستلزم حصول أعمال الإيمان الواجبة والمستحبة.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾: قال ابن القيم: أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾): قال ابن القيم وغيره: أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلا أذى لا بد منه؛ كالحر والبرد، والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبدًا. قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاءً من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه، فلم يقل: فله كذا وكذا من الأجر؛ كما قال في الأعمال، بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه، وواقيه.

فلو توكل العبد على الله حق توكله، وكادته السمٰوات والأرض ومن فيهن؛ لجعل له مخرجًا، وكفاه ونصره. انتهى.

قوله: (وعن ابن عباس قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ الآية. رواه البخاري).

قوله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: تقدم معناه.

قوله: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي: نعم من توكل عليه المتوكلون، ومخصوص «نِعْمَ» محذوف، تقديره: نِعْم الوكيلُ اللّهُ.

قوله: (قالها إبْراهيم ﷺ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ): قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ

قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣]. رواه البخاري، والنسائي [١].

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ الآية [الأنبياء: ٦٨ ـ ٦٩].

قوله: (وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾): وذلك بعد مُنْصَرف قريش والأحزاب من أُحد، فمر بهم رَكْبٌ من عبدالقيس، فقال أبو سفيان: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: هل أنتم مُبَلِّغون عنِّي محمدًا رسالة؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه، وإلى أصحابه، لنستأصل بَقيَّتهم. فمرّ الركبُ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبره بالذي قال أبو سفيان، فقال: «**حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكيلُ**» [٢].

وفي الحديث: «**إذا وَقَعْتُمْ في الأمرِ العَظيم فقولوا: حَسْبُنا الله وَنِعْمَ الوَكيلُ**» [٣].

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٥٦٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٨١).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/٤٣٠ ـ ٤٣١).

(٣) أخرجه ابن مردويه من حديث أبي هريرة كما في «تفسير ابن كثير» (١/٤٣١)، وقال الحافظ ابن كثير عقبه: «هذا حديث غريب من هذا الوجه».
وضعّفه العلاّمة الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع الصغير» (٧٢٩).

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ في الشدائد.

* * *

٣٣ ـ باب قول الله تعالى:
﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]

....

قوله:

باب قول الله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

أراد المصنف رحمه الله تعالى: أن الأمن من مكر الله يدل على ضعف الإيمان، فلا يُبَالِي صاحبُه بما ترك من الواجبات، وفَعَلَ من المحرمات؛ لعدم خوفه من الله بما فعل أو ترك، وهذا من أعظم الذنوب، وأجمعها للعيوب.

ومعنى الآية: أن الله تبارك وتعالى لمّا ذكر حال أهل القرى المكذِّبين للرسل، بيّن أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله، وعدم الخوف منه، وذلك أنهم أَمِنُوا مكرَ الله لمّا استدرجهم بالسراء والنعم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا.

قال الحسن: من وسَّعَ عليه فلم يرَ أنه يمكرُ به فلا رأي له.

وقال قتادة: بَغتَتَ القومَ أمرُ الله، وما أُخِذَ قومٌ قطّ إلا عند سَلْوَتِهِم وغِرَّتِهم، فلا تغتروا بالله.

وقال إسماعيل بن رافع: مِنَ الأمن مِنْ مكر الله: إقامةُ العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: «**الشِّرْكُ بالله، وَاليَأس مِنْ رَوْحِ الله، والأمْنُ مِنْ مكْرِ الله**»[1].

قوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكِلاَ الأمرين ذنبٌ عظيم؛ لِمَا في القنوط من سوء الظن بالله.

قوله: ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ أي: عن الهُدَى.

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبائرِ، فقال: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله**»): هذا الحديث رواه البزار، وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر، قال ابن معين: ثقة، ولينه ابن أبي حاتم.

وقال ابن كثير: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا.

قوله: «**الشِّرْكُ بالله**»: وهو أكبر الكبائر، ولهذا بدأ به.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الشرك هضم للربوبية، وتنقص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين. انتهى.

قوله: «**وَاليَأسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ**» أي: قطعُ الرجاء والأمل من الله تعالى فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به، وبِسعة رحمته، وجوده، ومغفرته.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (**٩٣١/٣**)، والبزار والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (١٠٤/١) ـ، وفي روايتهما: «**القنوط من رحمة الله**» بدل «**الأمن من مكر الله**».

وأورده الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤٨٥/١) عند الآية **٣١** من سورة النساء، من رواية ابن أبي حاتم والبزار، ثم قال: «وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا، فقد رُوي عن ابن مسعود نحوُ ذلك».

وعن ابن مسعود قال: أَكْبَرُ الكَبَائِرِ:

الإشْرَاكُ باللهِ، والأمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ. رواه عبدالرزاق[1].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

قوله: «**والأمْنُ مِنْ مَكْرِ اللّهِ**» أي: من استدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك. وذلك جهل بالله وبقدرته، وثقة بالنفس وعجب بها. وهذه الثلاث من أكبر الكبائر، وهي كثيرة جدًا، نسأل الله اجتنابها.

وذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله، وبُعدِها عن الخير كله، وقد وقع فيها الكثير قديمًا وحديثًا، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

قوله: (وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبدالرزاق).

قوله: «**وَالقُنوطُ مِنْ رحْمَةِ الله**»: قال أبو السعادات: هو أشد اليأس.

وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء في حال الصحة فسد القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢]، وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[النور: ٣٧].

❋ ❋ ❋

---

(١) في «المصنف» (١٠/٤٥٩ ـ ٤٦٠).

وصححه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤٨٥).

٣٤ ـ باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قوله:

باب من الإيمان باللَّهِ الصَّبر على أقْدارِ اللَّهِ

قال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من كتابه. وفي الحديث الصحيح: **«الصَّبْرُ ضِياءٌ»**. رواه أحمد، ومسلم[١].

قال عمر رضي الله عنه: وَجَدْنا خَيرَ عَيْشِنا بِالصَّبرِ. رواه البخاري[٢].

قال علي رضي الله عنه: إنَّ الصَّبرَ مِنَ الإيْمانِ بِمَنزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ. ثم رفع صوته فقال: إنَّهُ لا إيْمانَ لِمَنْ لا صَبرَ لَهُ.

واعلم أن الصبر على ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به، وصبر عَمَّا نهى عنه، وصبر على ما قدره الله من المصائب. زاد شيخ الإسلام: والصبر عن الأهواء المخالفة للشرع.

---

(١) جزءٌ من حديث أخرجه أحمد في «المسند» (٥/٣٤٣ ـ ٣٤٤)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) في «الصحيح» (١١/٣٠٣ ـ الفتح) معلَّقًا.

وقد وصله أحمد في «كتاب الزهد» ص(١١٧) بسند صحيح، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح».

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسَلِّم.

وفي «صحيح مسلم»(١) عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»**.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾): وأول الآية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بمشيئته وإرادته؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

قوله: (قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبةُ، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلِّم): هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(٢)، وروي عن ابن مسعود.

وعلقمة: هو ابن قيس بن عبدالله، النخعي الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، وسمع من: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، [وسعد](٣)، وابن مسعود، وعائشة، وغيرهم. وهو من كبار التابعين، وعلمائهم، وثقاتهم. مات بعد الستين.

وفي هذا الأثر دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان.

وفي الآية بيان أن من ثواب الصبر هداية القلب.

قوله: (وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«اثْنَتَانِ في النَّاس هُما بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ على الميِّتِ»**) أي: هما بالناس كفر؛ حيث كانتا من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس، ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله. فأطلق الكفر على من قامت به خصلة من هاتين

---

(١) برقم (٦٧).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٦٤٩٦)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٣٧٦/٤).

(٣) زيادة من المخطوط.

ولهما[١] عن ابن مسعود مرفوعًا: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوب، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**».

وعن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ**

الخصلتين، لكن ليس من قام به شُعبة من شُعَب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا الإيمان المطلق، ففرق بين الكفر المعرَّف باللام - كما في قوله: «**لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ - أَوِ الشِّرْكِ - إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ**»[٢] - وبين كُفْرٍ مُنكَّرٍ في الإثبات.

قوله: «**الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**» أي: عيبه، ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان، مع ثبوت نسبه.

قوله: «**وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ**» أي: رفعُ الصوت بالندب، وتعداد فضائله؛ لما فيه من السخط على قدر الله، المنافي للصبر.

قوله: (ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»).

قوله: «**مَنْ ضَرَبَ الخُدودَ**»: قال الحافظ: خصَّ الخدّ لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله.

قوله: «**وَدعَا بِدَعْوى الجَاهِلِيَّةِ**»: قال شيخ الإسلام: هو ندب الميت. وقال ابن القيم: الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية، ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض، يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي عليه. فكل هذا من دعوى الجاهلية.

وقد يعفى عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقًا، كما يعفى عن البكاء إذا كان على غير وجه النوح والتسخط. نص عليه أحمد.

قوله: (وعن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير**

---

(١) أي: البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٨٢) من حديث جابر بن عبدالله.

فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ، حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه العقوبة بذنبه، حتى يُوَافِيَ به يوم القيامة»).

هذا الحديث رواه الترمذي، والحاكم، وحسَّنه الترمذي(١).

قوله: «إذا أرادَ الله بِعَبْدِهِ الخيرَ عَجَّلَ لهُ العُقوبَةَ في الدُّنْيا»: قال شيخ الإسلام: المصائب نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر، فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله تعالى، والذل له، والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح. فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، وهذا من أعظم النعم.

فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق، إلا أن يدخل صاحبها بسببها إلى معاصٍ أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون شرًّا عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإن من الناس مَن إذا ابتُلي بفقر، أو مرض، أو جوع: حصل له من الجزع، والنفاق، ومرض القلب، والكفر الظاهر، وترك بعض الواجبات، وفعل بعض المحرمات: ما يوجب له ضررًا في دينه.

فهذا كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة، لا من جهة نفس المصيبة، كما أنّ من أوجبت له المصيبة صبرًا وطاعة كانت في حقه نعمة دينية. فهي بعينها فعل الربّ عز وجل رحمة للخلق، والله تبارك وتعالى محمود عليها.

فمن ابتلي فرزق الصبر، كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له مع ما كفّر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧]، وحصل له غفران السيئات، ورفع الدرجات، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك. انتهى ملخصًا.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٣٩٦) وحسّنه، والحاكم في «المستدرك» (٤/٦٠٨). وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٠٨).

وقال النبي ﷺ: **«إنَّ عِظَمَ الجزَاءِ مَعَ عِظَم البَلَاءِ، وَإِنَّ الله تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِي فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»**. حسَّنه الترمذي[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

قوله: (وقال النبي ﷺ: **«إن عظم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»**. حسَّنه الترمذي).

قوله: (قال النبي ﷺ: **«إنَّ عِظَمَ الجزَاءِ»**): بكسر العين، وفتح الظاء فيهما، ويحتمل ضمهما مع سكون الظاء. قال ابن القيم: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب، فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها، وهو ظاهر.

قوله: **«وَإِنَّ الله تعالى إذا أَحَبَّ قوْمًا ابْتَلاهُمْ»**: وفي الحديث: سئل النبي ﷺ: أيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قالَ: **«الأَنبياءُ، ثمَّ الأمثَلُ فالأمْثَلُ؛ يُبْتَلى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دينِهِ، فَإِنْ كانَ في دينِهِ صَلَابَةٌ اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كانَ في دينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلى قَدْرِ دينِهِ، فما يَبْرَحُ البَلاءُ بِالعبْدِ حتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشي على الأَرْضِ وَمَا عَليهِ خطيئَةٌ»**[٢]. رواه الدارمي، وابن ماجه، والترمذي وصححه.

قوله: **«فمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا»** أي: من الله، **«وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»** كذلك.

---

(١) في «الجامع» (٢٣٩٦). وكذا حسَّنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع الصغير» (٢١١٠).

(٢) أخرجه الدارمي في «المسند» (٢٧٨٣)، وابن ماجه في «السنن» (٤٠٢٣)، والترمذي في «الجامع» (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٩٩٢).

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله .

الثالثة : الطعن في النسب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير .

السادسة : علامة إرادة الله بعبده الشر .

السابعة : علامة حبّ الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضا بالبلاء .



٣٥ ـ باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية [الكهف: ١١٠].

قوله:

باب ما جاء في الرِّياء

أي: من النهي عنه والتحذير.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾) أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلٰهية شيء، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له، أوحاه إليّ، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ ويخافه؛ ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

قال شيخ الإسلام: أما اللقاء: فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المُعاينة، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة. وذكر الأدلة على ذلك.

قال ابن القيّم في الآية: أي: كما أنه إله واحد لا إله إلا هو، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلٰهية يجب أن يُفْرَدَ بالعبودية. فالعمل الصّالح هو الخالص من الرياء، المقيد بالسنة. انتهى.

فتضمنت الآية النهي عن الشرك كله، قليله وكثيره.

عن أبي هريرة مرفوعًا: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». رواه مسلم[1].

قوله: (عن أبي هريرة مرفوعًا: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**». رواه مسلم).

قوله: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ معي فيهِ غَيْرِي**» أي: قصد بعمله غيري من المخلوقين.

«**تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ**»: قال الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: «**تركته**» يجوز أن يرجع إلى العمل.

قال ابن رجب: واعلم أن العمل لغير الله أقسام:

فتارة يكون رياءً محضًا، كحال المنافقين، كما قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة، أو الحج، أو غيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز.

وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله: فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه.

وذكر أحاديث تدل على ذلك؛ منها هذا الحديث، وحديث شداد بن أوس مرفوعًا: «**مَنْ صَلَّى يُرائي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرائي فَقَدْ أَشْرَكَ، ومَن تصَدَّق يُرائي فقد أشرك، وإنَّ الله عزَّ وَجلَّ يَقولُ: أنا خيرُ قَسيم لِمَنْ أَشْرَكَ بي، فَمَنْ أَشْرَكَ بي شَيئًا فَإنَّ جِدَّةَ عَملِهِ وَقَليلَهُ وَكَثيرَهُ لِشَريكِهِ الذي أَشْرَكَ بِهِ، وأنا عَنْهُ غَنِيٌّ**». رواه أحمد[2].

---

(١) في «الصحيح» (**٢٩٨٥**).

(٢) في «المسند» (**٤/١٢٥ ـ ١٢٦**). وأخرجه الطبراني في «الكبير» (**٧١٣٩**).

=

وعن أبي سعيد مرفوعًا: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟». قالوا: بلى. قال: «**الشِّرْكُ الخَفِي؛ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ؛ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**». رواه أحمد[١].

قال الإمام أحمد فيمن يأخذ جعلاً على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس، كأنه خرج لدينه، فإن أعطي شيئًا أخذه.

ثم قال: وأما إذا كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرِّياء، فإن كان خاطرًا ثم دفعه فلا يضرّه بغير خلاف، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا، ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك خلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازَى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن وغيره[٢].

قوله: (وعن أبي سعيد مرفوعًا: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**». قالوا: بلى. قال: «**الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيزيِّن صلاته؛ لما يرى من نظر رجل**». رواه أحمد).

قوله: (عن أبي سعيد): هو الخدري، وتقدم.

قوله: «**الشِّرْكُ الخَفيُّ**»: سماه خفيًّا لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يُظهِر أن عملَه لله، وقد قصد غيره، أو شرَّكه فيه بتزيين صلاته لأجله.

ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة.

قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق،

= وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢٢١): وفيه شهر بن حوشب، وثقه أحمد وغيره، وضعّفه غير واحد، وبقيّة رجاله ثقات.

(١) في «المسند» (٣/٣٠) مع اختلاف يسير في اللفظ.
وحسّنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع الصغير» (٢٦٠٧).

(٢) انظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (١/٧٩ ـ ٨٣).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في ردِّ العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب: أنه خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزيّنها لما يرى من نظر رجل إليه.

والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده. انتهى.

❊ ❊ ❊

٣٦ - باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ الآيتين [هود: ١٥ - ١٦].

قوله:

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا: كالرياء في بطلان العمل إن استرسل معه؛ كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التعليم، كحال أهل المدارس، وأئمة المساجد، والمجاهدين، ونحوهم؛ ممن يقصد بعمله الصالح أمر دنيا. وقد وقع ذلك كثيرًا، حتى أن منهم من يحرص على سفر الجهاد؛ لأجل ما يحصل له فيه من جهة أمير الجيش، واجتماعه به، وأمره له ونهيه، وقربه منه، ونحو ذلك!

قوله: (﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا...﴾ الآيتين): قال ابن عباس: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ثوابها، ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي: مالها، ﴿نُوَفِّ﴾: نوفر ﴿إِلَيْهِمْ﴾ ثواب أعمالِهم بالصحة والسرور في المال والأهل والولد، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا يُنقصون. ثم نسَخَتْها ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ...﴾ الآية [الإسراء: ١٨]. رواه

في «الصحيح»(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعِسَ عبْدُ

النَّحَّاس(٢) في «ناسخه».

وأخرج ابن جرير(٣) بسنده المتصل عن شُفَيّ بن ماتع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تبارَكَ وتعالى إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، نَزَلَ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وكلُّ أُمَّةٍ جاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ في سَبيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثيرُ المالِ.

فيَقولُ الله تعالى لِلقارِئ: أَلَمْ أُعَلِّمكَ مَا أَنْزَلْتُ على رَسولي؟ قالَ: بلى يا رَبِّ! قال: فماذا عَمِلْتَ فيما عُلِّمتَ؟ قالَ: كنت أقومُ آناءَ اللّيلِ وآناءَ النَّهارِ. فيَقولُ الله له: كَذَبْتَ! وتقولُ لهُ الملائِكَةُ: كَذَبْتَ! ويَقولُ الله له: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ: فُلانٌ قارِئٌ، فَقدْ قيلَ.

ويُؤْتى بصاحِبِ المالِ، فيقولُ الله لهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ، حَتَّى لَمْ أَدعْكَ تحتاجُ إلى أَحدٍ؟ قالَ: بَلى يا رَبِّ! قالَ: فما عَمِلْتَ فيما آتيْتُكَ؟ قالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وأَتَصَدَّقُ. فيَقولُ الله لهُ: كَذَبْتَ! وَتقولُ لهُ الملائِكَةُ: كَذَبْتَ! ويَقولُ الله له: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ: فُلانٌ جوادٌ، فقَدْ قيلَ ذَلِكَ.

ويُؤْتى بالذي قُتِلَ في سَبيلِ اللَّهِ، فيُقالُ لهُ: فيماذا قُتِلْتَ؟ فيَقولُ: أُمِرْتُ بالجِهادِ في سَبيلِكَ، فقاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فيَقولُ الله لهُ: كَذَبْتَ! وتقولُ الملائِكَةُ: كَذَبْتَ! ويَقولُ الله له: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ فُلانٌ جريءٌ، وَقَدْ قيلَ ذَلِكَ». ثمَّ ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ على رُكْبَتيَّ، فقالَ: «يا أَبا هُرَيْرَةَ! أُولئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيامَةِ».

قوله: (في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد**

---

(١) أي: البخاري برقم (٢٨٨٧).

(٢) وقع في بعض النسخ المطبوعة والمخطوط ـ سوى طبعة الشيخ إسماعيل الأنصاري ـ: «البخاري» بدل «النحاس». وتصويبه من «فتح المجيد» (٢/٦٢٦).

(٣) في «تفسيره» (١٣٩٣٤). وأخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٣٨٢) وحسّنه. وأخرجه مسلم (١٩٠٥)، والنسائي (٦/٢٣) من طريق آخر عن أبي هريرة.

الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ.

الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط. تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»).

قوله: (في الصحيح) أي: «صحيح البخاري».

قوله: «**تعِسَ**»: هو بكسر العين، ويجوز الفتح، أي: سقط. والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ. وقال أبو السعادات: يقال: تعس يتعس: إذا عثر وانكب لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك.

قوله: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ**»: سماه عبدًا له؛ لكونه هو المقصود بعمله، فصار عبدًا له، لأنه عَبَدَه بذلك العمل.

قوله: «**تَعِسَ عَبْدُ الخميصَةِ**»: قال أبو السعادات: هي ثوب خَزٍّ أو صوف مُعلَّم.

و(الخَميلَة) ـ بفتح الخاء المعجمة ـ: قال أبو السعادات: ذات الخَمَل: ثياب لها خَمَل من أي شيءٍ كان.

المراد: كل ما كان من الدنيا نقدًا كان أو عَرَضًا؛ لأنه ذكر النوعين. قال أبو السعادات: أي انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة.

قوله: «**وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ**» أي: إذا أصابته شوكة [فلا انتقش، أي:][(١)] فلا يقدر على إخراجها بالمناقيش. قاله أبو السعادات.

قال شيخ الإسلام: فسماه النبي ﷺ عبدَ الدينار والدرهم، وعبد القطيفة،

---

(١) زيادة من المخطوط.

. . . .

وعبد الخميصة، وذكر ما فيه، وهو دعاء عليه بلفظ الخبر؛ وهو قوله: «**تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإِذا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ**».

وهذه حالُ مَن إذا أصابه شرّ لم يخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه. وهذه حال مَن عَبَد المال، وقد وصف ذلك بأنه: إن أُعطِيَ رضي، وإن مُنِعَ سَخِط، فرِضَاهُ لغير الله، وسَخَطُه لغير الله. وهكذا حال من كان متعلقًا برياسة، أو صورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه: إن حَصَل له رَضِيَ، وإن لم يَحصُل له سَخِط، فهذا عبدُ مَا يَهواه مِن ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرِّقُّ والعبودية في الحقيقة رقُّ القلب وعبوديته، فما استرَقَّ القلب واستعبده فهو عبده.

إلى أن قال: وهكذا أيضًا حال من طلب المال؛ فإن ذلك يستعبده ويسترِقُّه.

وهذه الأمور نوعان:

فمنها: ما يحتاج إليه العبد؛ كما يحتاج إلى طعامه، وشرابه، ومنكحه، ومسكنه، ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله، ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه، من غير أن يستعبده، فيكون هلوعًا.

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد؛ فهذا ينبغي أن لا يُعلّق قلبه به، فإذا تعلق قلبُه صار مُستعبدًا ومُعتمِدًا على غير الله فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله، ولا حقيقة التوكل على الله، بل فيه شُعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غيره، وهذا أحق الناس بقوله ﷺ: «**تعس عبدُ الدّرهم، تعسَ عبدُ الدينار، تعسَ عبدُ الخميصة، تعسَ عبد الخميلة**». وهذا هو عبدٌ لهذه الأمور، فلو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سَخِط، وإنما عبدُ الله مَن يُرضِيه ما يُرضِي اللّهَ، ويُسخِطه ما يُسخِطُ اللّهَ، ويُحِبُّ ما أحبَّ اللّهُ ورسولُه، ويُبغض ما أبغض اللّهُ ورسولُه، ويوالي أولياءَ الله، ويُعادي أعداء الله؛ فهذا الذي استكمل الإيمان. انتهى ملخصًا.

طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ

قوله: «طُوبَى لِعَبْدٍ»: روىٰ الإمام أحمد[١] عن حسن بن موسى قال: سمعت عبدالله بن لهيعة، حدثنا دراج أبو السمح: أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ: أَنَّ رَجُلاً قالَ: يا رَسول اللَّهِ! طُوبى لِمَنْ رَآكَ وَآمَنَ بِكَ. قالَ: «**طُوبى لِمَنْ رَآني وَآمَنَ بي، ثمَّ طُوبى ثم طُوبى ثم طُوبى لِمَنْ آمَنَ بي وَلَمْ يَرَني**». قالَ لهُ رَجُلٌ: وَمَا طُوبى؟ قالَ: «**شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ مَسيرَةُ مائة عامٍ، ثيابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أكمامِها**». وله شواهد في «الصحيحين».

وقد روى ابن جرير[٢] عن وهب بن منبه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا؛ قال وهب: إنَّ في الجَنَّةِ شَجَرَةً يُقالُ لها: طُوبى، يَسيرُ الرّاكِبُ في ظِلِّها مائَةَ عام لا يَقْطَعُها، زَهْرُها رِياطٌ، وَورَقُها بُرودٌ، وَقُضْبانُها عَنْبرٌ، وَبَطْحاؤُها ياقوتٌ، وَتُرابُها كافورٌ، وَوَحَلُها مِسْكٌ، يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِها أَنْهارُ الخمرِ وَاللَّبنِ وَالعَسَلِ، وَهِيَ مَجلِسٌ لأَهلِ الجنَّةِ، فَبَيْنا هُمْ في مجلِسِهم إِذْ أَتَتْهُمُ الملائِكَةُ مِنْ رَبِهِمْ، يَقودونَ نُجُبًا مزمومَةً بِسَلاسِلَ مِنْ ذَهَبٍ، وجُوهُها كالمصابيح مِنْ حُسْنِها، وَبَرُها كَخَزِّ المِرْعِزَّى مِنْ لينِهِ، عَلَيها رِحَالٌ أَلواحُها مِنْ ياقوتٍ، وَدُفوفُها مِنْ ذَهَبٍ، وَثِيابُها مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبرَقٍ، فيُنيخونَها، وَيقولونَ: إِنَّ رَبَّنا أَرْسَلَنا إِلَيْكُمْ لِتزوروه وتُسَلِّموا عَلَيْهِ.

قالَ: فيَرْكَبونَها. قالَ: فهِيَ أَسْرَعُ مِنَ الطّائِرِ، وَأَوْطَأُ مِنَ الفِراشِ نُجُبًا مِنْ غَيرِ مَهنَةٍ، يَسيرُ الرَّجُلُ إِلى جَنْبِ أَخيهِ وَهوَ يُكَلِّمُهُ وَيُناجيهِ؛ لا تُصيبُ أُذُنُ

---

(١) في «المسند» (٧١/٣) من طريق درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد مرفوعًا به.

ودرّاج هذا هو أبو السمح، صدوق، في روايته عن أبي الهيثم ضعف، كما في «التقريب». ولكن للحديث شاهد يتقوّى به من حديث ابن عمر عند الطيالسي (١٨٤٥)، وآخر من حديث أبي عبدالرحمن الجُهني عند الإمام أحمد (١٥٢/٤). وانظر: «الصحيحة» (١٢٤١).

(٢) في «تفسيره» (١٥٤٧٢) عند الآية ٢٩ من سورة الرعد.

....

رَاحِلة مِنْها أُذُنَ صاحِبَتِها، وَلا بَرْكُ راحِلةٍ بَرْكَ الأخرى، حتَّى إنَّ الشَّجَرَةَ لتَتَنَحَّى عَنْ طَرِيقِهِمْ؛ لِئَلا تُفرِّق بينَ الرَّجُلِ وَأخيهِ.

قال: فيَأتونَ إلى الرَّحْمنِ الرَّحيم، فيُسْفِرُ لهمْ عَنْ وَجْهِهِ الكَريم، حَتَّى يَنْظُروا إليْهِ، فإذا رَأَوْهُ قالوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، وَحَقَّ لَكَ الجَلالُ والإكْرامُ.

قال: فيقولُ تبارَكَ وَتعالى عِنْدَ ذَلِكَ: أَنا السَّلامُ، وَمِني السَّلامُ، وَعَلَيْكُم حَقَّتْ رَحْمتي وَمَحبَّتي، مَرْحَبًا بِعبادي الذينَ خَشَوني بِالغَيْبِ، وَأَطاعوا أَمْري.

قال: فيَقولونَ: رَبَّنا إنَّا لَمْ نعْبُدْكَ حَقَّ عِبادَتِكَ، وَلَمْ نَقْدُرْك حَقَّ قَدْرِكَ، فَأْذَنْ لنا بالسُّجودِ قُدَّامَكَ.

قالَ: فيَقولُ الله: إنَّها لَيْسَت دارَ عِبادَةٍ وَلا نَصَبٍ، وَلكِنَّها دارُ مُلْكٍ وَنَعيم، وَإنِّي قدْ رَفَعْتُ عَنْكُمْ نَصَبَ العِبادَةِ، فَسَلوني ما شِئْتم، فإنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أُمْنِيَّته. فَيَسْأَلونَهُ، حَتى إنَّ أَقْصَرَهُم أُمْنِيَّةً لَيَقولُ: رَبِّ! تنافَسَ أَهْلُ الدُّنْيا في دُنْياهُمْ فتَضايَقوا[(١)]، رَبِّ! فآتِني مِثْلَ كلِّ شَيءٍ كانوا فيهِ، مِنْ يَوْم خَلَقْتَها إلى أنِ انْتَهتِ الدُّنْيا. فيقولُ الله تعالى: لقَدْ قَصَّرَتْ بِك[(٢)] أُمْنِيَّتُكَ، وَلَقَدْ سَأَلت دونَ مَنزِلَتِكَ، هَذا لَكَ مِنِّي[(٣)]؛ لأَنهُ لَيس في عَطائي نَكَدٌ وَلا تصريدٌ.

قالَ: ثمَّ يَقول: اعْرِضُوا عَلى عِبادي ما لَمْ تَبْلُغْ أَمانيُّهمْ، ولم يخطر لهم على بالٍ[(٤)]. فيَكونُ فيما يَعْرِضونَ عَليهِمْ بَراذينُ مُقَرَّنَةٌ، عَلى كلِّ أَرْبَعَةٍ مِنْها سَريرٌ مِنْ ياقوتَةٍ واحِدَةٍ، عَلى كلِّ سَريرٍ مِنْها قُبَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُفْرَغَةٌ، في كلِّ قُبَّةٍ مِنْها فَرْشٌ مِنْ فُرُشِ الجَنَّةِ مظاهرةٌ، في كل قُبَّةٍ مِنْها جارِيَتانِ مِنَ الحُورِ العينِ، عَلى كلِّ جارِيَةٍ مِنْهُنَّ ثوْبان مِنْ ثِيابِ الجَنةِ، وَلَيْسَ في الجَنةِ لوْنٌ إلاَّ وَهُوَ

---

(١) في «تفسير الطبري» زيادة: «فيها».

(٢) في «تفسير الطبري» زيادة: «اليوم».

(٣) فيه زيادة: «وسأتحفك بمنزلتي».

(٤) فيه زيادة: «قال: فيَعرضون عليهم، حتى يقضوهم أمانيهم التي في أنْفُسِهِمْ».

كَانَ فِي الحِرَاسةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِن

فيهما، وَلا طِيبٌ إلاّ قَدْ عَبَقَ بِهِما، يَنْفُذُ ضَوْءُ وُجُوهِهِما غِلَظَ القُبَّةِ، حَتّى يَظُنَّ مَنْ يَراهُما أَنَّهُما دونَ القُبَّةِ، يُرى مُخُّهُما مِنْ فَوْقِ، كالسِّلْكِ الأَبْيَضِ في ياقوتَةٍ حَمْراءَ، يَرِيانِ لهُ مِنَ الفَضْلِ علَى صَحابَتِهِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلى الحِجارَةِ أَو أَفْضَلَ، وَيَرى لهما[1] مِثْلَ ذَلِكَ، ثم يَدْخُلُ إليْهِما، فيُحَيِّيانِه، وَيُقَبِّلانِه، وَيُعانِقانِهِ، وَيَقولانِ لهُ: مَا ظَنَنَّا أَنَّ الله يَخْلقُ مِثْلَكَ. ثُمَّ يَأْمُر الله الملائِكَةَ فَيَسيرونَ بِهِمْ صَفًّا في الجَنَّةِ، حَتّى يَنْتَهِيَ كلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إلى مَنزِلتِهِ التي أُعِدَّتْ لهُ. اهـ.

قوله: «**أَشْعَثَ**»: مجرور بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل.

و«**رَأسُهُ**»: مرفوع على الفاعلية، وهو طائر الشعر؛ أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان، وتسريح الشعر.

قوله: «**مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ**»: هو بالجر؛ صفة ثانية لعبد.

قوله: «**إِنْ كانَ في الحِرَاسَةِ**» أي: حماية الجيش عن أن يَهْجُم العدوّ عليهم.

قوله: «**كانَ في الحِرَاسَةِ**» أي: غير مُقَصِّر فيها، ولا غافل.

قوله: «**وَإن كانَ في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقَةِ**» أي: في مؤخرة الجيش؛ يقلب نفسه في مصالح الجهاد، وبما فيه حفظ المجاهدين من عدوهم.

قال الخلخالي: المعنى: ائتماره لما أمر، وإقامته حيث أقيم؛ لا يفقد من مكانه. وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة.

قوله: «**إِن استأذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ**» أي: إن استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له، لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة، لأنه ليس من طُلَّابها، وإنما يطلب ما عند الله.

---

(١) في «تفسير الطبري»: «ويرى هو لهما».

اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

قوله: «**وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشفعْ**» يعني: لو ألجأَتْه الحالُ إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله، لم تقبل له شفاعة عند الأمراء ونحوهم.

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حَرَسُ ليلَةٍ في سَبيلِ اللَّهِ أفْضَلُ مِنْ ألفِ ليْلةٍ يُصَامُ نَهارُهَا، وَيُقَامُ ليْلُها**»[1].

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن المبارك: قال عبدُالله بن محمد قاضي نَصيبين: حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سُكينة؛ أنه أملى عليه عبدُالله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وواعده الخروج، وأنفذها معه إلى الفضيل بن عياض، في سنة سبع وسبعين ومائة:

يا عابِدَ الحَرَمَيْنِ لو أبْصَرْتَنا ... لَعَلِمْتَ أنك في العِبَادةِ تَلْعَبُ
مَن كان يَخضِبُ خَدَّه بدُموعِه ... فَنُحُورُنا بدِمائِنَا تَتَخَضَّبُ
أو كان يُتْعِبُ خَيْلَه في باطِلٍ ... فَخُيُولُنا يومَ الصَّبيحَةِ تَتْعَبُ
ريحُ العَبِير لَكُم ونحنُ عَبِيرُنا ... رَهَجُ السَّنابِكِ والغُبَارُ الأطْيَبُ
ولَقَدْ أتَانَا مِن مَقَالِ نَبِيِّنَا ... قَوْلٌ صَحِيحٌ صادقٌ لا يَكْذِبُ
لَا يَستَوِي وَغُبَارُ خَيلِ الله فِي ... أنفِ امْرِئٍ ودُخَانُ نَار تَلهَبُ
هذا كتابُ الله ينطِقُ بَيْنَنَا ... لَيسَ الشَّهيدُ بِمَيِّتٍ لاَ يَكْذِبُ

قال: فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأ ذرفت عيناه،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦١/١)، والطبراني في «الكبير» (١٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٨١/٢)، جميعهم عن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، قال: قال عثمان رضي الله عنه وهو يخطب على منبره: إني محدّثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمنعني أن أحدثكم به إلاَّ الضنّ بكم؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.
وإسناده ضعيف؛ مصعب بن ثابت: قال الحافظ في «التقريب»: «ليّن الحديث، وكان عابدًا».
وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٢٧٠٤).

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم: عبد الدينار، والدرهم، والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط.

الخامسة: قوله: «**تَعِس وَانْتَكَسَ**».

السادسة: قوله: «**وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

فقال: صدق أبو عبدالرحمٰن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم. قال لي: اكتب هذا الحديث. وأملى عليَّ الفضيلُ بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ أنَّ رَجُلاً قَالَ: يا رسولَ اللَّهِ! عَلِّمْني عملاً أنال بهِ ثوابَ المجاهِدينَ في سَبيلِ اللَّهِ. فقال: «**هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُصَلِّي فَلا تفْتُر، وَتصومَ فلا تُفْطِر؟**». فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ! أنا أَضْعَفُ مِنْ أَنْ أَسْتَطِيعَ ذَلِكَ. ثمَّ قالَ النَّبيُّ ﷺ «**فوالذي نَفْسي بِيَدِهِ، لوْ طُوِّقْتَ ذَلِكَ مَا بَلَغْتَ فَضْلَ المجاهِدينَ في سَبيلِ اللَّهِ، أَمَا عَلِمتَ أَنَّ فَرَسَ المجاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ، فيُكْتَبُ له بذلكَ حَسَناتٌ؟**»(١).

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٧٨٥) بنحوه دون قوله: «**فوالذي نفسي بيده، لو طُوِّقت ذلك...**» إلخ، وجعل قوله: «**إن فرس المجاهد ليستن...**» من قول أبي هريرة.

٣٧ ـ باب
من أطاع العلماء والأمراء
في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله
فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

وقال ابن عباس: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ! أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ!

قوله:

باب من أطاع العلماء والأمراء
في تحريم ما أحلّ الله أو تحليل ما حرَّم الله
فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

فيه: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧].

قوله: (وقال ابن عباس: يُوشكُ أَنْ تَنزلَ عَليكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّماءِ! أَقولُ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وتقولون: قالَ أَبو بَكْرٍ وَعُمرُ!).

وقال أيضًا: أراهم سيهلكون! أقول: قال رسول الله، ويقولون: قال أبو بكر وعمر!

وفي «صحيح مسلم» عن ابن أبي مليكة؛ أن عروة بن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ يأمر الناس بالعمرة في هذا العشر، وليس فيها

وقال الإمام أحمد بن حنبل: عَجِبتُ لقوم عرفوا الإسنادَ وصِحَّتَه، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عمرة، فقال عروة: فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك. فقال الرجل: من هاهنا هلكتم! ما أرى الله إلا سيعذبكم، أحدِّثكم عن رسول الله ﷺ، وتخبروني بأبي بكر وعمر!!

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء على أن من استبانَت له سنةُ رسولِ الله ﷺ لم يكن له أن يَدَعها لقول أحد.

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ما منا إلا رادّ ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر. [يعني محمدًا][(١)] ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع، غير النبي ﷺ.

قوله: (وقال الإمام أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرَفوا الإسْنادَ وَصِحَّتَهُ يَذْهَبونَ إلى رأي سفيانَ، والله تعالى يَقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا ردّ بعضَ قولِه أن يقعَ في قلبه شيءٌ مِنَ الزَّيْغ فيهلِكَ).

قال الإمام أحمد: نظرتُ في المصحف، فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعًا. ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وسفيان: هو الثوري، الإمام الزاهد العابد، الثقة الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون عنه، ومذهبه مشهور.

---

(١) زيادة من المخطوط.

عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية [التوبة: ٣١]، فقلت له:

وقد عمت البلوى بهذا المنكر الذي أنكره الإمام أحمد، خصوصًا فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتدريس، وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع!! وقد أخطأوا في ذلك.

وقد استدل الإمام أحمد رحمه الله تعالى بقوله ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي عَلى الحَقِّ مَنصورَة، لا يَضرُّهُم مَنْ خَذَلهمْ، وَلا مَنْ خالفَهُمْ، حَتى يَأْتي أمرُ الله وَهُمْ عَلى ذَلِكَ**»[1] على أن الاجتهاد لا ينقطع.

وحكى ابن عبدالبر الإجماع على أن المقلد لا يكون من أهل العلم، والأئمة لم يُقصِّروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة.

قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال.

وقال: إذا قلتُ قولاً وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله تعالى. قيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ. قيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة.

وتقدم كلام الإمامين مالك والشافعي.

فعلى من اشتغل بمصنفات أهل مذهبه أن ينظروا في أقوال المخالفين وما استدلوا به، فيكون متبعًا للدليل مع من كان معه، وبالله التوفيق.

قوله: (عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية:

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٣٦٤١) عن معاوية، ومسلم (١٩٢٠) عن ثوبان.

إنا لسنا نعبدهم. قال: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟**». فقلت: بلى. قال: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**». رواه أحمد، والترمذي[(١)] وحسَّنه.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ الآية، فقلت: إنا لسنا نعبدهم. قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟**». فقلت: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**». رواه أحمد، والترمذي وحسَّنه).

قوله: (عن عدي بن حاتم) أي: الطائي، المشهور بالسخاء والكرم، قَدِمَ عديٌّ على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة، فأسلم، وعاش مائة وعشرين سنة.

وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى بترجمة الباب إلى هذا الحديث وما في معناه، وفيه دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله.

قال شيخنا في المسائل[(٢)]: فتغيرت الأحوال وآلت إلى هذه الغاية، فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، ويسمونها الوَلاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عُبِد من ليس من الصالحين، وعُبِد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. رواه الدارمي[(٣)].

---

(١) لم نجده بهذا السياق في «المسند»، ورواه الترمذي (**٣٠٩٥**) بنحوه، وقال: «حديث حسن غريب».
وحسّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦٧/٧).

(٢) المسألة الخامسة من هذا الباب.

(٣) في «المسند» (**٢٢٠**) بإسناد صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عَدِي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغيّر الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتُسمَّى الوَلاَية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عُبِدَ من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبِدَ بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، فكم ضل من ضل! وزل من زل!

* * *

٣٨ ـ باب قول الله تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ **الآيات** [النساء: ٦٠ ـ ٦٢]

. . . .

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ...﴾ **الآية**

قال العماد ابن كثير: والآية ذامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا، وكل من عَبد شيئًا دون الله، بأي نوع كان من أنواع العبادة؛ كالدعاء والاستغاثة: فإنما عَبَد الطاغوت، فإن كان المعبود صالحًا كانت عبادةُ العابد له واقعةً على الشيطان الذي أمَره بعبادته وزينها له، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١]، وقال تعالى:

....

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨ ـ ٢٩] والآية بعدها.

وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه؛ كالطواغيت، أو كان شجرًا، أو حجرًا، أو قبرًا؛ كاللات، والعزى، ومناة، وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصنامًا على صور الصالحين والملائكة، أو غير ذلك: فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته، ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنًا من كان.

فالتوحيد هو الكفر بكل ما عبد من دون الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى...﴾ الآية [الزخرف: ٢٦]، فلم يستثن من كل معبود إلا الذي فطره سبحانه وتعالى، وهذا معنى «لا إله إلا الله» كما تقدم، وكما في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وكذلك من خالف حكم الله ورسوله، بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو مع الجهل بذلك، أو طلب ذلك أن يتبع عليه، أو أطاعه فيما لا يعلم أنه حق، إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقًّا أم لا، فهو طاغوت بلا ريب؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، كما في آية البقرة، فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن قد نفى ما نفته «لا إله إلا الله».

قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ أي: بعيدًا عن الهدى. ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

الثاني: أنه ضلال.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

فسبحان الله! ما أعظم هذا القرآن، وما أنفعه لمن تدبره، وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين، أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلغه عبدُه الصادق الأمين، صلوات الله وسلامه عليهما أجمعين.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾: فإن المنافق يكره الحق وأهله، ويهوى ما يخالفه من الباطل، وهذه حال أهل النفاق.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: هذا دليل على أن من دُعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين.

قلت: فما أكثرهم لا كثرهم الله!

قال: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ لازم، وهو بمعنى يُعرِضون؛ لأن مصدره (صدودًا). فما أكثر من اتصف بهذا الوصف، خصوصًا من يدّعي العلم؛ فإنهم صَدُّوا عما تُوجِبُه الأدلةُ من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يخطئ كثيرًا، ممن ينتسب إلى مذهب من مذاهب الأربعة، في تقليدهم من لا يجوز تقليده فيما يخالف الدليل. فصار المتبع للرسول ﷺ بين أولئك غريبًا، وقد عَمَّت البلوى بهذا.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾:

قال أبو العالية في الآية: يعني لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله.

ومناسبة الآية للترجمة: أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض.

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . . .﴾ الآية [المائدة: ٥٠].

وفي الآية التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء، وإن زخرفوها بالدعوى.

قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: قال أبو بكر بن عياش في الآية: إن الله بعث محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض.

قال ابن القيم: قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل، وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به: هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك. والدعوة إلى غير الله، وإقامة معبود غيره، ومطاع ومتبع غير رسول الله ﷺ: هو أعظم الفساد في الأرض. ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون اللَّهُ وحدَه هو المعبودَ المطاعَ، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلاَّ، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة.

ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله، وعبادته، وطاعة رسوله، وكل فتنة في العالم، وبلاء وشر وقحط، وتسليط عدو، وغير ذلك: فسببه مخالفة رسوله، والدعوة إلى غير الله ورسوله. انتهى.

وبما ذكرنا يتبين مطابقة الآية للترجمة.

قوله: (وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . . .﴾ الآية): قال ابن كثير: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، والنهي عن كل شر، وعدَل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح[١].

الجهالات والضلالات، كما يحكم به التتار، من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان، الذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكام، اقتبسه من شرائع شتى، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، وصار في بَنِيه شرعًا يُقدّمونه على الحكم بالكتاب والسنة. ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير.

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ استفهام إنكار، أي: لا حكم أحسن من حكمه. وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مُشارِك، أي: ومن أعدل من الله حكمًا لمن عقل عن الله شرعه، وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده، القادر على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله، وشرعه وقَدَره.

قوله: (عن عبدالله بن عمرو؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكونَ هَواهُ تَبَعًا لما جِئْتُ بِهِ»**. قال النووي: حديث صحيح؛ رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح): هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب «الحجة على تارك المحجة» بإسناد صحيح كما قاله المصنف عن النووي، ورواه الطبراني، وأبو بكر بن [أبي] عاصم، والحافظ أبو نعيم في «الأربعين» التي شرط لها أن تكون في صحاح الأخبار[٢].

---

(١) الحديث الحادي والأربعين من «الأربعين النووية».

(٢) كما في «جامع العلوم والحِكم» **(٢/٣٩٣)**. وقال الحافظ ابن رجب: «تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جدًا من وجوه»، ثم ساق - رحمه الله - أربعة وجوه تُبيّن ضعف هذا الحديث، فراجعها.

....

وشاهده في القرآن؛ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، ونحو هذه الآيات.

قوله: **«حتى يكُونَ هَواهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»**: الهوى: بالقصر، أي: ما تهواه وتحبه نفسه، [وتميل إليه][(١)]، فإن كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه، ويعمل به تابعًا لما جاء به الرسول ﷺ، لا يخرج عنه إلى ما يخالفه: فهذه صفة أهل الإيمان المطلق، الذي يوجب لصاحبه الجنة والنجاة من النار. وإن كان بخلاف ذلك، أو في بعض أحواله، أو أكثرها: انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب، فيطلق عليه مؤمن بقيد؛ لنقص إيمانه بالمعصية، كما في حديث أبي هريرة: **«لا يَزْني الزَّاني حينَ يَزْني وَهُوَ مُؤْمنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُو مُؤْمِنٌ»**[(٢)]، فيكون مسلمًا ومعه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به، وهذا التوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر.

وهذا هو الذي يذهب إليه أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج يكفرون بالذنوب، والمعتزلة لا يطلقون عليه الإيمان، ويقولون بتخليده في النار. وكلا الطائفتين ابتدع في الدين، وترك ما دل عليه الكتاب والسنة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦]، فقيد مغفرة ما دون الشرك بالمشيئة.

وتواترت الأحاديث بما يحقق ما ذهب إليه أهل السنة، فقد أخرج

= والحديث عند ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٥)، وضعّفه الألباني رحمه الله أيضًا.

(١) زيادة من المخطوط.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

وقال الشعبي: كان بين رجُلٍ من المنافقين ورجُلٍ من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ الآية[١] [النساء: ٦٠].

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عُمَر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال:

البخاري وغيره عن أنس، عن النبي ﷺ قال: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قال: لا إله إلا الله، وَفي قلبه وَزْنُ شَعيرَةٍ مِنْ خَير، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قالَ: لا إِلهَ إلّا الله، وَفي قلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خيرٍ، وَيَخرُج مِنَ النَّارِ مَنْ قالَ: لا إِلهَ إلا الله، وَفي قلبِهِ وَزْنُ ذَرّةٍ مِنْ خَيرٍ»**[٢].

قوله: (وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمدٍ؛ عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا على أن يأتيا كاهنًا في جهينة، فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف، فقتله).

قوله: (قال الشعبي): هو عامر بن شراحيل الكوفي، وتقدَّم.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧٨١٦)، وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٣١٩/٢) ـ، وأورده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٧/٥)، وقال: رواه إسحاق بن راهويه في «تفسيره» بإسناد صحيح.
(٢) أخرجه البخاري (٤٤) واللفظ له، ومسلم (١٩٣).

نعم. فضربه بالسيف، فقتله[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

الرابعة: تفسير: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

الخامسة: ما قاله الشعبي في نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.

في قصة عمر وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف: دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق، وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ، والأذى له، والإظهار لعداوته، فانتقض به عهدُه، وحَلَّ به قتله. وقصة قتله مذكورة في كتب الأحاديث[٢]، والسِّيَر، وغيرها.

❊ ❊ ❊

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/٣٢٠) للثعلبي من رواية ابن عباس.
وعزاه الحافظ ابن حجر (٥/٣٧) للكلبي في «تفسيره» من طريق أبي صالح، عن ابن عباس. ثم قال: «وهذا الإسناد ـ وإن كان ضعيفًا ـ لكن تقوّى بطريق مجاهد، ولا يضرّه الاختلاف؛ لإمكان التعدّد».

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٢٥١٠)، و«صحيح مسلم» (١٨٠١).

٣٩ ـ باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ . . .﴾ الآية [الرعد: ٣٠].

قوله:

باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ . . .﴾ الآية.

سبب نزول الآية معلوم؛ وهو: أن قريشًا جحدوا اسم الرحمن عِنادًا، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. فالرحمٰن اسمه وصفته، فالرحمة وصفه القائم به، فإذا كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه الذي دل على كماله تعالى؛ فجحود معناه كجحود لفظه، فإن الجهمية يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى! وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة، فلهذا كفَّرهم كثير من أهل السنة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

ولقد تقلَّد كُفرَهم خَمسونَ في ... عَشْر من العُلماء في البُلدَان
واللَّالكائيُّ الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل قد حكاه قَبلَه الطبراني

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم من أهل الكلام على التعطيل: جحدوا ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من صفات كماله، ونعوت

وفي «صحيح البخاري»[(١)]: قال عليٌّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!

جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل فاسد أصلوه من عند أنفسهم، ولم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطلوه من صفات كماله، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات، فشبهوا أولاً، وعطلوا ثانيًا، وشبهوا ثالثًا بكل ناقص أو معدوم، فتركوا ما دل عليه صريح الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة؛ من إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، على ما يليق بجلاله وعظمته؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد صنف أئمة السنة لما حدثت بدعة الجهمية مصنفات كثيرة في الرد عليهم؛ كالإمام أحمد، وابنه عبدالله، والخلال، وأبي بكر الأثرم، وعثمان بن سعيد الدارمي، وإمام الأئمة محمد بن خزيمة، وأبي عثمان الصابوني، وخلق من أئمة السنة لا يُمكن حصرُهم، وكذلك من بعدهم؛ كأبي محمد عبدالله بن أحمد موفق الدين، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومن في طبقتهم؛ كالعماد ابن كثير، والحافظ ابن عبدالهادي، وابن رجب، والذهبي، وغيرهم من أهل السنة والجماعة، وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السنة والجماعة. فللَّه الحمد على ظهور الحق، ونشره، والدعوة إليه، والمحافظة عليه.

قوله: (قَالَ عليٌّ: حدِّثوا الناسَ بما يعرفون، أتريدونَ أنْ يُكذَّبَ الله ورسولُهُ؟!): وهذا ـ والله أعلم ـ قاله حين كثُر القُصَّاص في خلافته، وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الأحاديث المعروفة، ولهذا كثُر الوضْعُ بهذا السبب.

---

(١) برقم (١٢٧)؛ بلفظ: . . أتحبّون. . .

وروى عبدالرزاق[١] عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن

وغيرُ المعروف يحتمل أن يكون فيه ما يصح، وفيه ما لا يصح، فإذا سمعه من لم يعرفه أنكره، وربما كان حقًّا. فلا ينبغي التحديث إلا بما صحّ وثبت، واشتهر عند المحدثين والفقهاء، وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يُحدَّث به؛ لاحتمال أن يكون غيرَ صحيح.

وقد كان أمير المؤمنين معاويةُ بنُ أبي سفيان ينهى عن القَصَص؛ لما فيه من التساهل في النقل، ويقول: لا يَقُصُّ إلا أمير أو مأمور[٢].

قوله: (وروى عبدالرزاق عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات، استنكارًا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟! يجدون رِقَّةً عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه! انتهى).

قوله: (وروى عبدالرزاق): هو ابن همام الصنعاني المحدِّث، مُحدِّث اليمن، صاحب التصانيف. أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري، وهو شيخ عبدالرزاق، يروي عنه كثيرًا. ومعمر: بفتح الميمين، وسكون

---

(١) في «المصنَّف» (٤٢٣/١١ رقم **٢٠٨٩٥**)، وإسناده صحيح.

والحديث المشار إليه الذي انتفض له هذا الرجل: هو ما رواه عبدالرزاق قبل هذا برقم (**٢٠٨٩٣**) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**تحاجّت الجنّة والنار، فقالت النار: أوثرتُ بالمتكبّرين والمتجبّرين. وقالت الجنّة: فما لي لا يدخلني إلّا ضعفاء الناس وسَقَطُهم؟...**» **الحديث** وفيه: «... **فأما النار فإنهم يُلقون فيها وتقول: هل من مزيد، فلا تمتلئ حتى يضع رجله - أو قال: قدمه - فيها، فيقول: قط قط قط ...**»، وهو في الصحيحين وغيرهما.

(٢) هذا القول نصّ حديث مرفوع أيضًا: أخرجه أبو داود في «السنن» (**٣٦٦٥**) من حديث عوف بن مالك، وزاد: «**أو مختال**».

وأخرجه ابن ماجه في «السنن» (**٣٧٥٣**) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، وزاد: «**أو مُراءٍ**».

وصححهما العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع الصغير» (**٧٧٥٣، ٧٧٥٤**).

عباس: أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات،

العين، أبو عروة ابن أبي عمرو راشد، الأزدي الحراني، ثم اليماني، من أصحاب محمد بن شهاب الزهري، يروي عنه كثيرًا.

قوله: (عن ابن طاوس): هو عبدالله بن طاوس اليماني، قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قوله: (عن أبيه): هو طاوس بن كيسان الجَنَدي ـ بفتح الجيم والنون ـ، الإمام العالم، قيل: اسمه ذكوان. قاله ابن الجوزي.

قلت: وهو من أئمة التفسير، ومن أوعية العلم، قال في «تهذيب الكمال»(١): عن الوليد الموقري، عن الزهري قال: قدمت على عبدالملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قال: قلت: من مكة، قال: من خلَّفت يَسُودُها وأهلَها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، قال: فمِنَ العرب أم مِن المَوَالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبمَ سادهم؟ قال: قلت: بالديانة والرواية، قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يَسُود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيسان، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: فبمَ سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء، قال: إنه لينبغي ذلك. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي؛ عبدٌ نوبي أعتقته امرأة من هذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مزاحم، قال: فمِنَ العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: مِنَ الموالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن البصري، قال: فمِنَ العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: ويلك! ومن يسود أهل

---

(١) (٢٠/٨١ ـ ٨٢)، وراوي القصة الوليد بن محمد الموقري، مولى بني أميّة: متروك كما في «التقريب».

استنكارًا لذلك، فقال: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟! يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِه! انتهى.

الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب، قال: ويلك يا زهري! فرّجت عني، والله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلت: يا أمير المؤمنين! إنما هو دين، مَن حَفِظَه سَادَ، ومن ضيَّعه سقط.

قوله: (مَا فَرقُ هٰؤلاء): يَستفْهِم من أصحابه؛ يشير إلى أناس ممّن يحضر مجلسه، فإذا سمعوا شيئًا من مُحكم القرآن حصل منهم فَرَقٌ، أي: خوف، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين للمعنى، ولا يتم الإيمان إلا بقبول اللفظ بمعناه الذي دلّ عليه ظاهرًا، فإن لم يقبل معناه أو ردّه أو شك فيه لم يكن مؤمنًا به، فيكون هلاكًا.

وقد ظهر من البدع في وقت ابن عباس بدعة القدرية؛ كما في «صحيح مسلم» وغيره، فقُتِلَ من دعاتهم غَيْلَان؛ قتله هشام بن عبدالملك لما أصرَّ على قوله بنفي القدر، ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية فقُتل، قتله خالد بن عبدالله القسري يوم الأضحى بعد صلاة العيد.

قال الذهبي: حدّث وكيع عن إسرائيل بحديث: «**إذا جَلَسَ الرَّبُّ عَلَى الكُرْسيّ**»[1]، فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها. أخرجه عبدالله في «الرد على الجهمية».

والواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يُبيّن معنى قول ابن عباس.

وسبب هذه البدع جهلُ أهلها، وقصورهم في الفهم، وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها، وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها؛ الذين وفّقهم الله

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «كتاب السنة» (٥٨٥، ٥٨٧). وانظر «كتاب العرش» (١٢١/٢) للذهبي.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر: (الرحمٰن) أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠][١].

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمَّد المُنكِر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه هلك.

تعالى لمعرفة المراد، والتوفيق بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضًا، ورد المتشابه إلى المحكم. وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فللَّه الحمد لا نحصي ثناءً عليه.

قوله: (وَلما سمِعَتْ قرَيْشٌ رَسولَ الله ﷺ يَذْكُرُ: (الرَّحْمٰن) أَنْكَروا ذَلِكَ، فأَنزلَ الله فيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية): روى ابن جرير[٢] عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو ساجدًا: «**يا رحمٰن يا رحيم**». فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنى مثنى! فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

(١) كان ذلك يوم الحديبية حين صالحها النبي ﷺ، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقالوا: ما ندري ما الرحمن؟!
انظر «تفسير ابن جرير» (١٥٤٧٨، ١٥٤٧٩)، و«تفسير ابن كثير» (٥١٦/٢).

(٢) في «تفسيره» (١٧١٩٤).

٤٠ ـ باب قول الله تعالى:
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾
[النحل: ٨٣]

قال مجاهد ـ ما معناه ـ: هو قول الرجل: هذا مالي، وَرِثْتُه عن آبائي.

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا...﴾ الآية.

قال ابن جرير: فإن أهل التأويل اختلفوا في المَعْنِيِّ بالنعمة. فذَكَر عن سفيان، عن السدي: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: محمّد ﷺ. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يعرفون أن ما عَدَّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النِّعَم من عند الله، وأن الله هو المُنعِم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورِثُوه عن آبائهم.

وأخرج عن مجاهد: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: هي المساكن والأنعام، وما يُرزَقُون منها، والسرابيل من الحديد والثياب. يعرِفُ هذا كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا فورَّثُونا إيّاهُ[١].

---

(١) انظر «تفسير ابن جرير» (٨/٢٠٦ ـ ٢٠٧).

وقال عون بن عبدالله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «**إن الله تعالى قال: أصبَحَ مِن عبادي مُؤمنٌ بي وكافر**...» الحديث، وقد تقدم[١] ـ: وهذا كثير في الكتاب والسنة؛ يَذُمُّ سبحانه من يضيف إنعامَه إلى غيره، ويُشرِك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيِّبةً، والمَلَّاحُ حاذقًا، ونحوِ ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

قوله: (وقال عون بن عبدالله: يقولون لوْلا فُلانٌ لَمْ يَكُنْ كَذا): عون: [هو][٢] ابن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبدالله الكوفي الزاهد. [روى][٢] عن أبيه، وعائشة، وابن عباس. وعنه: قتادة، وأبو الزبير، والزهري. وثّقه أحمد وابن معين. قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة.

واختار ابنُ جرير القولَ الأول، واختار غيرُه أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها، وهو الصواب.

قوله: (وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: يَذُمّ سبحانَهُ مَنْ يُضيفُ إنعامَه إلى غَيْرِهِ ويُشْرِكُ بِهِ. قال بعضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كانت الريحُ طيبةً، والملَّاحُ حَاذِقًا، ونحو ذلك مِمَّا هو جارٍ على ألسنةِ كثيرٍ. انتهى): وكلام شيخ الإسلام يدل على أنّ حكمَ هذه الآية عام فيمن نَسَبَ النعم إلى غير الله، وأسند أسبابها إلى غيره، كما هو مذكور في كلام المفسرين، المذكور بعضه هنا، وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى.

---

(١) تحت باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

(٢) زيادة من المخطوط.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدّين في القلب.

* * *

٤١ ـ باب قول الله تعالى:
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك؛ أخفى من دبيب النمل

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

النِّدُّ: المثل والنظير، وجعلُ النِّدِّ لله: هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله؛ كحال عبَدَة الأوثان، الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم، ويدفع عنهم، ويشفع لهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قال العماد ابن كثير في «تفسيره»[1]: قال أبو العالية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: عُدَلاء شُرَكاء. وهكذا قال الربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد.

وقال ابن عباس: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تشركوا بالله شيئًا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه ربكم لا يرزقكم غيره، وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم الرسولُ إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه.

---

(١) (١/٥٨ ـ ٥٩).

على صَفَاةٍ سوداءَ في ظُلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي. وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان[1]، هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم[2].

وعن عمر[3] بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ**

وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: تَعْلَمُون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.

قوله: (وعن ابن عباس في الآية: الأندادُ هو الشرْكُ؛ أخفى مِنْ دَبيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفاةٍ سَوْدَاء في ظُلْمَة اللَّيل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، هذا كله به شرك).

وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

قوله: (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**». رواه الترمذي وحسّنه، وصححه الحاكم): يحتمل أن يكون شكًا من الراوي، ويحتمل أن تكون (أو) بمعنى الواو، فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من باب كُفْر دُونَ كُفْر.

---

(١) قال في «تيسير العزيز الحميد» ص(**٣٩٨**): «هكذا ثبت بخط المصنِّف بلا تنوين».

(٢) في «التفسير» (**٢٢٩**). قال في «تيسير العزيز الحميد» ص(**٣٩٧**): «سنده جيّد».

(٣) قال في «تيسير العزيز الحميد» ص(**٣٩٩**): «هكذا وقع في الكتاب، وصوابه: عن ابن عمر؛ كذلك أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، وصححه ابن حبّان، وقال الزين العراقي في «أماليه»: إسناده ثقات».

حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[١]. رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: لأَنْ أَحْلِفَ بِالله كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أحلفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا[٢].

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**». رواه أبو داود[٣] بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي؛ أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويُجَوِّز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا

قوله: (وقال ابن مسعود: لأنْ أحلِفَ بالله كاذِبًا أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا): ومن المعلوم أنَّ الحَلِفَ بالله كاذبًا من الكبائر؛ لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر كما تقدم.

قوله: (وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تَقولوا: ما شاءَ الله وشاء فُلانٌ، ولٰكِنْ قولوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلان**». رواه أبو داود بسند صحيح): وذلك أن العطف بالواو يقتضي المساواة؛ لأنها في وضعها لمطلق الجمع، بخلاف الفاء و(ثم). وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من العبادة شرك، وهذا ونحوه من الشرك الأصغر.

قوله: (وجاء عن إبراهيم النخعي؛ أنه يكره أن يقول: أعوذُ باللّٰهِ وبكَ،

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (**١٥٣٥**)، والحاكم في «المستدرك» (**١٨/١**) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وهو صحيح، وانظر تخريجه في «إرواء الغليل» (**٢٥٦١**).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «المصنَّف» (**١٥٩٢٩**)، والطبراني في «المعجم الكبير» (**٨٩٠٢**).
وإسناده صحيح على شرط الشيخين، كما قال الألباني رحمه الله في «الإرواء» (**٢٥٦٢**).

(٣) في «السنن» (**٤٩٨**). وهو مخرّج في «السلسلة الصحيحة» (**١٣٧**).

تقولوا: لولا الله وفلان[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنَّها تعم الأصغر.

الثالثة: أنَّ الحَلِفَ بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حَلَف بغير الله صادقًا، فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو و(ثم) في اللفظ.

ويجوّز أنْ يقولَ: باللَّهِ ثُمَّ بِكَ. قال: ويقول: لوْلا الله ثُمَّ فُلان، ولا تَقولوا: لولا الله وفُلان): إبراهيم: هو النخعي.

وهذا فيما يقدر عليه الحي الحاضر، بخلاف من ليس كذلك ممن لا يسمع كلامًا، ولا يَرُدّ جوابًا؛ كالأموات والغائبين.

* * *

(١) انظر «المصنف» (١١/٢٧) لعبدالرزاق.

٤٢ ـ باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ**».

رواه ابن ماجه[(١)] بسند حسن.

قوله:

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله**». رواه ابن ماجه بسند حسن.

قوله: «**لا تَحْلِفوا بآبائِكُمْ**»: تقدم أنه لا يجوز الحَلِفُ بغير الله في حق كل أحد.

قوله: «**مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فلْيَصْدُقْ**»: هذا مما أوجبه الله على عباده؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥].

---

(١) في «السنن» (٢١٠١)، وفيه: «**ومَن لم يَرضَ بالله فليس من الله**».
وقال الحافظ البوصيري في «الزوائد»: «رجال إسناده ثقات». وصححه العلّامة الألباني في «الإرواء» (٢٦٩٨).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يَرض.

قوله: «**وَمَنْ حُلِفَ لهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ**»: هذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حَلَف له معتذرًا.

والحديث يدل على الوجوب، ومن حقه عليه أن يحسن به الظن إذا لم يَتَبين كذبُه؛ كما في الأثر عن عمر: ولا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أخيكَ شَرًّا وأنْتَ تَجدُ لَها في الخَيرِ مَحملاً. وهو من حسن الخُلُق، ومكارم الأخلاق، وكمال العقل، وقوة الدين.

❊ ❊ ❊

٤٣ ـ باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قُتَيلة: أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فَأَمَرَهُم النَّبِيُّ ﷺ إذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتَ. رواه النسائي[1] وصححه.

قوله:

بابُ قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة: أن يهوديًا أتى النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت. رواه النسائي وصحّحه.

قوله: (قتيلة) ـ بِمُثَنَّاة مصغَّرة ـ: بنت صيفي الأنصارية، صحابية مهاجرة، لها حديث في «سنن النسائي»، وهو المذكور في الباب، ورواه عنها عبدالله بن يسار الجعفي.

وفيه قبول الحق ممن جاء به، وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة وغيرها، مع أنها بيت الله التي حجُّها وقصدُها بالحج والعمرة فريضة.

وأنت ترى ما وقع مما يُخالف ذلك من الحَلِف بالكعبة ودعائها، وكذا

---

(١) في «السنن» (٦/٧)، وخرّجه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦).

وله أيضًا[(١)] عن ابن عباس: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أَجَعَلْتَني لله ندًّا؟! بَلْ مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ**».

مقام إبراهيم، وقلّ من يسلم من هذا ممن يَحُجُّ من أهل الآفاق وأهل مكة، كما كان يفعل بغيرها. والكعبة عظمها الله بأن جعل حجَّها ركنًا على من استطاع، وشرع العبادة عندها، وخصَّها بالفضل، فالمشروع إنما هو الطواف بها، والصلاة إليها؛ لا الحلف بها ونحوه من الشرك في العبادة، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

قوله: (إنكُم تشرِكونَ، تقولونَ: ما شاءَ الله وَشِئْتَ): والعبد، وإن كانت له مشيئة، فمشيئته تابعة لمشيئة الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]. وفي هذه الآية والحديث الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر؛ الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله من العبد وما شاءه، وقد قال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وفي الحديث: «**أوَّلُ ما خلَقَ الله القَلَمَ، فقالَ لهُ: اكْتُبْ، فَجَرى بما هُو كائنٌ إلى يوْمِ القِيامَةِ**»[(٢)]. وهو في الصحيحين وغيرهما.

قوله: (وله أيضًا عن ابن عباس: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: مَا شَاء الله

---

(١) في «عمل اليوم والليلة» (١٠٨٢٥ ـ الكبرى) بلفظ: «**أجعلتني لله عَدلاً؟! قل: ما شاء الله وحده**».

وأخرجه ابن ماجه (٢١١٧) بلفظ: «**إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت**».

وفي إسنادهما الأجلح بن عبدالله الكِنْدي: قال البوصيري في «الزوائد»: «مختلف فيه؛ ضعّفه الإمام أحمد، وأبو حاتم، والنسائي، وأبو داود، وابن سعد. ووثّقه ابن معين، ويعقوب بن سفيان، والعجلي».

وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «صدوق شيعي».

فالإسناد حسن. وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٩)، والله أعلم.

(٢) أخرجه بنحوه: الإمام أحمد في «المسند» (٥/٣١٧)، وأبو داود في «السنن» (٤٧٠٠)، =

ولابن ماجه[١] عن الطفيل ـ أخي عائشة لأمها ـ قال: رأيت كأني أتيتُ على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عُزَيرٌ ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله

وشِئْتَ، فقال: «**أجَعَلْتَني للّهِ نِدًّا؟! بلْ مَا شَاءَ الله وحْدَهُ**»): هذا يبين ما تقدم من أن هذا شرك، لأن المعطوف بالواو يساوي المعطوف بالمعطوف عليه، لأن الواو وضعت لمطلق الجمع، فلا يجوز أن يُجعَل المخلوق مثل الخالق في شيء من الإلٰهية والربوبية، ولو في أقل شيء؛ كما تقدم في الرجلين اللذين قرَّب أحدهما ذبابًا للصنم فدخل النار.

وفيه: أن النبي ﷺ حَمَى حِمَى التوحيد، وسدّ طرق الشرك في الأقوال والأعمال.

قوله: (ولابن ماجه عن الطفيل ـ أخي عائشة لأمها ـ قال: رأيت كأني أتيت على نفرٍ من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير

= والترمذي في «الجامع» (٢١٥٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢)،؛ من طرق عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، مع اختلاف في الألفاظ.

وهو صحيح بمجموع طرقه، كما في «ظلال الجنة» للألباني ص(٤٨ ـ ٤٩).

وله شاهد من حديث ابن عباس؛ أخرجه ابن أبي عاصم (١٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٩)، وإسناده صحيح. انظر «الصحيحة» (١٣٣).

(١) في «السنن» (٢١١٨)، ولم يذكر لفظه، وإنما قال: «بنحوه» ـ يعني الذي قبله من حديث حذيفة ـ.

وقال البوصيري في«الزوائد»: «رجال الإسناد ثقات على شرط البخاري».

وأخرجه بنحو لفظ المصنّف هنا: الإمام أحمد في «المسند» (٥/٧٢)، وعنده: «. . . **كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها** . .» إلخ.

وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٨).

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في «تيسير العزيز الحميد» ص(٤١٠ ـ ٤١١): «وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء من الإنكار عليهم، بل كان ﷺ يكرهها، ويستحيي أن يذكرها؛ لأنه لم يؤمر بإنكارها، فلما جاء الأمر الإلٰهي بالرؤيا الصالحة أنكرها ولم يستحيي في ذلك».

وشاء محمد. ثم مررتُ بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيت النبيَّ ﷺ فأخبرته، قال: «**هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟**». قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا، أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَان يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ**».

ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفرٍ من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «**هل أخبرت بها أحدًا؟**». قلت: نعم. قال: فحمد اللَّهَ، وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد؛ فإن طفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**»).

قوله: (عن الطفيل): هو الطفيل بن عبدالله بن سخبرة، أخو عائشة لأمها، له حديث عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنِّف رحمه الله تعالى في الباب.

وهذه الرؤيا حق؛ أقرها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها، فنهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله وحده، وقد بلَّغ ﷺ البلاغ المبين، وأنذر عن الشرك، وحذَّر عن قليله وكثيره، فانظر إلى ما وقع من الشرك العظيم في هذه الأمة؛ ينادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو أكثر! ويعتقدون فيه أنه ينفع ويضر، ويسمع ويستجيب من تلك المسافة، وجعلوا الأموات شركاء لله في الملك والتدبير، وعلم الغيب، وغير ذلك من خصائص الربوبية، وتركوا نبيَّهم، وما جاء به، وقاله، وما نهى عنه ﷺ، كأنهم لم يسمعوا كتابًا ولا سُنَّة!

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: **«أجعلتني لله ندًا؟»**، فكيف بمن قال:

...... مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ[1] ....

والبيتين بعده؟!

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: **«يمنعني كذا وكذا»**.

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

وقد بعثه الله بالنهي عن الشرك كما ترى، فما زال يدعو الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، حتى أكمل الله لهم به الدين، وأتم عليهم النعمة. لكن رجعوا من الكمال إلى الضلال، ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك.

وهذه وإن كانت رؤيا منام، فقد أقرها رسول الله ﷺ، وأخبر أنها حق.

❊ ❊ ❊

---

(١) تمام البيت هكذا:

يا أكرمَ الخَلق مَا لي مَن أَلُوذُ به ... سِواكَ عِندَ حُلولِ الحادِث العَمِمِ

وبعده قوله ـ نعوذ بالله من الغُلو ـ:

ولن يضيق رسولَ الله جاهُك بي ... إذا الكريم تحلَّىٰ باسم مُنتَقِمِ

فإنّ مِنْ جُودِكَ الدُّنيا وضرَّتَها ... ومن عُلومك عِلْمُ اللَّوحِ والقَلَمِ

وهي من أبيات قصيدة «البُردة» المسماة «الكواكب الدّرية» لمحمد بن سعيد الصّنهاجي البوصيري المتوفىٰ سنة ٦٩٦هـ

٤٤ ـ باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ . . .﴾ الآية [الجاثية: ٢٤].

في «الصحيح»[١] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ الله تَعَالَىٰ**:

قوله:

باب من سبّ الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ . . .﴾ الآية.

قال العماد ابن كثير في «تفسيره»[٢]: يخبر تعالى عن دهرية الكفار، ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد، وقالوا: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثَمَّ إلا هذه الدار؛ يموت قوم ويعيش آخرون، ولا ثَمَّ معاد ولا قيامة! وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ولهذا قال عنهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾. قال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: يتوهمون ويتخيلون.

قوله: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَال الله تعالى: يُؤْذيني**

---

(١) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) (٤/١٥٣). وكلامه هنا مختصر.

يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وفي رواية(١): «لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ». وفي رواية: «**لا تَسُبُّوا الدهرَ، فإن الله هو الدَّهرُ**»): قال في «شرح السنة»(٢): حديث متفق على صحته؛ أخرجاه من طريق معمر من أوجه، عن أبي هريرة.

قال: ومعناه: أن العرب كانت من شأنها ذمّ الدهر، وسبّه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارعُ الدهر، وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سَبُّوا فاعلها، فكان مرجع سَبِّها إلى الله عز وجل؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فَنُهُوا عن سَبِّ الدهر. انتهى باختصار.

ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثير في أشعار المُوَلَّدين؛ كابن المُعْتَزّ، والمتنبي، وغيرهما، وليس منه وَصْفُ السنين بالشدة؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ...﴾ الآية [يوسف: ٤٨].

قال بعض الشعراء:

إن الليالي من الزمان مَهُولَةٌ ... تُطْوَى وَتُنْشَرُ بَيْنَها الأعمارُ
فقِصَارُهُنَّ مع الهموم طويلةٌ ... وطِوالُهُنَّ مع السرور قِصَارُ

وقال أبو تمام:

أعوامُ وصلٍ كاد يُنسِي طِيبَها ... ذكرُ النوى فكأنَّها أيامُ
ثم انْبَرَت أيامُ هجرٍ أعقبت ... نَحْوي أسًى فكأنها أعوامُ
ثم انقضت تلك السُّنُونُ وأهلُها ... فكأنَّها وكأنهم أحلامُ

---

(١) هي في مسلم (٢٢٤٦/٥).
(٢) «شرح السنة» (٣٥٧/١٢) للبغوي.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذًى لله.

الثالثة: التأمل في قوله: «**فإن الله هو الدهر**».

الرابعة: أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصد بقلبه.

❊ ❊ ❊

٤٥ ـ باب التسمِّي بقاضي القضاة ونحوِه

في «الصحيح»(١) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَالِكَ إلاَّ الله»**. قال سفيان: مثل شَاهَانْ شَاهْ.

قوله:

باب التسمِّي بقاضي القضاة ونحوه

في «الصحيح» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عندَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ؛ لا مَالِكَ إلاَّ الله»**: لأن هذا اللفظ إنما يَصْدُق على الله تعالى، فهو ملك الأملاك؛ لأنه هو الملك في الحقيقة، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته؛ كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ...﴾ الآية [آل عمران: ٢٦].

فلا ينبغي أن يُعظَّم المخلوق بما يشبه ما يُعَظَّم به الخالق جل وعلا، وما كان مثل ذلك فينهى عنه، كالذي ترجم به المصنف؛ لأنه لا يَصْدُق هذا المعنى إلا على الله، فلا يصلح أن يسمى به المخلوق، لأن كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له تعالى وتقدس، دون غيره.

---

(١) البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

وفي رواية[١]: «**أغيظُ رَجُلٍ على الله يوم القيامة وأخبثُه**».

قوله: «**أخنع**» يعني: أوضع.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمِّي بمَلِكِ الأملاك.

الثانية: أنَّ ما في معناه مثلُه، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.

قوله: (قال سفيان: مثل شَاهَان شاه)؛ عند العجم عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مَثَّل به سفيان.

قوله: (وفي رواية: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ**»): أغيظ: من الغيظ، وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بَغيضًا إلى الله مغضوبًا عليه. وهذا من الصفات التي تُمَرُّ كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل، والله أعلم.

قوله: «**وأَخْبَثُهُ**»: وهو يَدُلُّ أيضًا على أن هذا خبيثٌ عند الله إذا رضي بذلك؛ لتعظيم الناس له بما لا يستحقّه، وعدم إنكاره وكراهته لذلك.

قوله: («**أخنع**» يعني: أوضع): وهذا المذكور يُنافي كمالَ التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فيكون فيه شائبةٌ من الشرك، وإن لم يكن أكبرَ.

* * *

---

(١) عند مسلم (٢١/٢١٤٣).

٤٦ ـ باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح: أنه كان يُكنى أبا الحكَم، فقال له النبي ﷺ: «**إنَّ الله هُوَ الحَكَمُ، وَإلَيْهِ الحُكْمُ**». فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتَوْنِي،

قوله:

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم، وإليه الحكم**». فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «**ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟**». قلت: شريح، ومسلم، وعبدالله. قال: «**فمن أكبرهم؟**». قال: شريح. قال: «**فأنت أبو شريح**».

قوله: (عن أبي شريح): هو أبو شريح الخزاعي، اسمه: خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثًا؛ واتفقا على حديثين، وانفرد البخاري بحديث. و[روى][1] عنه: أبو سعيد المَقْبُري، ونافع بن جبير، وطائفة. قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين.

---

(١) زيادة من المخطوط.

فحكَمتُ بينهم، فرضِيَ كلا الفريقين. فقال: «**مَا أَحْسَنَ هٰذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟**». قلتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وعَبْدُالله. قال: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**». قلتُ: شُرَيْحٌ. قال: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**». رواه أبو داود وغيره[(١)].

قوله: (يُكْنى): الكنية: ما صُدِّر بأب أو أم ونحو ذلك؛ كأبي محمد، واللقب: ما ليس كذلك؛ كزين العابدين.

وقوله: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وإليه الحُكْمُ**» أي: هو سبحانه الحَكَم في الدنيا والآخرة؛ يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وما من قَضيّة إلا وله فيها حكم مما أنزله على نبيه من الكتاب والحكمة، لكن قد يخفى على المجتهد، فإن المجتهدِين وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحدًا، فمن رزقه الله قُوّة الفهم، وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء: أدرك ما هو الصواب من ذلك.

وقوله: «**وإليه الحُكم**»: في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٠]، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ . . .﴾ الآية [النساء: ٥٩].

فالحكم إلى الله: هو الحكم إلى كتابه، والحكم إلى رسوله: هو الحكم إليه في حياته، وإلى سُنته بعد وفاته.

قوله: (إنَّ قوْمي إذا اخْتَلفوا في شيءٍ أَتَوْني، فحَكَمْتُ بيْنَهُمْ، فرَضِيَ كِلا الفَريقَينِ): والمعنى ـ والله أعلم ـ: أن أبا شريح كان مَرْضِيًّا عندهم، يتحرى ما يُصلحهم إذا اختلفوا، فيرضون صُلْحَه، فسموه حَكَمًا.

وأمّا ما يَحكُم به الجهلةُ من الأعراب ونحوهم بسوالف آبائهم وأهوائهم: فليس من هذا الباب؛ لما فيه من النهي الشديد، والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٩٥٥)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٨/٢٢٦ ـ ٢٢٧). وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود».

فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وهذا كثير؛ فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سَلَفه، ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقرَّ وغَلَب على من تَصَدَّى لذلك ممن يَرجِعُ الناس إليه إذا اختلفوا.

قوله ﷺ: «**فما لكَ مِنَ الوَلدِ؟**». قال: شُرَيحٌ، وَمُسْلِمٌ، وعبدُالله. قالَ: «**فمَن أكبرُهُمْ؟**». قلتُ: شُرَيحٌ. قال: «**فأنْتَ أبو شُرَيح**»: فكنّاه بالكبير، وهو السُنَّة، وغيّر كنيته بأبي الحكم؛ لأن الله هو الحَكَم على الإطلاق، ومنه تسمية الأئمّة بالحُكّام، فينبغي تركُ ذلك والنهي عنه؛ لهذا الحديث، وهذا قد حَدَث في الناس قريبًا.

❊ ❊ ❊

٤٧ ـ باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)﴾ [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة ـ دخل

قوله:

باب من هَزَلَ بشيءٍ فيه ذِكْرُ اللَّهِ أو القرآن أو الرَّسول

أي: فقد كفر.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في «تفسيره»(١): قال أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القُرَظِي وغيره، قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قُرَّاءَنا هٰؤلاءِ إلاّ أرْغَبَنا بُطونًا، وأكْذَبَنا ألْسِنةً، وأجْبَنَنا عِنْدَ اللِّقاءِ! فرُفِع ذلك إلى رسول الله ﷺ ـ وقد ارتحل وركب ناقته ـ، فقال: يا رسول الله! ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مُجْرِمِينَ﴾، وإنّ رِجليْهِ ليَنْسِفانِ الحجارَةَ، وما يلتفت إليه

(١) (٣٦٨/٢).

حديث بعضهم في بعض ـ: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء؛ أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألْسُنًا، ولا أجبنَ عند اللقاء! ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء ـ. فقال له عَوْفُ بن مالك: كذبتَ! ولكنكَ منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سَبَقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ ـ وقد ارتحل وركب ناقته ـ، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب؛ نقطع به عناء الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بِنِسْعَةِ ناقَةِ رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تَنَكبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا

رسول الله ﷺ، وهو متعلق بِنِسْعَةِ ناقةِ رسول الله ﷺ[(١)].

قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ أي: لا يُعفىٰ عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم، بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهى.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[(٢)]: وقد أمره الله أن يقول: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وقول من يقول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم، مع كفرهم أوّلاً بقلوبهم: لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد: إنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان؛ فهم لم يُظهروا للناس إلا لخواصّهم، وهم مع خواصّهم ما زالوا كذلك، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين. اهـ.

وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها، أو عمل يعمل به،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣١٥٤)، وفي إسناده أبو معشر المدني، وهو ضعيف كما في «التقريب».

(٢) في «كتاب الإيمان» (٢٧٢/٧ ـ مجموع الفتاوى).

نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥]، ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه(١).

فيه مسائل:

الأولى - وهي العظيمة -: أن من هزل بهذا فهو كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يُحبّه الله وبين الغِلْظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل.

وأشدها خطرًا إرادات القلوب؛ فهي كالبحر الذي لا ساحل له، ومن هذا الباب: الاستهزاء بالعلم وأهله، وعدم احترامهم لأجله.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر «تفسير ابن جرير» (١٣١٥٠، ١٣١٥١، ١٣١٥٣، ١٣١٥٤).
وأخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/١٨٢٩ - ١٨٣٠) من رواية ابن عمر، وإسناده حسن.
وعزاه السيوطي في «الدرّ المنثور» (٢/٤٥٥ - ٤٥٦) لأبي الشيخ، وابن مردويه.

٤٨ ـ باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ الآية [فصلت: ٥٠]

قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به.

وقال ابن عباس: يريد: مِن عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

قوله:

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي...﴾ الآية

ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية ما يكفي ويشفي في المعنى، قال: (قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد: مِن عندي).

وقوله: (﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِيٓ﴾. قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف): وليس ما ذكروه اختلافًا، وإنما هو أفراد المعنى.

قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ.** قَالَ: **فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ** - أَوِ **البَقَرُ**؛ شَكَّ إِسْحَاقُ -. **فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.**

قَالَ: **فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ.** قَالَ: **فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ** - أَوِ **الإِبِلُ** -، **فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا. فقال: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.**

قَالَ: **فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ عَلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ.** قَالَ: **فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ**

قوله: (وعن أبي هريرة؛ أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمى، فأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا..**») الحديث.

وهذا حديث عظيم؛ يبين حَالَ من كفر النِّعَم، وحالَ مَن شَكَرها.

قال ابن القيم: أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المُنعِم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلًا بها لم يشكرها. ومن عرفها ولم يعرف المُنعِم بها لم يشكرها أيضًا. ومن عَرَف النعمة والمُنعِم لكن جحدها، كما يجحد المُنكِرُ لنعمة المنعِم [عليه بها][1] فقد

---

(١) زيادة من المخطوط.

المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَـٰذَانِ وَوَلَّدَ هَـٰذَا، فَكَانَ لِهَـٰذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَـٰذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَـٰذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ! فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ الله عز وجل المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَـٰذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ الله إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قَالَ: وأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَـٰذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَـٰذَا، فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ الله إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قال: فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ الله إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ! فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ الله عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ». أخرجاه[1].

كفرها. ومن عرف النعمة والمنعم، وأقرَّ بها، ولم يجحدها، ولكن لم يخضعْ له، ويُحبَّه، ويرضَى به وعنه؛ لم يشكرها أيضًا. ومن عرفها وعرف المنعم بها، وأقرَّ بها، وخضع للمنعم بها، وأحبَّه، ورضِيَ عنه، واستعملها في محابه وطاعته: فهذا هو الشاكر لها.

فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم؛ وهو الميل إلى المنعِم، ومحبته، والخضوع له. انتهى.

قوله: «**قذرني النَّاسُ به**» أي: بكراهة رؤيته، وقربه منهم.

---

(١) أي: البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾.

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

❊ ❊ ❊

٤٩ ـ باب قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠]

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم مُعَبَّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبدالمطلب.

قوله:

باب قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في معنى هذه الآية: حدثنا عبدالصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، عن النبي ﷺ قال: «**لمَا وَلدَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِها إِبْلِيسُ، وَكانَ لا يَعيشُ لها وَلدٌ، فقالَ: سَمِّيه عَبْدَالحَارِثِ فإِنَّهُ يَعيشُ. فَسَمَّتْهُ عَبْدَالحَارِثِ فعاشَ، فكانَ ذٰلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيطانِ وَأَمْرِهِ**»[١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١١/٥)، والترمذي في «الجامع» (٣٠٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٥٤٥/٢)، وابن جرير في «تفسيره» (١٢٠٤٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٦٣٧).

وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشَّاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لَتُطيعانِّني أو لأجعلنَّ له قرني أيّل، فيخرج من بطنك فيشقّه، ولأفعلنّ ولأفعلن ـ يخوفهما ـ، سَمِّياه عبدالحارث! فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، وأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما،

وقال ابن جرير[1]: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ قال: كان هذا في بعض الملل، ولم يكن بآدم.

وعن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادًا، فتُعَبِّدهم لله وتسميه: عبدالله، وعبيدالله، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليسُ وآدمَ، فقال: أما إنكما لو تسمّيانه بغير الذي تسمِّيانه به لعاش. فولدت رجلًا، فسمياه عبدالحارث، ففيه أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ...﴾ إلى آخر الآية[2].

= وأورده الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢/٢٧٥)، ثم ذكر أنه معلول من ثلاثة أوجه:
الأول: كونه من رواية عمر بن إبراهيم. اختُلف في توثيقه وتضعيفه.
الثاني: وروده من قول سمرة نفسه عند ابن جرير (١٢٠٤٤).
الثالث: تفسير الحسن للآية بغير هذا، ولو كان هذا عنده عن سمُرة مرفوعًا لما عدل عنه.
وانظر «الضعيفة» (٣٤٢).

(١) في «تفسيره» (١٢٠٥٤). قال الحافظ ابن كثير (٢/٢٧٦): «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه: أنه فسّر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حُملت عليه الآية».

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٢٠٤٥). قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢/٢٧٦): «وكأن أصله مأخوذ من أهل الكتاب». قال: «وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا؛ وأنّه ليس المراد من هذا السياق آدم وحوّاء، وإنّما المراد من ذلك المشركون من ذريته». اهـ مختصرًا.

فأدركهما حُبُّ الولد، فسمَّياه عبدَالحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾. رواه ابن أبي حاتم[(١)].

وله[(٢)] بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله[(٣)] بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا.

وذُكِرَ معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما.

قوله: (قال ابن حزم): هو عالِمُ الأندلس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، القرطبي الظاهري، صاحب التصانيف. توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة، وله اثنتان وسبعون سنة.

[قوله:][(٤)] (اتفقوا على تحريم كلِّ اسم مُعَبَّدٍ لغيرِ اللَّهِ؛ كعبدِ عَمرو، وعبدِ الكعبةِ، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبدَالمُطَّلِب): وعبدالمطلب هذا جد رسول الله ﷺ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

حكى رحمه الله اتفاقَ العلماء على تحريم كل ما عُبِّد لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية والإلٰهية، لأن الخلقَ كلَّهم مُلْكٌ لله وعبيد له؛ استعبدهم بعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلٰهيته، فمنهم من عَبَد الله وحده في ربوبيته وإلٰهيته، ومنهم من أشرك به في إلٰهيته، وأقرّ له بربوبيته وأسمائه

---

(١) في «التفسير» (١٦٣٤/٥).

(٢) أي: لابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٣٤/٥).

(٣) (١٦٣٣/٥).

(٤) زيادة من المخطوط.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أنَّ هذا الشرك في مُجرَّدِ تسميةٍ لم تُقْصَد حقيقتُها.

وصفاته. وأحكامُه القدرية جاريةٌ عليهم ولا بدّ، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

فهذه هي العبودية العامة، وأما العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، ونحوها.

قوله: (حَاشَا عَبْدَالمطَّلِبِ): هذا استثناء من العموم؛ لأنه ليس المقصود منه عبودية الرِّقّ، وإنما هو اسم عَلِق به لَمَّا أتى به عمُّه المُطّلب من عند أخواله بني النجار من المدينة وهو صبي، فرأته قريشٌ حين جاء به، وقد تَغيَّر لونُه من السفر، فقالوا: عبدُ المطلب، ثم تبين لهم أنه ابن أخيه هاشم، فصارت العبودية في هذا الاسم لا حقيقة لها ولا قصد، لكن غَلَب عليه فصار لا يسمى إلا به، وإلاَّ فاسمُه في الأصل: شَيْبَة.

وقد صار عبدُالمطلب مُعظَّمًا في قريش والعرب، فهو سيّد قريش وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حَفَر زمزم، وما جرى له في حفرها مذكور في السير وكتب الحديث، وصارت السقاية له وفي ذريته.

قال شيخنا[١] في معنى قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾: إنَّ هذا الشرك بمجرّد تسميته؛ لم يقصدا حقيقته التي أرادها إبليس منهما.

وهذا يُزيل الإشكال، وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

---

(١) في المسألة الثالثة من هذا الباب.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذِكرُ السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

* * *

٥٠ ـ باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ...﴾ الآية [الأعراف: ١٨٠]

....

قوله:

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ...﴾ الآية

أراد رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الردَّ على من يتوسل بذوات الأموات، وأن المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات، والأعمال الصالحة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن للَّهِ تسْعَةَ وتِسْعين اسْمًا، مَنْ أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وتر يُحِبُّ الوتْر**». أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان[1].

وأخرجه الترمذي في «جامعه» عن الجُوزَجاني[2]، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شعيب، بسنده مثله، وزاد بعد قوله: «**يحب**

---

(١) البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)؛ كلاهما من حديث سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه.

(٢) وقع في بعض الطبعات والمخطوط: «وأخرجه الجرجاني»، والصواب ما أثبتناه؛ لما يأتي: ثم قال الترمذي... إلخ.

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: يشركون.

الوتر»: «هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمٰن، الرحيم، الملِك، القُدُوس، السَّلام، المؤمِن، المهيمن، العزيز، الجبَّار، المتكبر، الخالق، البارئُ، المصوِّر، الغفَّار، القهَّار، الوهاب، الرزّاق، الفتَّاح، العليم، القابض الباسط، الخافض الرافع، المعزّ المذلّ، السميع، البصير، الحكَم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العليّ، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الوليّ، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحيّ، القيوم، الواحد، الأحد، الماجد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدِّم، المؤخِّر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البَرّ، التوّاب، المنتقم، العفوُّ، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي المانع، الضار النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[١].

ثم قال الترمذي: ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

والذي عند بعض الحفّاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مُدرَج، هذا ما ذكره العماد ابن كثير في «تفسيره»[٢]، ثم قال: ليعلم أن الأسماء ليست منحصرة في تسعة وتسعين، بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون، عن

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٥٠٧)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٦١) بنحوه.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/٣٧٩): «وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسَّرًا في بعض طرق حديثه».

(٢) انظر (٢/٢٧٠).

. . . .

فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبدالرحمٰن، عن أبيه، عن عبدالله بن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أصابَ أحَدًا قطُّ هَمٌّ ولا حَزَنٌ، فقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ وابنُ عبدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتي بيَدِكَ، مَاضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بكلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أن تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظيمَ رَبيعَ قَلْبي، وَنورَ صَدْري، وَذَهابَ حُزْني، وَجَلاءَ هَمِّي وَغَمِّي: إِلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكانَهُ فَرَحًا**». فقيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ! ألا نَتَعَلَّمها؟ فَقالَ: «**بَلى؛ يَنْبَغي لِمَنْ سَمِعَها أَنْ يَتَعَلَّمَها**». وقد أخرجه أبو حاتم بن حبان في «صحيحه»(١).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قال: يُشرِكون(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٩١/١)، وابن حبان في «الصحيح» (٩٧٢ - الإحسان)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٢٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٥٠٩/١)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، إن سَلِم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه، فإنه مختلَف في سماعه من أبيه».
وتعقّبه الذهبي في «التلخيص» بقوله:
«قلت: وأبو سلمة لا يُدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستّة».
ونفىٰ الألباني العلّتين عن الإسناد في «الصحيحة» (١٩٩).
أمّا علّة الجهالة؛ فإنه جزم بأن أبا سلمة هذا هو موسى بن عبدالله الجهني، ثقة من رجال مسلم.
وأمّا علّة الانقطاع التي أشار إليها الحاكم؛ فقال:
«قلت: هو سالم منه؛ فقد ثبت سماعه منه بشهادة جماعة من الأئمة؛ منهم: سفيان الثوري، وشريك القاضي، وابن معين، والبخاري، وأبو حاتم».
ونقل في آخر بحثه تصحيحه عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١٩٩٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٢٣/٥).

. . . .

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب(١).

قلت: والشرك تكذيبٌ من المشرِكين لما أنزله الله في كتابه، وبعث به رسوله، كما جرى من قريش وغيرهم مع النبي ﷺ وأصحابه، وكما جرى من المشركين من هذه الأمة، فلم يأخذوا بالآيات المحكمات في تحريم الشرك وَالنَّهْي عنه، بل كذَّبوا بالصِّدق، واعتمدوا على الكذب على الله، وعلى كتابه ورسوله.

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والميل. قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وحقيقةُ الإلحادِ فيها الميلُ بالـ ـإشراكِ والتعطيل والنُّكران

وأسماء الرب تعالى كلها أسماءٌ وأوصاف دلت على كماله جل وعلا، والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبةً ـ مُتقدِّمهُم ومتأخِّرهم ـ: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وأن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، يحتذي حَذْوَه، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتًا حقيقة لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله صفات حقيقة لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه: فهو جَهْمِي قد اتبع غير سبيل المؤمنين.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: **فائدة جليلة**: ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تعالى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات؛ كقولك: ذات، وموجود.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية؛ كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله؛ كالخالق، والرازق.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١١٩٩١)، وابن أبي حاتم (٥/١٦٢٣).

. . . .

الرابع: التنزيه المحض، ولا بد من تَضَمُّنِه ثبوتًا، إذ لا كمال في العدم المحض؛ كالقدوس السلام.

الخامس - ولم يذكره أكثر الناس -: وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا يختص بصفة معينة، بل دال على معانٍ، نحو: المجيد، العظيم، الصمد. فإن المجيد: من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا، فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه: استمجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ، وأمجد الناقة: علفها. ومنه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥]: صفة للعرش؛ لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله، كما علمنا ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد، والتعرّض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه؛ كما تقول: اغفر لي، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم. فهو راجع إلى التوسل [إليه][(١)] بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبِّها إليه، ومنه الحديث الذي في «المسند» والترمذي: «**أَلِظُّوا بيا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرام**»[(٢)]. ومنه: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمدُ، لا إلَهَ إلاَّ أنتَ المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ**»[(٣)]. فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده، وأنه لا إله إلا هو المنَّانُ،

---

(١) زيادة من المخطوط.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٤) عن أنس رضي الله عنه وضعَّفه. وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٧/٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤٩٨/١ - ٤٩٩) من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٦).

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٤٩٥)، والنسائي في «المجتبى» (٥٢/٣)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٥٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

وعنه: سموا اللَّات من الإله، والعُزَّى من العزيز[١].

وعن الأعمش: يُدخِلون فيها ما ليس منها[٢].

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حُسنىٰ.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض مِنَ الجاهلين المُلحِدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، فما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعًا عند المسؤول. وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما؛ نحو: الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامة الصفات المقترنة، والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله كمال من غنائه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما. وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم. فتأمله، فإنه من أشرف المعارف[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر «الدرّ المنثور» (٢/٢٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/١٦٢٣) عن الأعمش قال: (يَلْحَدون) ـ بنصب الياء والحاء ـ من اللحد. ثم فسّرها كما ذكره المصنف.

(٣) راجع: «بدائع الفوائد» (١/١٣٢).

٥١ ـ باب لا يقال: السلام على الله

في «الصحيح» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: **«لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللَّهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»**.

قوله:

باب لا يقال: السلام على الله

في «الصحيح» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا إذَا كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في الصَّلاةِ قُلْنا: السَّلامُ عَلى اللَّهِ مِنْ عبادِهِ، السلام على فلان، فقال النبي ﷺ: **«لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام»**.

هذا الحديث رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وغيرهم عن ابن مسعود[١].

وفي هذا الحديث النهي عن ذلك، وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثًا، وقال: **«اللهُمَّ أنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تبارَكْتَ يا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرامِ»**[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)، وأبو داود (٩٦٨)، والنسائي (١١٦٩)، وابن ماجه (٨٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٥٩١) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

. . . .

وفي الحديث أن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى(١).

قوله: «**فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ**» أي: هو تعالى سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص.

قال في «البدائع»: السلام اسم مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء، يتضمن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تُناقِض الجهة الإنشائية، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية.

وفيه قولان مشهوران:

الأول: أن السلام هنا هو الله عز وجل، ومعنى الكلام: نزلت بركته عليكم، ونحو هذا. فاختار في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدر بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية. ومن حجة أصحاب هذا القول: أنه يأتي منكَّرًا فيقول المسلِّم: سلام عليكم، ولو كان اسمًا من أسماء الله تعالى لم يُستَعمل كذلك. ومن حجتهم: أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى، وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبرًا أو دعاءً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وفصل الخطاب أن يقال: الحق في مجموع القولين؛ فكلٌّ منهما معه بعض الحق، والصواب في مجموعهما، وإنما

---

(١) لعله يُشير إلى ما سبق تحت (باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا) من قول وهب بن منبّه في وصف ما لأهل الجنة فيها، وفيه: «فيأتون إلى الرحمن الرحيم... فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وحَقَّ لك الجلالُ والإكرامُ. قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: أنا السلام، ومنّي السلام، وعليكم حقت رحمتي ومحبّتي..».
وأورده العلاّمة ابن القيم في «حادي الأرواح» ص(٣٠٩ ـ ٣١١) من رواية ابن أبي الدنيا وأبي نعيم عن محمد بن علي بن الحسين مرفوعًا بنحوه، ثم قال: «ولا يصحّ رفعه إلى النبيّ ﷺ، وحسبُه أن يكون من كلام محمد بن علي، فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء، فجعله من كلام النبيّ ﷺ».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

يتبين ذلك بقاعدة؛ وهي: أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يتوسل في كل مطلب ويسأل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله؛ حتى إنَّ الداعي متشفع إلى الله تعالى، متوسل به إليه، فإذا قال: رب اغفر لي وتب عليّ إنك التواب الغفور، فقد سأله أمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مقتضيين لحصول مطلوبه.

فالمقامُ لما كان مقامَ طلب السلامة ـ التي هي أهم عند الرجل ـ أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله، وهو السلام الذي تطلب منه السلامة، وهو مقصود المسلم، فقد تضمن (سلامٌ عليكم) اسمًا من أسماء الله تعالى، وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة.

وحقيقته: البراءةُ والخلاصُ والنجاةُ من الشر والعيوب، وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذلك قولك: سلمك الله، ومنه: دعاء المؤمنين على الصراط: اللهم سَلِّم سَلِّم. ومنه: سَلِم الشيء لفلان، أي: خَلُص له وحده؛ كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] أي: خالصًا له وحده، لا يملكه معه غيره. ومنه: السِّلْم ضد الحرب؛ لأن كل واحد من المتحاربين يَخلُص ويَسْلَم من أذى الآخر، ولهذا بُنِيَ فيه على المفاعلة، فيقال: المسالمة، مثل المشاركة.

ومنه: القلب السليم، وهو النقي من الدغَل والعيب، وحقيقته: الذي قد سَلِم لله وحده، فخلص من دغَل الشرك وغِلِّه، ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته. وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه، والفوز بكرامته.

ومنه أُخذ الإسلام، فإنه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلام والانقياد له، والتخلص من شوائب الشرك؛ فسلم لربه وخلص له، كالعبد الذي سَلِم لمولاه، ليس له فيه شركاء متشاكسون. ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه، وللمشرك به.

الثانية: أنه تحيّة.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

❊ ❊ ❊

٥٢ ـ باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في «الصحيح»[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِم المَسْأَلَةَ، فَإِنَّ الله لَا مُكْرِهَ لَهُ».

ولمسلم[٢]: «ولِيُعْظِم الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ الله لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

قوله:

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

قوله: («**لا يَقُلْ أحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لي إن شِئْتَ، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له**»): بخلاف العبد، فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره. فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول مسألته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين؛ فإنه يعطي عبده ما أراده بفضله وكرمه وإحسانه.

فالأدب مع الله: أن لا يعلّق مسألته لربه بشيء؛ لسعة فضله وإحسانه، وجوده وكرمه.

---

(١) أي: البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) برقم (٨/٢٦٧٩).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «**ليعزم المسألة**».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

وفي الحديث: «**لِيَعْزِم المسْأَلَة**»، وفي الحديث: «**يَمينُ اللَّهِ مَلأَى، لا يَغيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ**...»[1] الحديث.

قوله: (ولمسلم: «**وَلْيُعْظِم الرَّغْبَةَ**») أي: في سُؤالِهِ رَبَّهُ حَاجَتَهُ، فإنَّهُ يُعْطي العَظائِمَ كَرَمًا وَجودًا وَإِحْسانًا. «**فإنَّ الله لا يَتَعاظَمُهُ شيءٌ أعْطاهُ**» أي: ليس ما أعطاه عبدَه مما سأله بعظيم عنده؛ لكمال فضله وجوده. وقد قال بعض الشعراء[2] في مخلوق يمدحه:

وتَعظُمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها ... وتَصغُرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

والله تعالى أحق بكل مدحة وثناء.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو المتنبّي.

٥٣ - باب لا يقول: عبدي وأمتي

في «الصحيح»[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي، وَمَوْلَاي. وَلَا يَقُلْ أحدُكُم: عَبْدِي، وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ، وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي»**.

باب لا يقول: عبدي وأمتي

في «الصحيح» عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«لَا يَقُلْ أحَدُكُمْ: أطْعِمْ رَبَّكَ، وضِّئْ ربَّك، وليقل: سيدي، ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي، وفتاتي، وغلامي»**.

هذه الألفاظ المنهي عنها، وإن كانت تطلق لغة، فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقًا للتوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأن الله هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلِق على غيره ما يُطلَق عليه تعالى وقع الشبه في اللفظ. فينبغي أن يجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذا اللفظ، وهو قوله: **«سَيِّدي، وَمَوْلايَ»**.

وكذلك قوله: «ولاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدي، وَأَمَتي»؛ لأن العبيدَ عبيدُ الله،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: عبدي، وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي، وفتاتي، وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي، ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

والإماء إماءُ الله؛ قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾ الآية [مريم: ٩٣].

❊ ❊ ❊

٥٤ ـ باب لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ باللَّهِ

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا**

باب لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ باللَّهِ

ظاهر الحديث: النهي عن رد السائل إذا سأل بالله، ويحتمل أن يكون المراد فيما لا مشقة فيه على المسؤول ولا ضرر، فيكون من باب مكارم الأخلاق، ومعالي الشِّيَم، وربما كان السائل محتاجًا أو مضطرًا، فيجب أن يُعطَى ما سأله، ويأثم المسؤول في منعه، فيؤخَذ من ماله أضعافُ ما منع على وجهٍ يكرهه.

فباعتبار هذه الأمور ينبغي لمن أعطاه الله نعمة أن يؤديَ حق الله تعالى فيها، ويعطيَ من سأله من فُضول نعمة الله عليه، خصوصًا إذا سأل بالله تعالى، فيكون إعطاؤه تعظيمًا لمن سأل به؛ وهو الله تعالى.

قوله: (عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»**. رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح).

قوله: **«مَنِ اسْتَعاذَ بِاللَّهِ فَأعيذوهُ»**: تعظيمًا لله تعالى، وتقربًا إليه بذلك.

قوله: **«وَمَنْ دَعاكُمْ فَأجيبوهُ»**: هذا من حقوق المسلم على المسلم، ومن أسباب الألفة، وسلامة الصدر، وإكرام الداعي.

فَكَافِئوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئوهُ(١) **فَادعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»**. رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح(٢).

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: **«حتى تروا أنكم قد كافأتموه»**.

قوله: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْروفًا فَكافِئوهُ» أي: ينبغي المكافأة على المعروف، وهو من مكارم الأخلاق. وفيه: السلامة من البخل، وما يذم به.

قوله: «فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له»: فيه أن الدعاء يقوم مقام المكافأة في حق من لم يجد ما يكافئ به.

قوله: «حَتَّى تُرَوا»: بضم التاء، أي: تظنوا، وفي رواية أبي نهيك عن ابن عباس: **«مَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ فَأَعْطوهُ»**(٣).

---

(١) قال في «تيسير العزيز الحميد» ص(٤٤٦): «هكذا ثبت بحذف النون في خطّ المصنّف، وهكذا هو في غيره من أصول الحديث. قال الطيبي: سقطت من غير ناصب ولا جازم؛ إما تخفيفًا، أو سهوًا من الناسخ». اهـ.
وقال أبو الطيب العظيم آبادي في «عون المعبود» (٥/٨٩ ـ ٩٠): «والمعتمد الأول ـ يعني: تخفيفًا ـ؛ لأن الحديث على الحفظ معوّل». اهـ. والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٦٧٢)، والنسائي في «المجتبى» (٥/٨٢). وهو حديث صحيح. انظر تخريجه في «الإرواء» (١٦١٧) للعلاّمة الألباني.

(٣) أخرجها الإمام أحمد (١/٢٥٠)، وأبو داود (٥١٠٨). وجوّد إسنادها الألباني في «الصحيحة» (٢٥٣).

٥٥ ـ باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الجَنَّة**». رواه أبو داود[(١)].

قوله:

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

ذكر فيه حديث جابر؛ رواه أبو داود؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُسْأل بِوَجهِ اللَّهِ إلّا الجَنَّة**».

وهنا سؤال؛ وهو: أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف حين كذبته ثقيف، دعا بالدعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ أشكُو إليكَ ضَعْفَ قُوَّتي، وَقِلَّةَ حِيلَتي، وَهَوَاني على النَّاسِ، أَنتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفينَ، وَأَنتَ رَبِّي، إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بَعيدٍ يَتَجَهَّمُني، أَوْ إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْري. إنْ لَمْ يَكُنْ بكَ غَضَبٌ عَليَّ فلا أُبالي، غيرَ أَنَّ عافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لي. أَعوذُ بِنورِ وَجهِكَ الّذي أَشْرَقَتْ لهُ الظُّلُماتُ، وَصَلَحَ عَليهِ أَمْرُ الدُّنيا وَالآخِرَةِ أَنْ يَحِلَّ عَليَّ غَضَبُكَ، أَوْ يَنْزِلَ بي سَخَطُكَ. لَكَ العُتْبىٰ حَتّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ بك**»[(٢)]،

---

(١) في «السنن» (١٦٧١). وإسناده ضعيف؛ فيه سليمان بن قَرْم بن معاذ، قال الحافظ في «التقريب»: «سيئ الحفظ يتشيّع».
وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٦٣٥١).

(٢) أخرجه الطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٦/٣٥) ـ من حديث عبدالله بن جعفر. =

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

والحديث المروي في الأذكار: «**اللهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ**»، وفي آخره: «**أعُوذُ بِنورِ وَجْهِكَ الذي أشْرقَتْ لهُ السَّمٰواتُ والأرْضُ**»(١)، ونحوه في الأحاديث المرفوعة. فيحتمل أن هذا فيما يكرهه العبد لا فيما يحبه ويتمناه، ويحتمل غير هذا، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

= وقال الهيثمي: «وفيه ابن إسحاق، وهو مدلّس ثقة، وبقية رجاله ثقات». وضعفه الألباني في تعليقه على «فقه السيرة» ص(١٣٢).

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٠٢٧) من حديث أبي أمامة الباهلي. وفي إسناده فضال بن جبير؛ قال الهيثمي في «المجمع» (١١٧/١٠): «ضعيف، مجمع على ضعفه».

٥٦ ـ باب ما جاء في اللَّوِّ

وقـول الله تـعـالـى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

باب في ما جاء في اللَّوِّ

أي: من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة؛ كالمصائب إذا جرى بها القدر، ونحوها.

قـولـه: (وقـول الله تـعـالـى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾): قاله بعض المنافقين يوم أحد؛ لخوفهم وجَزَعهم وخَورِهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، عن عبدالله بن الزبير، قال: قال الزبير: لقَدْ رَأَيْتني مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْنا الخَوْفُ أَرْسَلَ الله عَلَيْنا النَّومَ، فما مِنَّا رَجُلٌ إلاّ ذقنُهُ في صَدْرِهِ. قال: فَوَاللَّهِ إنّي لأسمعُ قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هاهنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾؛ لقول معتب. رواه ابن أبي حاتم(١).

---

(١) في «التفسير» (٣/٧٩٥)، وإسناده حسن لأجل ابن إسحاق، فهو مدلّس، ولكن صرّح بالتحديث.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

في «الصحيح»[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا؛ وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا**

وقال مجاهد عن جابر بن عبدالله: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبيٍّ. يعني أنه هو الذي قال ذلك.

قوله: (في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**احْرِصْ عَلى مَا يَنفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعجِزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**»): اختصر المصنف هذا الحديث، وتمامه: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللَّهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعيفِ، وَفي كلٍّ خيرٌ**...» إلى آخره.

قوله: «**احْرِصْ عَلى مَا يَنْفَعُكَ**» أي: في دنياك وأخراك، وخص ما ينفع دون ما ليس كذلك مما فيه ضرر أو عدم نفع، وذلك لا يخرج عن الواجب، والمستحب، والمباح إذا كان نافعًا.

قوله: «**وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»: لأنه لا يحصل له ذلك إلا إذا كان مستعينًا بالله.

قوله: «**وَلَا تعجزن**»: نهاه عن العجز، لأنه مما يذم به عقلًا وشرعًا، فما أكثر ذلك في الناس، فكم فوّت الإنسان على نفسه من الخير وهو يقدر عليه إذا رغب فيه واستعان بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله: «**وَإن أصابَكَ شَيءٌ فَلا تَقُلْ: لو أني فَعلْتُ كَذا لكانَ كَذا وكَذا، وَلكِنْ قُلْ: قدر الله**»: لأن ما قدّر يكن، فيجب الإيمان بالقدر والتسليم، وأرشده إلى أن يقول: «**قدر الله**» أي: هذا قدر الله، والمبتدأ محذوف، وتقديره: هذا قدر الله.

---

(١) أي: «صحيح مسلم» (٢٦٦٤) بنحوه.

شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: (لو)، إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك؛ وهو العجز.

و «**مَا شَاءَ فَعَلَ**»: لأن أفعاله تعالى إنما تصدر عن حكمة وعلم، وفضل وعدل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

قوله: «**فَإِنَّ لَوْ تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ**» أي: لِمَا فيها من التأسُّف على ما فات والحزن، فيأثم في ذلك، وذلك من عمل الشيطان.

❊ ❊ ❊

٥٧ ـ باب النهي عن سب الريح

عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيها، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هٰذِهِ الرِّيْحِ، وَشَرِّ مَا فِيها، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**». صححه الترمذي[1].

قوله:

باب النهي عن سب الريح

عن أبيّ بن كعب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**». صححه الترمذي.

لأن الريح خَلْقٌ من خَلق الله مدبَّر، وإنما تهب بمشيئة الله وقدرته، فيرجع السبّ إلى مَن خَلَقها وسَخَّرها. وأرشد النبي ﷺ أمته إلى أن يقولوا ما ذكر في الحديث، وهو سؤاله تعالى مِنْ خيرِها وخيرِ ما فيها، والاستعاذة به من شرِّها وشرِّ ما فيها.

وقد شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم، ويستعيذوا به من شرِّ ما

---

(١) في «الجامع» (٢٢٥٢). والألباني رحمه الله في «صحيح الجامع الصغير» (٧٣١٥).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سبّ الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنه قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.

يضرُّهم، وأن يكون ذلك منهم عبودية لله وحده، وطاعة له، وإيمانًا به. وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافًا لحال أهل الشرك والبدع.

❊ ❊ ❊

٥٨ ـ باب قول الله تعالى:
﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾
الآية [آل عمران: ١٥٤]

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ الآية [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأنّ ما أصابه لم يكن بقدَر الله

قوله:

باب قول الله تعالى:
﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾

وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله في ذكر وقعة أُحُد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾، يعني: أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله ﷺ، وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢].

وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدَر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يُظهره على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظنَّ السوء لأنه ظنٌّ غيرِ ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُدِيل الباطلَ على الحقِّ إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحقُّ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدَره، أو أنكر أن يكون قدَره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمدَ، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجرَّدة؛ فـ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله

وهكذا هؤلاء؛ اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله. وهذا شأن أهل الريب والشك؛ إذا حصل [لهم][(١)] أمر من الأمور، تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل. وفُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يُتم أمرَ رسوله، وأن يظهره على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن سوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده، ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة؛ فـ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

---

(١) زيادة من المخطوط.

بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف اللَّهَ وأسماءَه وصفاتِه، ومُوجِبَ حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظنَّ السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا! فَمُسْتقِل، ومُستكثر. وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فَإِنْ تَنجُ مِنْهَا تَنجُ مِنْ ذِيْ عَظِيمَةٍ وَإِلاَّ فَـإِنِّـي لاَ إِخَـالُـكَ نَـاجِـيـا[1]

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنُّتًا على القدر، وملامةً له، وأنه كان ينبغي ألا يكون كذا وكذا! فمستقِلٌّ، ومستكثر. وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنجُ من ذي عظيمة وإلاَّ فـإنـي لا إخـالـك نـاجـيـا

قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: قال ابن جرير في «تفسيره»[2]: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: الظانين بالله أن لن ينصرك وأهلَ الإيمان بك على أعدائك، وأن يظهر كلمته فيجعلَها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوءَ من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع.

وقال ابن كثير: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ

---

(١) انظر كلامه في «زاد المعاد» (٣/٢٢٨ ـ ٢٣٥).
(٢) (١٣/٩٦).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يَسلَم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفاتِ، وعرف نفسه.

بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: يتهمون الله في حُكمِه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يُقتَلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[1].

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (١٨٥/٤).

٥٩ ـ باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده! لَوْ كَانَ لأحَدِهِم مِثْلُ أحُد ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ الله؛ مَا قَبِلَهُ الله مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ.

ثم استدل بقول النبي ﷺ: **«الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بالله، ومَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّهِ»**. رواه مسلم.

قوله:

باب ما جاء في منكري القدر

أي: من الوعيد.

قوله: (قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بِيَدِهِ): حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه[(١)]؛ عن يحيى بن يَعْمَر قال: كان أوَّلَ مَنْ تكلَّم في القَدَرِ بِالبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الجُهَنيّ، فانطلقتُ أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميدي حاجّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحابِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاءِ في القَدَرِ. فوفَّق الله لنا عبدَاللَّهِ بن عُمَرَ داخلاً المسجِدَ، فاكتَنَفْتُه أنا وصاحبي، فظننتُ أَنَّ صاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليّ، فقلتُ: يا أَبا عَبدِالرحمٰن! إنَّه ظهرَ قِبَلَنا أُناسٌ يقرؤونَ

---

(١) مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٨/ ٩٧ ـ ١٠١)، وابن ماجه (٦٣).

وعن عبادة بن الصامت؛ أنه قال لابنه: يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله القَلَم، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ،**

القرآن، ويتقفَّرونَ العلمَ؛ يزعُمون أَنْ لا قَدَرَ، وَأَنَّ الأمر أُنُفٌ. فقال: إذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أني بَرِيءٌ مِنهم، وأنهم بُرَآءُ مِني، والذي يحلفُ بِهِ عبدُالله بنُ عُمرَ لوْ أَنَّ لأَحدِهِم مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فأنفَقَهُ ما قَبِلَهُ الله مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ. ثم قال: حدثني عمرُ بنُ الخطَّابِ رَضي الله عنه قال: بينما نحن عِنْدَ رَسولِ الله ﷺ [ذات يوم][1]، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَديدُ بياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لا يُرى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلى النَّبي ﷺ، فأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلى فَخذَيْهِ، وقالَ: يا مُحمد! أَخْبِرْني عَنِ الإِسْلام، قال: «**الإِسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلٰهَ إِلّا الله وَأَنَّ مُحمدًا رَسولُ اللَّهِ، وَتُقيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزكاةَ، وَتصومَ رَمَضانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبيلًا**». قالَ: صدَقْتَ. فَعَجِبْنا لهُ! يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قالَ: فأَخبِرْني عن الإِيمانِ، قالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قالَ: صَدَقْتَ. قالَ: فأَخبِرني عَنِ الإِحْسانِ، قالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ الله كأَنكَ تراهُ، فإِنْ لَمْ تكنْ تَراهُ فإِنَّهُ يَراكَ**». قالَ: فأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قالَ: «**مَا المَسْؤولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قالَ: فأَخْبِرْني عَنْ أَماراتِها، قالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها، وَأَنْ تَرى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ، رِعاءَ الشَّاءِ، يَتَطاوَلونَ في البُنْيانِ**». قالَ: فانطَلَقَ، فَلبِثْنا مَلِيًّا، ثُمَّ قالَ: «**يا عُمرُ! أَتدْري مَنِ السَّائِلُ؟**». قلْتُ: الله وَرَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «**إِنَّهُ جِبريلُ، أَتاكُم يُعَلِّمُكُمْ دينَكُمْ**».

قوله: (عن عبادة بن الصامت): حديثه هذا رواه أبو داود[2]، ورواه الإمام أحمد بكماله، قال: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا ليث، عن معاوية،

---

(١) زيادة من مسلم.

(٢) في «السنن» (٤٧٠٠).

فَقَالَ: رَبِّ! وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

وفي رواية لأحمد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ».

عن أيوب بن زياد، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: دَخَلْتُ عَلَى عُبادَةَ وَهُوَ مريضٌ أتخايَلُ فيهِ الموْتَ، فقُلْتُ: يا أَبَتاه! أَوْصِني وَاجْتَهِدْ لي. قالَ: أَجْلِسُوني. ثمَّ قالَ: يا بُنيَّ! إِنَّكَ لنْ تجِدَ طَعْمَ الإيمان، وَلنْ تَبْلُغَ حَقيقَةَ العِلْم حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ. قلْتُ: يا أَبتاه! وَكَيْفَ أَعْلَمُ مَا خَيْرُ القَدَرِ وَشَرّه؟ قَال: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ ما أَخطأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ، وما أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَكَ، يا بُنيَّ! سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ: «إِنَّ أَوَّل ما خَلَقَ اللهُ القَلَم، فقالَ لهُ: اكْتُبْ، فجَرى في تِلْكَ السَّاعَةِ بما هُوَ كائِنٌ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ». يا بُنيَّ! إِنْ متَّ وَلسْتَ عَلى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ. رواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح(١).

وفي هذا الحديث بيان شمول علم الله، وإحاطته بما كان ويكون، كما في قول اللَّهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ الآية(٢) [الطلاق: ١٢]. والآيات في إثبات القدر كثيرة.

وقد استدل العلماء على إثبات القدر بشمول القدرة والعلم، كما في الآية. قال الإمام أحمد: القدر قدرة الرحمٰن. وقال بعض الأئمة في نفاةِ القدرِ: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصِموا، وإن جحدوه كفروا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٣١٧). وأخرجه الترمذي في «الجامع» (٢١٥٥). وهو صحيح بطرقه وشواهده.
وانظر تخريجه في «ظلال الجنة» (١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧) للألباني.

(٢) تمامها: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمي قال: أَتَيْتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ الله يُذْهِبهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هٰذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَالله بنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بنَ اليمانِ، وَزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذٰلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حديث صحيح، رواه الحاكم في «صحيحه»[1].

قوله: (وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمي): هو أبو بُسر ـ بالسين المهملة، والباء المضمومة ـ، ويقال: أبو بشر ـ بالشين المعجمة، وكسر الباء ـ، وبعضهم صحَّحَ الأولَ، واسمه عبدالله بن أبي فيروز.

ولفظ أبي داود قال: لوْ أَنَّ الله عَذَّبَ أَهْلَ سَماواتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيرُ ظالم لهمْ، ولَوْ رَحِمهُمْ كانتْ رَحْمَتُهُ خَيرًا لهمْ مِنْ أَعْمالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما قبلَهُ الله مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتعْلَمَ أن ما أصابَكَ لَمْ يَكنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يكنْ لِيُصِيبَكَ، وَلوْ متَّ عَلى غيرِ هذا لكنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فأتيْتُ عبدَاللَّهِ بنَ مَسعودٍ فقالَ مِثْلَ ذلكَ، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيتُ زَيْدَ بنَ ثابِتٍ، قال: فحدَّثني عن النبي ﷺ مثلَ ذلك. وأخرجه ابن ماجه.

وهذه الأحاديث وما في معناها حجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع، وكثير منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب تعالى وتقدس.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٢/٥)، وأبو داود في «السنن» (٤٦٩٩)، وابن ماجه في «السنن» (٧٧)، ولم نجده في «المستدرك». وصحَّحه الألباني في «صحيحي سنن أبي داود وابن ماجه». وانظر «ظلال الجنة» (٢٤٥) له.

فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أنّ أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط.

* * *

٦٠ ـ باب ما جاء في المصوِّرين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**». أخرجاه[١].

ولهما[٢] عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ**».

ولهما[٣] عن ابن عباس: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

ولهما[٤] عنه مرفوعًا: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**».

قوله:

باب ما جاء في المصورين

أي: من الوعيد، وقد ذكر النبي ﷺ العلة؛ وهي المضاهاة بخلق الله،

---

(١) أي: البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٢) البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٩٢/٢١٠٧).

(٣) هذا الحديث عند مسلم (٢١١٠)، ولم نقف عليه عند البخاري.

(٤) البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (١٠٠/٢١١٠).

ولمسلم[١] عن أبي الهيَّاج قال: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ؟ أَلاَّ تَدَعَ صُورَةً إِلاَّ طَمَسْتَها، وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إلاَّ سَوَّيْتَهُ.

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصوِّرين.

لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فلا يجوز أن يُشَبَّه بشيء من خلقه سبحانه، لما فيه من المضاهاة بخلق الله.

قوله: (ولمسلم عن أبي الهياج ـ الأسدي ـ قال: قال لي عليٌّ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألاَّ تدع صورةً إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته).

قوله: (عن أبي الهياج): هو الأسدي، حيان بن حصين. و(علي): هو أمير المؤمنين.

قوله: (ألَا أبْعثُكَ عَلَى ما بَعثَني عَليهِ رَسولُ اللَّهِ ﷺ؟ أنْ لا تَدَعَ صُورَةً إلَّا طَمسْتَها، ولَا قَبرًا مُشْرفًا إلَّا سَوَّيْتَهُ): فهذا ما صح عن النبي ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، فأكثروا التصوير واستعملوه، وأكثروا البناء على القبور، وزخرفوها وجعلوها أوثانًا، وزعموه دينًا، وهو أعظم المنكرات، وأكبر السيئات؛ تعظيمًا للأموات وغُلوًّا، وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حق الله تعالى على عباده.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن جمع بين سنّة رسول الله ﷺ في القبور، [وما أمر به][٢]، وما نهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم؛ رأى أحدَهما مضادًّا للآخر، مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا.

---

(١) برقم (٩٦٩).

(٢) زيادة من المخطوط.

الثانية: التنبيه على العلّة؛ وهو ترك الأدب مع الله؛ لقوله: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**».

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله: فليخلقوا ذرَّة، أو حبّة، أو شعيرة.

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصوِّر في جهنم.

السادسة: أنه يُكلَّف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وُجِدت.



٦١ ـ باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**». أخرجاه.

قوله:

باب ما جاء في كثرة الحَلِفِ

أي: من النهي عنه، والوعيد.

وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾: قال ابن جرير: أي: لا تتركوها بغير تكفير. وذكر غيره عن ابن عباس: يريد لا تحلفوا. وقال آخرون: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾: عن الحنث، فلا تحنثوا. والمعنى يعم القولين.

قوله: (عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمحَقَةٌ لِلكَسْبِ**». أخرجاه) أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود والنسائي(١).

والمعنى: أنه قد يحلف على ثمن السلعة بزيادة على ما اشتُريت به، أو

---

(١) البخاري (٢٠٨٧) وعنده: «**ممحقة للبركة**»، ومسلم (١٦٠٦) وعنده: «**للربح**»، وأبو داود (٣٣٣٥)، والنسائي (٧/٢٤٦) ـ واللفظ لهما ـ.

وعن سلمان؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**». رواه الطبراني[1] بسند صحيح.

سِيمَتْ به، فيأخذها المشتري لظنه أنه صدق. وهذا ـ وإن كان فيه زيادة ـ فهو يمحق البركة كما جاء في الحديث، والواقع يشهد بصحته؛ فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب.

قوله: (وعن سلمان؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**». رواه الطبراني بسند صحيح).

وسلمان: لعله سلمان الفارسي، أبو عبدالله، أسلم مَقْدَمَ النبي ﷺ المدينة، وشَهِد الخندق. روى عنه: أبو عثمان النهدي، وشرحبيل بن السمط، وغيرهما. قال النبي ﷺ: «**سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ**»[2]، «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ أَصحابي أَرْبَعَةً: عَلِيًّا، وَأَبَا ذَرٍّ، وَسَلْمَانَ، وَالمِقْدَادَ**». أخرجه الترمذي[3]. توفي سلمان في خلافة عثمان.

---

(١) في «معاجمه الثلاثة» كما في «مجمع الزوائد» (٧٨/٤). وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح». وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٠٧٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٠٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٥٩٨/٣) من طريق كثير بن عبدالله المزني، عن أبيه، عن جدّه مرفوعًا.
وقال الذهبي في «التلخيص»: سنده ضعيف.
وهو كما قال، بل هو ضعيف جدًا لأجل كثير المزني؛ نسبه الشافعي وأبو داود إلى الكذب. وقال الدارقطني: متروك الحديث.

(٣) في «الجامع» (٣٧١٨) من حديث بُريدة رضي الله عنه.
وقال الترمذي: حديث حسن غريب؛ لا نعرفه إلا من حديث شريك.
وشريك هو ابن عبدالله النخعي؛ صدوق يُخطئ كثيرًا، تغيّر حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، فإسناده ضعيف.

=

وفي «الصحيح» عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** ـ قال عمران: فلا أدري أَذَكَرَ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ ـ، ثُمَّ إنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِم السِّمَنُ»(١).

ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي.

قوله: «**لا يُكَلِّمُهُمُ الله**»: هذا وعيد شديد في حقهم؛ لأنه قد تواتر أنه يكلم أهل الإيمان، ويكلمونه في عرصات القيامة، والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة أظهرُ شيء وأبينُه، وفيه الرد على الجهمية والأشاعرة نفاةِ الكلام.

قوله: «**وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلهمْ عَذابٌ أليمٌ**»: هذا من تمام العقوبة عليهم، وفي هذا الوعيد الشديد ما يزجر من له عقل عن هذه الأعمال السيئة ونحوها.

قوله: «**أُشَيْمِطٌ زانٍ**»: صغّره تحقيرًا له، وذلك لأن داعي المعصية ضَعُفَ في حقِّه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبته المعصية والفجور، وعدم خشيته لله.

وكذلك العَائِل المستَكْبِر ليس له ما يحمله على الكبر، فدل على أنه خُلُق له، فعظمت العقوبة في حقه؛ لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم، الذي هو من أكبر المعاصي.

قوله: «**وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَه**»: بنصب الاسم الشريف، يعني: اليمين بالله عز وجل؛ جعله بضاعةً له لكثرة استعماله.

قوله: (وفي «الصحيح») أي: «صحيح مسلم»، وأخرجه أبو داود،

= وانظر «السلسلة الضعيفة» (١٥٤٩) للعلامة الألباني.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٦٥٠) واللفظ له، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٣٥)، وأبو داود في «السنن» (٤٦٥٧)، والترمذي في «الجامع» (٢٢٢١، ٢٢٢٢).

. . . .

والترمذي. ورواه البخاري بلفظ: «**خيركم**».

قوله: (عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** ـ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ـ، **ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السّمن**»).

قوله: «**خَيرُ أُمَّتي قَرْني**»: لكثرة الخير فيهم وقلة الشر، وشدة الإنكارِ على من خالف الحق وابتدع؛ كالخوارج، والقدرية، والجهمية، ونحوهم.

«**ثمَّ الذينَ يَلونَهُمْ**»: فُضِّلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم، وكثرة العلم والعلماء، وأما القرن الثالث فظهرت فيهم البدع؛ لكن أنكرها العلماء، وتصدّى كثير منهم لإنكارها والرد على من قالها، وهم كثيرون.

قوله: (فَلا أدْري أذكَرَ بَعدَ قَرْنِهِ مَرَّتينِ أو ثَلاثًا): هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين.

ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء، فقال: «**ثمَّ إنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدونَ وَلا يُسْتَشْهَدونَ**»؛ لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريهم الصدق، وذلك لقلة دينهم، وضعف إسلامهم.

قوله: «**وَيَخونونَ وَلا يُؤْتَمَنونَ**»: يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم.

«**وَيَنْذرونَ وَلا يوفونَ**» أي: لا يؤدّون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم.

قوله: «**وَيَظْهَرُ فيهمُ السِّمَنُ**»: لرغبتهم في الدنيا وشهواتها، وقلة الإيمان باليوم الآخر، وفي حديث أنس: «**لا يَأْتي عَلى النَّاسِ زَمان إلاَّ وَالَّذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**». قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٠٦٨).

وفيه عن ابن مسعود؛ أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**».

وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار[1].

فما زال الشر يزيد في الأمة، حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم، حتى فيمن انتسب إلى العلم، ويتصدر للتعليم والتصنيف، فحدَث التفرّقُ والاختلاف في الدين، وحدث الغلو في أهل البيت من بني بُوَيْه[2] في المشرق لما كان لهم دولة، وبَنَوا المساجد على القبور، وغَلَوا في أربابها، وظهرت دولة القرامطة، وظهر فيهم الكفر والإلحاد في شرائع الدين، ومذهبهم معروف، وظهر فيهم من البدع ما يطول عَدُّه، وكَثُر الاختلاف والخوض في أصول الدين. وما زال أهل السنة على الحق، ولكن كثُرت البدع والأهواء، حتى عاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

قوله: (وفيه عن ابن مسعود؛ أن النبي ﷺ قال: «**خَيرُ الناسِ قَرْني، ثمَّ الذينَ يَلونَهُمْ، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»): في هذا الحديث أن خير القرون ثلاثة من غير شك.

---

(١) أخرج الحديث المرفوع البخاري (٢٦٥٢) واللفظ له؛ إلا أنه قال: «**ثم يجيء أقوام..**»، ومسلم (٢٥٣٣).

وأثر إبراهيم: أخرجه البخاري في «الصحيح» بإسناد حديث ابن مسعود. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥/٢٦١): «هو موصول بالإسناد المذكور، ووهم من زعم أنه معلَّق».

وأخرجه مسلم كذلك (٢٥٣٣) بلفظ: كانوا ينهوننا ونحن غلمان عن العهد والشهادات.

(٢) بضم الباء، وفتح الواو، وسكون الياء؛ وهم ملوك العجم، وهم: أبو الحسن علي، وركن الدولة، ومُعزّ الدولة. وبُوَيه أبوهم. انظر «توضيح المشتبه» (١/٦٦٧) لابن ناصر الدين.

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحَلِف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يَعظُم مع قِلَّة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يَحلِفون ولا يُستَحلَفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذمُّ الذين يَشهدون ولا يُستَشهَدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

قوله: «**ثُمَّ يَجيءُ قَوْمٌ...**» إلخ: وذلك لضعف الإيمان، والرغبة في الدنيا وأخذها بالقلوب، وكثرة المعاصي والذنوب.

قوله: (وقال إبراهيم: كانوا يَضْرِبونَنا عَلى الشَّهادَةِ وَالعَهْدِ وَنحنُ صِغارٌ): هكذا حال السلف الصالح؛ محافظة منهم على الدين الذي أكرمهم الله تعالى به، فلا يتركون شيئًا مما يُكره إلا أنكروه.

وفيه: تمرين الصغار على دينهم بالتعليم.

❋ ❋ ❋

٦٢ ـ باب ما جاء في ذمة الله وذمة نَبِيِّه

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا . . .﴾ الآية [النحل: ٩١].

عن بُريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، فقال: «**اغْزُوا بِاسْمِ الله**،

قوله:

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا . . .﴾ الآية.

قال العماد ابن كثير[1]: وهذا مما يأمر الله تعالى به؛ وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾. وهذه الأيمان المراد بها: الداخلةُ في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حَثٍّ أو مَنْع.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾: تهديد ووعيد.

قوله: (عن بريدة): هو ابن الحُصَيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سُليمان عنه.

---

(١) في «تفسيره» (٢/٥٨٤).

في سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاث خِصَالٍ ـ أَوْ خِلَالٍ ـ، فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ

قوله: (كان رسولُ الله ﷺ إذا أمَّرَ أميرًا على جَيْشٍ أوْ سَرِيَّةٍ أوْصاهُ بِتقْوى اللَّهِ تعالى): فيه من الفقه: تأمير الأمراء ووصيتهم.

قال الحربي: السريةُ: الخيلُ تبلغ أربعمائة ونحوها. والجيش: ما كان أكثر من ذلك. وتقوى الله: التحرز من عقوبته بطاعته.

قوله: (وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المسلمينَ خَيرًا) أي: ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيرًا؛ من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

قوله: «**اغْزوا بِاسمِ اللَّهِ**» أي: اشرعوا في الغزو مستعينين بالله، مخلصين له، فتكون الباء في (بسم الله) للاستعانة بالله، والتوكل عليه هنا.

قوله: «**قاتِلوا مَنْ كفرَ بِاللَّهِ**»: هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر والمحاربين؛ من أهل الكتاب وغيرهم، واستُثني منهم من له عهد، وكذلك الذراري، والأولاد، والنساء، والرهبان؛ فلا يُقتَلون.

قوله: «**وَلا تَغُلُّوا، وَلا تَغْدِرُوا، وَلا تُمَثِّلوا**»: الغلول: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]. والغدر: نقض العهد. والتمثيل هنا: التشويه بالقتل؛ كقطع أنفه وأذنه، والعبث به.

قوله: «**وَإذا لقيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المشْرِكينَ فادْعُهُمْ إلى ثَلاثِ خِصالٍ ـ أو خِلالٍ ـ**»: الرواية بـ«أو» التي هي للشك، والمعنى واحد.

قوله: «**فَأَيَّتَهُنَّ ما أَجابوكَ فاقْبَلْ مِنهُمْ، وَكُفَّ عَنهُمْ**»: منصوب بأجابوا.

قوله: «**ثمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلامِ**»: كذا وقعت الرواية في جميع نُسخ كتاب

المُهَاجِرِينَ، وأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إنْ فَعَلُوا ذٰلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ المُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ؛ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله تَعَالَىٰ، وَلَا يَكُون لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ، فإِنْ هُمْ أَبوا فَاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِن هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِن بالله وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا

مسلم: «**ثم ادعهم**»، بزيادة «**ثم**»(١).

قوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلى التَّحَوّلِ مِنْ دارِهِمْ إِلى دارِ المهاجِرينَ» يعني: المدينة إذ ذاك، وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن وهو في بلد الشرك، وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلدة. نص عليه الفقهاء في كتبهم.

قوله: «فإن هم أبوا أن يتحولوا منها» يعني: أن من أسلم ولم يجاهِد، ولم يهاجر من البداوة لم يُعطَ من الخُمُس ولا من الفيء شيئًا.

قوله: «فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فاسْأَلهُمُ الجِزْيَةَ» فيه: حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر؛ عربيًا كان أو غيره، كتابيًّا كان أو غيره.

وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية؛ فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الوَرِق. وقال الشافعي: دينار على الغني والفقير. وقال أبو حنيفة: على الغني ثمانية وأربعون درهمًا، والوسط أربعة وعشرون درهمًا، والفقير اثنا عشر درهمًا. وهو قول أحمد بن حنبل.

وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين دون غيرهم،

---

(١) قال في «فتح المجيد» (٢/٨٢١): «والصواب إسقاطها، كما روي في غير كتاب مسلم؛ كمصنّف أبي داود، وكتاب «الأموال» لأبي عبيد؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال».

وانظر «سنن أبي داود» (٢٦١٢)، و«الأموال» (٦٠) لأبي عبيد.

حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّه؛ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّه وَلَكِن اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَك وذمَّةَ أَصْحَابِك فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ الله وذِمَّةَ رَسُولِهِ. وَإذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْم الله فَلَا تُنْزِلْهُمْ على حكم الله وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ الله أَمْ لَا؟». رواه مسلم[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه ﷺ، وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: **«اغزوا بسم الله في سبيل الله»**.

الرابعة: قوله: **«قاتلوا من كفر بالله»**.

الخامسة: قوله: **«استعن بالله وقاتلهم»**.

وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين، لا ممن نأى بداره، ويجب تحويل النائي إلى بلاد المسلمين أو حربهم.

قوله: «**وَإذا حَاصَرْت أَهْلَ حِصْنٍ...**» إلى آخره: فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره.

قوله: «**وَإذَا حاصَرْتَ أَهْلَ حصْنٍ، فَأرادوكَ أنْ تَجْعَل لهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وذِمَّةَ نَبيِّهِ؛ [فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه]**[(٢)]»: الذمة: العهد. وتَخفِر: تَنقُض، يقال: أخفرت الرجل: نقضت عهدَه، وخَفَرته: أجرته، لأنه لا يؤمن على من أعطى ذمةً أن يَخفِرَها، فخَفرُ ذمَّتِه أهونُ من أن يخفِر ذمةَ الله تعالى.

---

(١) في «الصحيح» (١٧٣١).

(٢) زيادة من المخطوط.

السادسة: الفرق بين حُكم الله وحُكم العلماء.

السابعة: كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟



٦٣ ـ باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ؟! فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»**. رواه مسلم(١).

قوله:

باب ما جاء في الإقسام على الله

ذكر المصنف فيه حديث جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان! فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألّى عليَّ أن لا أغفر لفلانٍ؟! إني قد غفرت له وأحبطت عملك»**. رواه مسلم.

قوله: «يَتَألَّى» أي: يحلف، والأليَّة ـ بالتشديد ـ: الحَلِف.

وصح من حديث أبي هريرة؛ ورواه أبو داود(٢) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كانَ رَجُلانِ في بَني إِسْرائيل مُتواخِيَين، فكانَ أَحَدُهُما يُذْنِبُ، والآخرُ مُجتَهِدٌ في العِبادَةِ، فكانَ لَا يَزالُ المُجْتَهِدُ يَرى الآخرَ عَلى الذَّنْبِ، فَيَقولُ: أَقْصِرْ! فوَجَدَهُ يَوْمًا على ذَنْبٍ فقالَ لَهُ: أَقْصِرْ! فقال:**

---

(١) في «الصحيح» (٢٦٢١).

(٢) في «السنن» (٤٩٠١)، وصححه العلاّمة الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد.

قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أَوْبَقَتْ دنياه وآخرته(١).

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التَّأَلِّي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شِراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة...**» إلخ.

الخامسة: أن الرجل قد يُغفَر له بسببٍ هو من أكره الأمور إليه.

خَلِّني وَرَبِّي؛ أَبُعِثْتَ عَليَّ رَقيبًا؟! فقالَ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ! وَلا يُدْخِلُكَ الجَنَّةَ! فَقَبَضَ أَرْواحَهُما، فاجْتَمَعا عِنْدَ ربِّ العالمينَ، فقالَ لهذا المُجتَهِدِ: أَكنتَ بِي عالِمًا، أَوْ عَلى مَا في يَدي قادرًا؟ وقال للمُذْنِبِ: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمتي، وقالَ لِلآخرِ: اذْهَبوا بِهِ إِلى النَّارِ».

قوله: (وفي حديث أبي هريرة أن القائِلَ رَجُلٌ عابِدٌ): يشير إلى قوله في هذا الحديث: إِنَّ أَحَدَهُما مُجْتَهِدٌ في العِبادَةِ، وفيه معنى قوله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ؛ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِها سَخَطَهُ إِلى يَوْم يَلْقاهُ**»(٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٩٠١) مع المرفوع الذي ساقه الشارح رحمه الله.

(٢) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٩٨٥/٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٤٦٩/٣)، والترمذي في «الجامع» (٢٣١٩)، وابن ماجه في «السنن» (٣٩٦٩)، وغيرهم من حديث بلال بن الحارث المُزَني مرفوعًا بإسناد صحيح.
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦١٩).

٦٤ ـ باب لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على خَلْقِهِ

عن جُبير بن مُطعِم رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! نُهِكَت الأنفس، وجاع العيالُ، وهَلكتِ الأموالُ، فاستسقِ لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: «**سُبْحَانَ الله! سُبْحَانَ الله!**». فما زال يُسَبّح، حتى عُرف ذلك في وجوه

قوله:

باب لا يُسْتَشْفَعُ باللَّهِ عَلى خَلْقِهِ

وذكر [هذا][1] الحديث، وسياق أبي داود أتم مما ذكره المصنف، ولفظه: عن جبير بن محمد بن جُبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رَسُولَ الله! جُهِدَتِ الأَنفُسُ، وَضاعَ العِيَالُ، وَنُهِكَتِ الأموالُ، وهلكت الأنعامُ، فاسْتَسْقِ الله لنا، فإنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلى الله، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ. فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْحَكَ! أَتَدْري ما تقولُ؟**». وَسبَّح رسول الله ﷺ، فما زال يسبِّح حتى عُرِف ذلكَ في وُجُوه أصحابِهِ، ثم قال: «**وَيْحكَ! إنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ على أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْري مَا الله؟ إنَّ عَرْشَهُ عَلى سَماواتِهِ لَهٰكذا** ـ وقال بِإصْبَعِهِ مِثْلَ القُبَّةِ ـ، **وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ**». قال ابن يسار في حديثه: «الله

---

(١) زيادة من المخطوط.

أصحابه، ثم قال النبي ﷺ: «وَيْحكَ! أتدري مَا الله؟ إنَّ شَأْنَ الله أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ، إنَّهُ لا يُستَشْفَعُ بالله عَلَىٰ أحَدٍ. . .» وذكر الحديث. رواه أبو داود.

فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَماواتِهِ»(١).

قوله: «وَيْحَكَ»: كلمة تقال للزجر.

قوله: «أَتَدْري ما الله؟» فيه: إشارة إلى قلة علمه بعظمة الله وجلاله.

قوله: «إنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»: لأن الأمر كله بيده تعالى، ليس في يد المخلوق منه شيء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، تعالى وتقدس.

وفي هذا الحديث الرد على الجهمية، وإثبات العُلوّ.

وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه على عادته فيما كان عنده صحيحًا أو حسنًا، وسكت عليه.

وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فإنما هو بدعائه ﷺ، ودعاؤه

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٧٢٦). وإسناد ضعيف؛ فيه محمد بن إسحاق بن يسار: صدوق يدلّس، ولم يصرّح بالتحديث.
قال الحافظ الذهبي في «العلو» ص(٤٤ ـ ٤٥): «هذا حديث غريب جدًّا فرد، وابن إسحاق حجّة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم: أقال النبي ﷺ هذا أم لا؟
والله عزّ وجل فليس كمثله شيء، جل جلاله، وتقدّست أسماؤه، ولا إله غيره».
قال: «الأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل، فذاك صفة للرحل وللعرش، ومعاذ الله أن نعُدّه صفة لله عز وجل، ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت.
وقولنا في هذه الأحاديث: أننا نؤمن بما صحّ منها، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره، فأما ما في إسناده مقال، واختلف العلماء في قبوله وتأويله: فإنا لا نتعرض له بتقرير، بل نرويه في الجملة ونُبيّن حاله.
وهذا الحديث إنما سُقناه لما فيه مما تواتر من عُلُوّ الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب». انتهى.
وانظر «ظلال الجنة في تخريج السنة» (٥٧٥) للألباني رحمه الله.

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: نستشفع بالله عليك.

الثانية: تَغيُّره تغيُّرًا عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: نستشفع بك على الله.

الرابعة: التنبيه على تفسير: «سبحان الله».

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

مستجاب، وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاع به، كما تقدم تقريره في باب الشفاعة وما قبله. والله تعالى نهى عن اتخاذ الشفعاء في مواضع كثيرة من القرآن، ونفاها في حق من سألها من غير الله.

❊ ❊ ❊

٦٥ ـ باب ما جاء في حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عن عبدالله بن الشِّخير قال: انطلقت في وَفْد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَوْلًا، فقال: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضَ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**». رواه أبو داود[1] بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله! يا خيرَنا وابنَ

قوله:

ما جاء في حماية النبيِّ ﷺ حمى التَّوحيدِ وَسَدِّه طُرُقَ الشِّرْكِ

حمايته ﷺ حِمَى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وقد اشتمل هذا الكتاب ـ على اختصاره ـ على أكثر ذلك، والنهي عما ينافي التوحيد أو يُضعِفُه، يَعرِف ذلك مَن تدبَّره وعرف ما تضمنه بابًا بابًا.

قوله في حديث أنس: (أَنَّ ناسًا قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ! يا خيرَنا وَابْنَ

---

(١) في «السنن» (٤٨٠٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

خيرنا! وسيدَنا وابنَ سيدنا! فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ**

خَيرنا! وسيدنا وابن سيدنا! فقال: «**أيها الناس! قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينَّكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله**»): كره ذلك لئلا يكون وسيلة إلى الغلو فيه والإطراء، كما تقدم في قوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١).

وهذا من كمال نصحه للأمة وشفقته عليهم، حذرهم مما يكون ذريعة إلى الغلو فيه.

وقوله: «**أنا مُحمَّدُ عبدُ اللَّهِ ورسولُهُ**»: فأعلى مراتب العبد هاتان الصفتان: العبودية الخاصة، والرسالة، وللنبي ﷺ أكملها، وقد أخبر تعالى أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر أمته أن يصلوا عليه(٢)، وأثنى عليه بأحسن ثناء وأبلغه، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فلا يُذكَر في الأذان والتشهد والخُطَب إلا ذُكِر معه صلوات الله وسلامه عليه.

وأما إطلاق السيد: فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في «بدائع الفوائد» ما نصه: اختلف العلماء في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم، ونُقِل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: أنت سيِّدُنا، قال: «**السَّيِّدُ الله**»(٣). وجوّزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قومُوا إلى سَيِّدِكُمْ**»(٤). وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيِّد أحَدُ ما يُضاف إليه، فلا يقال للتميمي: سيد كندة،

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث عمر، وسبق تخريجه تحت الباب (١٨).
(٢) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].
(٣) سبق تخريجه قريبًا.
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

مَنْزِلَتي الَّتِي أَنْزَلَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ». رواه النسائي[1] بسند جيد.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلوّ.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا.

الثالثة: قوله: «**لَا يَسْتَجرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»، مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي**».

ولا يقال للملك: سيد البشر.

قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يُطلَق على الله هذا الاسمُ.

وفي هذا نظر، فإن السيدَ إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المَلِك والمولى والرب، لا بمعنى الذي يُطلَق على المخلوق. انتهى.

قلت: فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾: إنه السيد الذي كمل فيه جميع أنواع السؤدد[2]. وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده[3].

❊ ❊ ❊

---

(١) في «عمل اليوم والليلة» (١٠٠٧٨ ـ السنن الكبرى).
وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٣/٣)، وابن حبّان في «صحيحه» (١٣٣/١٤)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، كما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على «الإحسان».

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٩٦٣٥) بلفظ: السيد: الذي قد كمُل في سؤدده... وفيه تتمّة.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٩٦٣٤).

٦٦ ـ باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ...﴾ الآية [الزمر: ٦٧]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ

قوله:

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾

أي: من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى[1]: [يقول تعالى:][2] ما قدر المشركون الله حَقَّ قدره، حتى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته. قال السدي: ما عظموه حق عظمته. وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه.

وقد وردت أحاديث كثيرة تتعلق بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف؛ وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

قوله: (عن ابن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ

(١) في «تفسيره» (٤/٦٣).

(٢) زيادة من المخطوط، وهي موجودة عند ابن كثير.

رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ الله يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، والشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ...﴾ الآية. متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم: وَالجِبَالَ والشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الله.

وفي رواية للبخاري: يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ. أخرجاه.

فقال: يا مُحمَّدُ! إنَّا نَجِدُ أَنَّ الله يَجعَلُ السَّمٰوات عَلى إِصْبَعٍ، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ...﴾ الآية): وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والنسائي من طرق عن الأعمش به.

وقال البخاري: حدثنا سعيد بن عُفَير، قال: حدثنا الليث، حدثني عبدالرحمٰن بن مسافر، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ الله الأَرْضَ، وَيَطْوي السَّماءَ بِيَمينِهِ، فيَقولُ: أنا الملِكُ، أيْنَ مُلوكُ الأرضِ؟**»[2]. تفرد به من هذا الوجه.

---

(١) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦). وأخرجه النسائي في «التفسير» (١١٤٥٢ ـ السنن الكبرى).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٨١٢). ثم أخرجه أيضًا (٦٥١٩، ٧٣٨٢)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٨٧) من وجه آخر.

ولمسلم(١) عن ابن عمر مرفوعًا: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟**».

قوله: (ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «**يطوي الله السمٰوات [يوم القيامة]، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرونَ؟ ثمَّ يَطْوي الأَرْضَ بِشِمالِهِ، ثمَّ يَقولُ: أَنا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرونَ؟**»): كذا في رواية مسلم، قال الحميدي: وهي أَتَمُّ.

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها ـ وهي كثيرة جدًّا ـ تدل على عظمة الله وكماله وعظيم قدرته، وفيها الرد على الجهمية، والأشاعرة، ونحوهم أيضًا.

وكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله يدل على كماله وعظمته وجلاله، وأن العبادة لا تصلح إلا له سبحانه وبحمده، لا يصلح منها شيء لمَلَك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا لمن دونهما.

قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنّة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة: مملوء بما هو إمّا نص أو ظاهر أنّ الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش، فوق السمٰوات مستو على عرشه.

وذكر ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة.

وقال الأوزاعي: كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إنَّ الله تعالى ذِكْرُهُ فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة.

وقال أبو عمر الطلمنكي في «كتاب الأصول»: أجمع المسلمون من أهل

---

(١) برقم (٢٧٨٨).

وروي عن ابن عباس قال: مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمٰنِ إلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ[1].

وقال ابن جرير[2]: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن

السنة على أن الله مستوٍ على عرشه بذاته. ذَكَرَه الذهبيُّ في «كتاب العلو»[3].

وقال أبو عمر الطلمنكي في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء. هذا لفظه في كتابه.

وقال الحافظ الذهبي: وأول مقالة سُمِعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، فقتله خالد بن عبدالله القسري، وقصته مشهورة. وأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر؛ مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى؛ كالإمام أحمد، وخَلْق من أهل السنة.

قال الإمام الشافعي: لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردُّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، ونثبت

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣٢٨٠) بإسناد حسن.

(٢) في «تفسيره» (٤٥٢٢).
وإسناد الحديث الأول مرسل، وابن زيد هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف كما في «التقريب».
وأما الحديث الثاني فالسند إليه منقطع؛ لكنه روي موصولاً من غير طريق، فيصحّ بمجموعها كما ذكر ذلك الألباني في «الصحيحة» (١٠٩). والله أعلم.

(٣) ص (٢٤٦).

زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إلاَّ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**مَا الكُرْسِيُّ في العَرْشِ إلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ**».

وعن ابن مسعود قال: بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَام، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَام، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَام، وَبَيْنَ الكُرسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَام، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَالله فَوْقَ العَرْشِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ[1].

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبدالله.

ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبدالله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى.

قال: وله طرق[2].

وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال:

هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. انتهى من «فتح الباري»[3].

قوله: (وعن العباس بن عبدالمطلب): ساقه المصنف مختصرًا، والذي

---

(١) أخرجه ابن خُزيمة في «التوحيد» (١/٢٤٢ ـ ٢٤٣)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٨١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥١)، والذهبي في «العلو» (٧٤)؛ كلّهم من طريق حماد بن سلمة به.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٨٦)، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح».
وأما طريق المسعودي: فأخرجها أبو الشيخ (٢٠٥)، والبيهقي في «الأسماء» (٨٥٢).

(٢) انظر «العلو للعلي الغفّار» ص(٤٥ ـ ٤٦).

(٣) (١٣/٤٠٧).

«بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ؛ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، والله تَعَالَىٰ فَوْقَ ذٰلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أخرجه أبو داود[1] وغيره.

في «سنن أبي داود»: عن العباس بن عبدالمطلب قال: كنت في البطحاءِ في عصابةٍ فيهم رسولُ الله ﷺ، فمرَّت بهم سحابةٌ، فنظر إليها، فقال: «مَا تُسَمُّونَ هٰذِهِ؟». قالوا: السَّحَابَ، قالَ: «وَالمُزْنَ». قالوا: وَالمُزْنَ، قالَ: «وَالعَنَانَ». قالوا: وَالعَنَانَ ـ قال أبو داود: لَمْ أُتْقِنِ العَنَانَ جِدًّا ـ. قال: «هَلْ تَدْرونَ مَا بُعْدُ ما بَينَ السَّماءِ وَالأَرْضِ؟». قالوا: لا نَدْري. قال: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهما إِمَّا واحِدَةٌ أَوْ ثِنْتَانِ أَوْ ثَلاثٌ وَسَبْعونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّماءُ فَوْقَها كذلك ـ حَتَّى عدد سَبع سمٰواتٍ ـ، ثم فوق السَّابِعَةِ بَحرٌ؛ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاه مِثْلُ مَا بَيْنَ سَماءٍ إِلى سماءٍ، ثم فوقَ ذلكَ ثمانية أوعالٍ؛ بينَ أَظْلافِهِمْ وَرُكَبِهِم مِثْلُ مَا بَينَ سَماءٍ إِلى سماءٍ، ثمَّ على ظُهورِهم العَرْشُ؛ بينَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاه مِثْلُ مَا بَينَ سَماءٍ إِلى سماءٍ، ثمَّ الله تبارَكَ وتعالى فوقَ ذلك».

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة، وفيه: «بُعْدُ مَا بَينَ سَماءٍ إِلى سَماءٍ خَمسُمائَةِ عَامٍ».

قال: ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً، ونيف وسبعون سنة على سير البريد.

قلت: وهذا الحديث له شواهد في «الصحيحين» وغيرهما، مع ما يدل

---

(١) في «السنن» (٤٧٢٣) وليس هذا لفظه، وإنما هو بنحو ما ذكره الشارح.

وإسناده ضعيف؛ تفرّد به سِمَاك بن حرب عن عبدالله بن عُميرة، وعبدالله فيه جهالة كما قال الذهبي في «العلو» ص(٦٠). وقال البخاري: لا يُعرف له سماع من الأحنف بن قيس. وهذا من روايته عنه.

وانظر «ظلال الجنة» (٥٧٧) للألباني.

....

عليه صريح القرآن، فلا عبرة بقول من ضعّفه.

وقد ابتدأ المصنِّف رحمه الله تعالى هذا المصنَّف العظيم ببيان توحيد الإلهية؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام هذا الشيخ ببيان [هذا](١) التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد.

فالدعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه، وأعطاه القدرة على الدعوة إليه، والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته. فقرر هذا التوحيد كما ترى في هذه الأبواب، ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفات إلى هذا العلم، الذي خاض فيه من ينتسب إلى العلم.

وأما من ينتسب إلى العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم، وأحسنوا الظن بأهل الكلام، وظنوا أنهم على شيء، فقبلوا مذهبهم وما وجدوه عنهم، فقرروا مذهب الجهمية، وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين.

وما زال أهل السنة متمسكين بذلك، لكنهم قلّوا، فهدى الله هذا الإمام إلى معرفة أنواع التوحيد، فقرَّرها بأدلتها، فللَّه الحمد على توفيقه وهدايته إلى الحق، حين اشتدت غربة الإسلام، فضلّ عنه من ضل من أهل القرى والأمصار وغيرهم، وبالله التوفيق.

وقد اجتمع في هذا المصنَّف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله:

---

(١) زيادة من المخطوط.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ، لم ينكروها، ولم يتأوّلوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكر ذلك للنبي ﷺ صدَّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ عند ذكر الحبر هذا العِلْم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في اليد الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

والعِلْمُ أقسامٌ ثلاثٌ ما لَهَا … مِن رابعٍ والحقُّ ذو تِبْيَانِ
علمٌ بأوصاف الإله وفعلِه … وكذلك الأسماء للرحمٰن
والأمر والنهي الذي هو دينُه … وجزاؤه يومَ المعادِ الثاني

وصلى الله على سيد المرسلين، وإمام المتقين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) ورد في نهاية المخطوط: وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. آخره، والحمد لله أوّلاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وكان الفراغ يوم الجمعة المبارك الثاني والعشرين من شوال سنة خمس وثمانين ومائتين وألف، بقلم الفقير المقر بالذنب والتقصير، الراجي لرحمة ربه العليم القدير؛ عبده ابن عبده محمد بن ناصر بن عبدالله بن عثمان بن حمد بن حسن بن عزاز الحنبلي مذهبًا. غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات. آمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «**كخردلة في كَفِّ أحدكم**».

التاسعة: عِظَم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

العاشرة: عِظَم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء؟

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي؟

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء؟

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كِثَفُ كلِّ سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة سنة.

والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة